

نموذج رقم (1)

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين من القرآن الكريم
سورة القصص الآيات (51-88) وسورة العنكبوت الآيات (1-45)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالب: سماح جمال أحمد البسيوني

Signature:

التوقيع: سماح البسيوني

Date:

التاريخ: 14/12/2015



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية

لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين من القرآن الكريم

سورة القصص الآيات: (٥١-٨٨) وسورة العنكبوت الآيات: (١-٤٥)

The analytical study of the of the purposes and objectives of the part's Forty of the Quran{Al-qasas: verses(51 -88)} and

{ Al-ankabot: verses(1 -45)}

إعداد

الطالبة / سماح جمال البسيوني

إشراف

الأستاذ الدكتور / جمال محمود الهوبي

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

٢٠١٥ - ١٤٣٧ هـ



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ سماح جمال أحمد البسيوني لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين من القرآن الكريم، سورة القصص

(88-51) وسورة العنكبوت (1-45)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 04 صفر 1437هـ، الموافق 2015/11/16م الساعة العاشرة صباحاً بمبنى اللحيان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....
.....
.....

مشرفاً و رئيساً

أ.د. جمال محمود الهوي

مناقشاً داخلياً

أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي

مناقشاً خارجياً

د. ماجد رجب سكر

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم

التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته بأن يسخر عندها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

.....
.....
.....

أ.د. عبدالرؤف علي المناعمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ أَفَلَا یَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ

أَمْ عَلٰی قُلُوبٍ أَقْفَالُهُمَا ﴾

[محمد: ٢٤]

أقرباً
عُماً ما شاء ع

إلى طب القلوب ودوائها

وعافية الأبدان وشفائها مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إلى حراس العقيدة، وحماة الدين، إلى المسرى الحزين، حيث ظلمة

الليل أذنت بالرحيل ليسلخ النهار بعد ليل بهيم

إلى الذين رفع الله قدرهم، وأعلى ذكرهم، إلى أئمة الهدى ومصايح

الدجى، إلى أساتذتي وشيوخى الأفاضل

إلى من زرعاً في قلبي حب الدين والوطن، وعلماي الثبات والصمود

وقت المحن، إليكما أبي الغالي وأمي الحنون

إلى من شددتُ به أزري، وسندت به ظهري، إلى زوجي الغالي رمز

الهمة والعطاء

إلى من حبهم يجري في عروقي، وبذكرهم يلهج فؤادي، إلى أبنائي الأحباء

مصطفى ومحمود وجنان وزيد

إلى الأهل والأقارب الأحباء الأوفياء

إلى عشاق العلم وطلابه، وإليك جامعتي الإسلامية الغراء

إليكم جميعاً

أقرباً لجميعي فزناً سائلاً (الموارد) عزاً واجملاً (أو) يقبله وينفع به
عُماً ما شاء ع

شكر الأفاضل

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه قبل سؤالها، وحثنا على الشكر حذراً من زوالها، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ومن قول رسول الله ﷺ: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ) (١)، فامتناناً لنعمة ربي، واتباعاً لسنة نبيي ﷺ أقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ جمال محمود الهوبي حفظه الله ورعاه الذي لم يدخر جهداً في نصحي وإرشادي وتقويم بحثي طوال فترة الإشراف عليّ.

كما أقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضلين، عضويّ لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور/ زكريا ابراهيم الزميلي حفظه الله

والدكتور/ ماجد رجب سكر حفظه الله

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما سيبدلانه من جهد ووقت، وأسأل الله أن ينفعني بملاحظتهما وتوجيهاتهما السديدة؛ لتتقح الرسالة وتحسينها؛ لتخرج في أبهى حلة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول لجامعتي الغراء، الجامعة الإسلامية محضن العلماء ومنازة العلم، ممثلة بعمادة الدراسات العليا، وأخص بالذكر أساتذتي في كلية أصول الدين وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن، ولا أنسى شكر مكتبتي، مكتبة الجامعة الإسلامية لدورها البارز في دعم بحثي وإمدادي بالكتب اللازمة، كما أقدم بالشكر للأستاذ عبدالله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بتنسيق هذا البحث ليصل به إلى المستوى الراقي.

وشكري موصول لكل من مد يد العون لي، أو نصحني، أو أعانني، وأسدى لي معروفاً وأخص بالذكر عمي محمود أبو سلمان (أبو الحارث) الذي ما توانى لحظة عن مد يد المساعدة لي، ولكل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى حيز النور، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

هؤلاء من تذكرت، أما من سهوت عن ذكرهم، فلهم مني كل الشكر والامنتان مع دعائي لله أن يوفقني في هذا العمل، فإله لا يضيع أجر العاملين.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل مقبولاً، وأن ينفع به.

(١) سنن الترمذي ت شاكر، أبواب الصلة والرحمة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (٤/٣٣٩)، حديث (١٩٥٤)، حكم الألباني : حديث صحيح.

المقدمة

الحمد لله ذي المن والفضل والإحسان، حمداً يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، الحمد لله حمد الشاكرين، الحمد لله العزيز القوي الأمين، المتفرد بالقوة والعظمة والجبروت، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، صلاةً تقضي لنا بها الحاجات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات، في الحياة وبعد، والسلام موصول على آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، ورسالته الباقية للبشر، فهو مستودع الأسرار الإلهية، والإشارات الربانية، لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه وتفسيره، فكل علم يتعلق بكتاب الله ﷻ يُعد من أجل العلوم وأشرفها، فشرف العلم من شرف المعلوم، وعلم التفسير من أعظم العلوم وأجلها؛ لأنه يتعلق بأصدق كلام، ألا وهو كلام الله سبحانه وتعالى، فمن حاز هذا العلم فقد حاز العلوم كلها، ولقد كانت حكمة الله تعالى أن جعل الكتاب المنزل على عبده محمد هو الكتاب الخالد والمعجزة التي تحدى بها العالم أجمع، فحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن عثر على دُررٍ جديدة وكشف سراً من أسرار إعجازه الكثيرة، وبتدبر آياته يميز الخطأ من الصواب، والقشور من اللباب، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

لذلك كان لزاماً علينا تدبر كتاب الله تلاوةً ودراسةً وحفظاً وتطبيقاً؛ لأن فيه العلاج الشافي لجميع مشكلات عصرنا، ويقدم الحلول المناسبة لهمومنا، بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف، فكان لا بد لنا من الوقوف على أهداف ومقاصد هذا القرآن العظيم، فكانت هذه الدراسة والموسومة ب:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين من القرآن الكريم)

علماً بأن هذا البحث ضمن سلسلة قرآنية تبحث في أهداف ومقاصد القرآن الكريم كاملاً، والتي تشرف عليها كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، فأسأل الله أن يشرح صدورنا لفهم كتابه العزيز، وأن يوفقنا لاستخراج الدرر من بحره العميق وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أهمية الموضوع

١- يُعد علم التفسير من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنه يتعلق بأشرف كتاب على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم .

- ٢- إن بيان مقاصد وأهداف الآيات يساعد على رسوخ الإيمان في النفس، والإقبال على القرآن بتدبر أعمق وفهم أوسع.
- ٣- يقدم البحث الحلول المهمة المناسبة لمشاكل تعاني منها الأمة الإسلامية.
- ٤- الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد آيات القرآن الكريم تساعد على العلم والفهم والتطبيق والدعوة، فهو المنهج الأسلم الذي يوضح أن كلام الله منتظم ومترابط، يُصدق بعضه بعضاً.
- ٥- بيان المقاصد والأهداف يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، وتبني قدرات الإنسان في فهم الآيات الكريمة فهماً سليماً.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

- ١- ابتغاء مرضاة الله ﷻ؛ من خلال التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم.
- ٢- الرغبة في المشاركة في إتمام السلسلة القرآنية للدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف.
- ٣- إبراز ما تناولته سورتي القصص والعنكبوت من موضوعات إيمانية وتوجيهات تشريعية.
- ٤- محاولة تعميق النظر والغوص في ثنايا الآيات الكريمة بما يخدم القرآن الكريم وأمة الإسلام العظيم.

ثالثاً: أهداف البحث

- ١- إظهار المقاصد والأهداف الأساسية لسورتي (القصص والعنكبوت).
- ٢- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير الاستنباطي.
- ٣- إبراز جانباً من أسرار القرآن وبلاغته في لفظه ونظمه ومعناه.
- ٤- صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية المعمقة لآيات الدراسة.

رابعاً: منهج البحث

اتبعت الباحثة المنهج الموضوعي والتحليلي والاستنباطي في التفسير، وكان العمل في البحث على النحو الآتي:

- ١- كتابة الآيات القرآنية مغمقة ومضبوطة بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ﴿﴾، مع عزوها إلى سورها بذكر أرقامها وسورها في المتن تخفيفاً على الحاشية .

- ٢- وضع مقدمة لسورتي (القصص والعنكبوت)، وبيان أسماء السورة، وفضلها، وترتيبها، وعدد آياتها، وزمان نزولها، ومحورها الرئيس، والمناسبات فيها.
- ٣- تقسيم آيات الحزب الأربعين إلى مباحث متنوعة في فصلين جاعلة لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع المبحث نفسه .
- ٤- استنباط ما تحتويه آيات كل مطلب من مقاصد وأهداف، وتحليلها وفق المنهج المتبع بما فيه من أدوات متعددة تخدم البحث: من علوم اللغة، وعلوم القرآن وإعجازها، والسنة المطهرة وغيرها.
- ٥- ربط هذه المقاصد والأهداف المستتبطة بواقع الأمة قدر الإمكان، بما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها.
- ٦- تخريج الأحاديث المستشهد بها حسب الطرق العلمية، مع نقل حكم العلماء عليها.
- ٧- توثيق الأقوال المقتبسة وعزوها لمصادرها في الحاشية وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة مختصراً.
- ٨- عمل الفهارس اللازمة للوصول للمعلومة بشكل أسهل.
- ٩- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.
- ١٠- بيان معاني المفردات الغريبة في البحث وذلك في حواشي الصفحات مع توثيقها.
- ١١- الاكتفاء في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، وذلك تخفيفاً على الحاشية.

خامساً: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية و مركز الملك فيصل، وبعد سؤال المختصين بهذا المجال لم أعثر على أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع.

وقد تناولت هذا البحث للمشاركة في سلسلة الأبحاث التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد و الأهداف المتنوعة والمختلفة لكل سور القرآن الكريم، وقد كان نصيبي في هذه الدراسة مقاصد وأهداف الحزب الأربعين من القرآن الكريم (سورة القصص الآيات: (٥١-٨٨) وسورة العنكبوت الآيات: (١-٤٥)).

ولقد استفدت استفادة كبيرة في موضوع البحث من سلسلة الرسائل في الدراسة التحليلية لتفسير أحزاب القرآن الكريم المعدة مسبقاً والمحكمة جامعياً.

سادساً: خطة البحث

تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر، وضعت هذه الخطة، والتي تتكون من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة وتشتمل على النقاط الآتية:

❖ أهمية الموضوع

❖ أسباب اختيار الموضوع

❖ أهداف البحث

❖ منهج البحث

❖ الدراسات السابقة

❖ خطة البحث

التمهيد

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها

ويشتمل على

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية

المطلب الثاني: تعريف الأهداف والمقاصد وبيان أهميتها

ويشتمل على

أولاً: المقصود بالأهداف لغةً واصطلاحاً

ثانياً: المقصود بالمقاصد لغة واصطلاحاً

ثالثاً : الفرق بين الأهداف والمقاصد

رابعاً : أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

المبحث الثاني : تعريف عام بسورتي القصص والعنكبوت

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: مدخل إلى سورة القصص

ويشتمل على

أولاً: أسماء السورة ووجه التسمية

ثانياً: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها

رابعاً: محور السورة

خامساً: الأهداف العامة للسورة

سادساً: المناسبة في سورة القصص

المطلب الثاني : مدخل إلى سورة العنكبوت

ويشتمل على

أولاً: أسماء السورة ووجه التسمية

ثانياً: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

ثالثاً: فضائل السورة وجو نزولها

رابعاً: محور السورة

خامساً: الأهداف العامة للسورة

سادساً: المناسبة في سورة العنكبوت

الفصل الأول

مقاصد وأهداف النصف الأول للحزب الأربعين الآيات (٥١ - ٨٨)

من سورة القصص

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٧) من سورة القصص

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الإسلام دين جميع الأنبياء ﷺ

المطلب الثاني: الصبر من أعظم صفات المؤمنين

المطلب الثالث: فن التعامل في الإعراض عن اللغو

المطلب الرابع: الهداية القلبية من الله ﷻ وحده

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٨ - ٧٣) من سورة القصص

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: بطل المعيشة سبب في هلاك القرى

المطلب الثاني: مقارنة بين متاع الدنيا الفاني وثواب الآخرة الباقي

المطلب الثالث: تبرؤ الشركاء من بعضهم البعض إن لم يتوبوا في الدنيا

المطلب الرابع: الإقرار بأن الخلق والمشية والعلم والرجعة والقدرة بيد الله ﷻ

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٤ - ٨٨) من سورة القصص

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: شهادة الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم يوم القيامة

المطلب الثاني: قصة قارون مضرب المثل في الغنى والثروة مع الظلم والعتو

المطلب الثالث: النبوة اختيار واصطفاء إلهي

الفصل الثاني

مقاصد وأهداف النصف الأخير للحزب الأربعين الآيات (٤٥ - ١)

من سورة العنكبوت

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (١٨ - ١) من سورة العنكبوت

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الفتنة درس من دروس التوحيد والإيمان

المطلب الثاني: الفتنة هي الامتحان الالهي للمخلوقات

المطلب الثالث: دعوة نوح عليه السلام درس وعبر

المطلب الرابع: قصة دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٣٥ - ١٩) من سورة العنكبوت

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: خطاب الله تعالى لمنكري الخلق والبعث

المطلب الثاني: وجوب الفرار إلى الله تعالى عند المحن

المطلب الثالث: غواية الرذيلة والفساد الخلفي في قوم لوط عليه السلام

المطلب الرابع: دور الملائكة في تنفيذ بشرى ووعد الله تعالى

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٤٥ - ٣٦) من سورة العنكبوت

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: العقاب الإلهي للمستكبرين من الأقوام والقيادات

المطلب الثاني: بيت العنكبوت مثال للبيوت الواهنة

المطلب الثالث: عظمة العبرة في الخلق والعبادة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

وتشتمل على

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس البلدان المذكورة

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

سادساً: فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

والمقاصد والأهداف

المبحث الثاني: تعريف عام بسورتي القصص

والعنكبوت

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية

والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية

وبيان متطلباتها

المطلب الثاني: تعريف الأهداف والمقاصد

وبيان أهميتها

المطلب الأول

تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية

هذا المصطلح مركب من لفظين لفظ (الدراسة)، ولفظ (التحليلية)، ولتعريف المركب الاصطلاحي، أو هذا اللقب العلمي، يجب تعريف كل مصطلح على حدى.

١- التعريف اللغوي للمصطلح

▪ الدراسة لغة:

الدراسة كلمة مشتقة من مادة (دَرَسَ) على وزن (فَعَلَ)، " والدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء"^(١)، يقال درس درساً ودروساً أي عفا وذهب أثره وتقادم عهده، والمرأة حاضت فهي دارس، ومنه (المدرسة) وهو مكان الدرس والتعليم وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك، أو البيت الذي يُدرس فيه القرآن، ومن الباب درست القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، ودرس الكتاب ونحوه درساً ودراسةً أي قرأه وأقبل عليه ليحفظه ويفهمه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].^(٢)

والمتمأمل في تصريف مادة درس في اللغة أنه لا يخرج عن معنى الحفظ والفهم والتعليم، الذي يزداد بتقادم الزمن.

▪ التحليلية لغة:

التحليل كلمة مشتقة من الفعل الرباعي (حَلَّلَ) على وزن (فَعَّلَ)، ويقال حلل العقدة حلها، والشيء رجعه إلى عناصره، ويقال حلل نفسية فلان أي: درسها لكشف خباياها، وحل بالمكان يحل حلولاً ومحلاً وحلاً وحللاً، وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال.^(٣)

٢- التعريف الاصطلاحي للدراسة التحليلية

الدراسة التحليلية: هي تفكيك الآية إلى أجزاء، وتحليل هذه الأجزاء مما يسهل على المفسر الكشف عن المعاني والتعمق في أسرار الآية للتوصل إلى معرفة المقصود والهدف منها.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٦٧).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/٧٩)، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون) (١/٢٧٩).

(٣) انظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون)، (١/١٩٤)، لسان العرب، لابن منظور، (١١/١٦٣).

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية

" إن البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله" (١).

فالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم تتناول كلام الله تعالى لبيان مراده من كلامه، والغاية منه؛ لذلك يتعين على أي باحث أو عامل أن يخوض في هذا المجال أن تتوفر فيه متطلبات هذه الدراسة لخدمة كتاب الله ﷻ وهي على النحو الآتي:

أولاً: متطلبات ذاتية مطلوبة في صاحب الدراسة (٢)

فقد ذكر العلماء للمفسر شروطاً نجملها فيما يلي

- ١- **صحة الاعتقاد:** فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيراً ما تحمل ذوبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، فإذا صنف أحدهم كتاباً في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته، وحملها باطل مذهبه، ليصد الناس عن اتباع السلف، ولزوم طريق الهدى.
- ٢- **التجرد عن الهوى:** فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصره مذهبهم، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان، كدأب طوائف القدرية والرافضة والمعتزلة ونحوهم من غلاة المذاهب.
- ٣- **حسن الخلق:** فالمفسر في موقف المؤدب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدب مثلاً يُحتذى في الخلق والفضيلة، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الاستفادة مما يسمع أو يقرأ وتقطع عليه مجرى تفكيره.
- ٤- **حسن النية وصحة المقصد:** فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وإسداء المعروف لصالح الإسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه، والانتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص فيه.
- ٥- **الامتثال والعمل:** فإن العلم يجد قبولاً من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه - وحسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين، وكثيراً ما يصد الناس عن تلقي العلم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه.

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٤٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص: ٣٤٠ - ٣٤٢).

٦- تحري الصدق والضبط في النقل: فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللحن.

٧- التواضع ولين الجانب: فالصنف العلمي حاجز حصين يحول بين العالم والانتفاع بعلمه.

٨- عزة النفس: فمن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان.

٩- الجهر بالحق: فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

١٠- حسن السمات: الذي يُكسب المفسر هيبَةً و وقاراً في مظهره العام وجلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف.

١١- تقديم من هو أولى منه: فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء، ولا يغمطهم حقهم بعد الممات، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم.

ثانياً: متطلبات علمية مطلوبة في صاحب الدراسة^(١)

١- العلم باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وفروع اللغة العربية كثيرة منها :

- علم المعاني: وهو معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.
- علم النحو: وهو معرفة المعاني التي تختلف باختلاف الإعراب.
- علم التصريف: الذي تُعرف به الأبنية، والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرهما ومشتقاتها.
- علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبدیع): وهي معرفة وجوه تحسين الكلام ، فهي من أعظم أركان المفسر، إذ لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يُدرك الإعجاز بهذه العلوم.

٢- المعرفة بعلوم القرآن إجمالاً منها:

- علم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويترجح بعض وجوه الاحتمال على بعض.
- علم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب التي في حق الله وصفاته تأويلاً يتجاوز به الحق.

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم (ص:٥٢)، علوم القرآن لمتاع الفطن (ص: ٣٤٠ - ٣٤٢).

- علم الأصول، وأصول التفسير خاصة مع التعمق في أبوابه التي لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها، كمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ونحو ذلك.
- ٣- **دقة الفهم** التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.
- ٤- الرجوع إلى التفسير بالمأثور، وذلك بأن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنه قد فُصل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر.
- ٥- أن يطلب التفسير من السنّة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**(١).
- ٦- إن لم يجد التفسير من القرآن و السنّة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدركوا ذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، وإن لم يجد التفسير في ذلك كله رجع إلى أقوال التابعين وأقوال أئمة العلم من القدامى والمحدثين.
- ويبدو للباحث: أنه ليس بالضرورة أن يكون المفسر ضليعاً في تلك العلوم، وإنما يكفي أن يتحراها ويكون على علم بها ولو بشكل يسير، وإلا لما جاز لي وللباحثين المحدثين الخوض في هذا المضمار.

المطلب الثاني

تعريف الأهداف و المقاصد و بيان أهميتها

أولاً: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً:

▪ الأهداف لغة:

الأهداف كلمة مشتقة من مادة (هَدَفَ) على وزن (فَعَلَ)، " والهاء والذال والفاء أصل يدل على انتصاب وارتفاع، والهدف: كل شيء عظيم مرتفع، ولذلك سمي الرجل الشخيص الجافي هدفاً، وقيل الهدف: الغرض" (٢).

(١) مسند أحمد مخرجاً، باب (حَدِيثُ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِيبِ الْكِنْدِيِّ أَبِي كَرِيمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ)، (٤١٠/٢٨)

ح (١٧١٧٤)، حكم الألباني صحيح مشهور.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩/٦).

(الهدف) " هو كل مرتفع وهو الغرض توجه إليه السهام ونحوها وهو المرمى في كرة القدم وإصابته، والمشرف من الأرض واليه يلجأ، والجمع أهداف " (١).

■ الأهداف اصطلاحاً:

من خلال البحث والدراسة تبين أن هناك العديد من التعريفات لهذا المصطلح، لكن من جوانب مختلفة، فكل مجال له أهدافه الخاصة، لذلك تبين أن أقرب التعاريف هي: " التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد" (٢).

ثانياً: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً:

■ المقاصد لغة:

المقاصد كلمة مشتقة من مادة (قَصَدَ) على وزن (فَعَلَ)، والمقاصد على وزن (المفاعل)، ولقد استعملت في لغة العرب بعدة معاني منها: (٣)

- ١- استقامة الطريق: يقال قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها طريق قاصد: سهل مستقيم. وسفر قاصد أي سهل قريب.
- ٢- الوسط بين الطرفين: يقال: القصد ابلغوا: أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهدياً قاصداً أي طريقاً معتدلاً، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾ [لقمان:١٩].
- ٣- الاعتماد والام: يقال: قَصَدَهُ يَقْصِدُهُ قَصْدًا وَقَصَدَ لَهُ وَأَقْصَدَنِي إِلَيْهِ الْأَمْرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وَقَصْدُكَ أَي تَجَاهُكَ، وكونه اسماً أكثر في كلامهم.
- ٤- إتيان الشيء: تقول: قَصَدْتُهُ وَقَصَدْتُ لَهُ وَقَصَدْتُ إِلَيْهِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .
- ٥- القصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتتر، يقال: فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد.
- ٦- الغاية والهدف: ومقاصد الشريعة: هي الأهداف التي وضعت لها. ويبدو للباحثة أن أنسب المعاني السابقة هو الغاية والهدف؛ لأنه يوضح دلالة المقاصد.

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون) (٩٧٧/٢).

(٢) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ليوسف حامد العلم (ص: ٧٩).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/٣٥٣-٣٥٤).

■ المقاصد اصطلاحاً:

- تعريف ابن عاشور^(١) بأنها: " هي المباني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"^(٢).
- تعريف نور الدين الخادمي^(٣): "المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها؛ سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمت إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصحة الإنسان في الدارين"^(٤).

وخلاصة القول: " إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أراه الشارع الحكيم من مصالح تترتب على الأحكام الشرعية، كمصلحة الصوم والتي هي بلوغ التقوى، ومصحة الجهاد التي هي درء العدوان والذب عن الأمة، ومصحة الزواج وهي غض البصر وتحسين الفرج وإنجاء الذرية وإعمار الكون، وهذه المصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تجمع في مصلحة كبرى وغاية كلية هي تحقيق عبادة الله، وإصلاح المخلوقين وإسعاده في الدنيا والآخرة"^(٥).

رابعاً: الفرق بين الأهداف والمقاصد:

على ضوء ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد نلاحظ الفروق بين كلا الاصطلاحين، وتتمثل بالآتي:^(٦)

- الأهداف هي نقطة البداية لأي عمل في إطار تعبدية أو تربوية، وتكون قبل وضع الخطط.
- الأهداف الكبرى والعامّة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.
- الأهداف تقوم على تطوير فلسفة المجتمع الممنهجة وفق سياستها التربوية.

(١) محمد الطاهر بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، وشيخ جامعة الزيتونة، مالكي المذهب، تولى قضاء تونس سنة ١٢٦٧ هـ، ثم الفتنيا في نقابة الأشراف، ولد ودرس في تونس، وتوفي بها، له كتب منها التحرير والتنوير، مقاصد الشرعية الاسلامية. (انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ١٧٣).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ٥١).

(٣) نور الدين الخادمي: أستاذ جامعي، تونسي الجنسية، من مواليد ١٩٦٣م، حاصل على شهادة الأستاذية في الفقه والسياسة الشرعية من كلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، وله عدة كتب وأبحاث منشورة منها: كتاب المصلحة المرسلّة، كتاب المقاصد في المذهب المالكي. (انظر: علم المقاصد الشرعية (ص: ٢).

(٤) علم المقاصد الشرعية (ص: ١٧).

(٥) المرجع السابق (ص: ١٧).

(٦) انظر: الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم (ص: ١٤ - ١٨).

- الأهداف العامة والخاصة لا بد أن ترتبط بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
 - الأهداف منها ما هو معلوم قابلٌ للتحقيق، ومنها ما هو مجهول، غير قابل للتحقيق.
 - الأهداف هي التي يرغبها الإنسان، ويسعى من خلال تحقيقها إلى تنظيم سلوكه الإنساني.
 - إن الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.
 - كما أنها عبارات تحاول أن تعطي شكلاً واتجاهاً لمجموعة من المقاصد التفصيلية في المستقبل القريب أو البعيد.
 - يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعيته، ومستوى عموميته.
 - الأهداف تنقسم إلى عدة أنواع منها: سلوكية تطبيقية، ومعرفية مهارية، ووجدانية عاطفية.
- أما بالنسبة للمقاصد فإنها تتميز عن الأهداف بالآتي:^(١)**
- المقاصد هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
 - المقاصد هي الحق المقصود لذاته.
 - تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، ودرء المفسد .
 - المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والمباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراد وجماعات.
 - المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة.

ثالثاً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

إن معرفة علم مقاصد وأهداف السور والآيات له أهمية عظمى، لذلك وجب على العلماء والباحثين إبراز هذا الجانب وتخصيصه بالبحث والدراسة؛ لأنه كما يقول نور الدين الخادمي: " إن المقاصد الشرعية سلاح ذو حدين، يمكن استخدامها في الخير والمعروف، ويمكن توظيفها لجلب الشر والمنكر والفساد، ولذلك وجب على العلماء والمتعلمين الإحاطة بهذا العلم ومعرفة محتوياته

(١) انظر: رسالة ماجستير بعنوان أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، إعداد الطالب: حسن عبدالله طه الخطيب، إشراف: د. عبد الكريم الدهشان، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية (ص: ٤٠-٤١)، ٢٠٠٨ م .

ومضامينه، وامتلاك أدواته وآلياته وضوابطه، بغية تطبيقه بوجه حسن، وبكيفية مرضية، تجلب للناس مصالحهم الحقيقية والشرعية، وتدرأ عنهم الفساد والهلاك، وتثني عن الاجتهاد والاستنباط التعسفي في التفسير، والتطويع في التأويل، والإساءة في القصود والنوايا، كما تُبعد بنفس الحرص والاهتمام التفسير الظاهري، والتعامل الحرفي مع النصوص" (١).

واليكم عدداً من النقاط التي يتضح من خلالها أهمية معرفة المقاصد والأهداف (٢)

- ١- إن علم مقاصد السور راجعٌ إلى بيان المقصد من إنزال القرآن كله، وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، فالله تعالى أمرنا بالتدبر والتمعن لمعرفة مراده تعالى من كلامه ثم العمل بمقتضاه.
- ٢- أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصلٌ في فهم معاني كلام الله تعالى.
- ٣- إن معرفة مقاصد السور سبيلٌ للسلامة من الخطأ أو تفسير كلام الله تعالى على غير مراده.
- ٤- تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله ﷻ ومعانيه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق.
- ٥- تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بين آياتها، فتكون لحمَةً واحدةً يجمعها معنى واحد .
- ٦- ربط الآيات بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والتدبر في مقصد السورة والتعمق يزيد من تفاعل المفسر والدارس، ويساعده على التطبيق.
- ٧- أن هذا العلم يرسخ الإيمان، و يُنير القلب، و تَقَرُّ به العين، و يُوضح ما فيه من روائع هذا العلم العظيم.
- ٨- إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج.

(١) علم المقاصد الشرعية (ص: ٧).

(٢) انظر: علم مقاصد السور لمحمد بن ربيعة (ص: ١١-١٣).

المبحث الثاني
تعريف عام بسورتي
القصص والعنكبوت

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مدخل إلى سورة القصص
المطلب الثاني: مدخل إلى سورة العنكبوت

المطلب الأول

مدخل إلى سورة القصص

أولاً: أسماء السورة ووجه التسمية

١ - الاسم التوقيفي للسورة (سورة القصص)

بعد الرجوع إلى كتب التفسير^(١) وجدت الباحثة أن هذه السورة اختصت باسم سورة القصص.

▪ القصص لغة^(٢) :

(قَصَّ) القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، والقص: تتبع الأثر من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته، قال تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١]، ومنه قيل لما يبقى من الكلاً فيتتبع أثره: قصيص، وقصصت ظفره، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، ومن الباب أيضاً القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر. والقصصية من الإبل: البعير يقص أثر الركاب.

▪ القَصَص اصطلاحاً:

القَصَص: " الأخبار المتتبعة، وكل ما يتتبع فيذكر " ^(٣)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران: ٦٢] ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ... ﴾ [يوسف: ١١١] ، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣].

▪ وجه التسمية:

يقول الزركشي: " ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز " ^(٤).

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٩ / ٥١٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢ / ٥٩٧)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٣ / ٣٩١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٤ / ٢٧٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣ / ٢٤٧).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٥ / ١١)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: ٦٧١).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: ٦٧١).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١ / ٢٧٠).

وتبرز الحكمة الإلهية في تسمية سورة القصص بهذا الاسم من وجهين:
الأول: تمحور السورة حول قصة النبي موسى ﷺ منذ ولادته ومنتشأه حيث ذُكرت فيها قصص موسى ﷺ فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها، ومروراً بقصة سيدنا محمد ﷺ مع قريش، وانتهاءً بقصة قارون .

الثاني: وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ [القصص: ٢٥].

٢- الأسماء التوفيقية:

- أ- سورة طسم: قال السيوطي أثناء سرده لترتيب نزول السور القرآنية " ثم الشعراء ثم طس سليمان ثم طسم القصص، ثم بني إسرائيل" (١) .
ب- سورة موسى: قال صديق حسن خان (٢): " وتسمى أيضاً سورة موسى" لذكر قصة موسى ﷺ فيها (٣).

ثانياً: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

١- ترتيب السورة:

هي السورة الثامنة والعشرون في ترتيب سور المصحف العثماني، وأما بالنسبة لترتيبها في عداد نزول سور القرآن الكريم فهي السورة التاسعة والأربعون (٤)، حيث نزلت بعد سورتي الشعراء والنمل، فكانت هذه الطواسين الثلاث متتابعة في النزول كما هو ترتيبها في المصحف، قال الزحيلي في ذلك: " نزلت هذه السور الثلاث (الشعراء، والنمل، والقصص) متتالية على هذا الترتيب، وذلك كاف في ترتيبها في المصحف على هذا النحو" (٥)، ويلاحظ أنها متماثلة في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى ﷺ.

وترى الباحثة أن خلاصة القول بأن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات بدليل هذا التناسق الرباني في سرد السور القرآنية بهذا الترتيب المتناسق الذي لا مثيل له.

(١) الإتيان في علوم القرآن (١/ ٩٧).

(٢) صديق حسن خان : هو أبو الطيب صديق خان بن حسن البخاري القنوجي، صدر العلماء الأعلام المُسندين في الهند، وعمدة الكرام المحدثين المعتمدين، ولد في الهند ١٢٤٨هـ، من مؤلفاته كتاب في الحدود والقصاص، وكتاب فتح البيان في مقاصد القرآن، (فتح البيان في مقاصد القرآن (٤/١)).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٨٥).

(٤) انظر: ترتيب عداد نزول السور عند السيوطي في كتابه الإتيان في علوم القرآن في معرفة أول ما نزل، (١/ ٩٧).

(٥) التفسير المنير (١٩/ ٢٥٢).

٢ - عدد آياتها، مكية أو مدنية

- عدد آياتها: لقد أجمع المفسرين على أن عدد آياتها ثمان وثمانون آية^(١).
 - مكية أو مدنية: أجمع المفسرون^(٢) على أن سورة القصص كلها مكية ، إلا أن فيها آية: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] ، قيل نزلت على النبي ﷺ في الجحفة^(٣) في طريقه إلى المدينة للهجرة تسليية له على مفارقة بلده^(٤).
- وأقول: إن هذا لا يقدح في أنها مكية كلها لأن المراد بالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد ذلك ولو كان نزوله بمكة والآية نزلت قبل الهجرة.

ثالثاً: فضائل السورة، وجو نزولها

١ - فضائل السورة

إن لكل سورة في القرآن الكريم فضل خاص بها، وإن كانت جميع سور القرآن الكريم لها فضيلة، فيكفي قول النبي ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)^(٥)، ولكن لم أقف على حديث صحيح في فضل سورة القصص بشكل خاص.

٢ - جو نزول السورة

يقول سيد قطب: "نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله ﷻ وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله ﷻ معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق خان (٨٥/١٠)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦١/٢٠)، بحر العلوم، للسمرقندي (٥٩٧/٢)، تفسير البغوي (٥٢١/٣)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣٩١/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢٧٥/٤)، تفسير العز بن عبد السلام (٤٧٨/٢)، تفسير القرطبي (٢٤٧/١٣).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي، (٥٩٧/٢)، تفسير البغوي، (٥٢١/٣)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٣٩١/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢٧٥/٤)، تفسير العز بن عبد السلام، (٤٧٨/٢)، تفسير القرطبي (٢٤٧/١٣).

(٣) الجحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة، فإن مرّوا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهبيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتمعها وحمل أهلها في بعض الأعوام، (معجم البلدان، لياقوت الحموي (١١١/٢)).

(٤) لباب النقول للسيوطي (ص: ١٥١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (١٩٢/٦)، حديث (٥٠٢٧).

الله ﷻ عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً" (١).

رابعاً: محور السورة

لقد اشتملت سورة القصص على عدة مواضيع فرعية، لكن تلك المواضيع تتبع من محور واحد وهو المحور الرئيس للسورة وهو (الصراع بين الحق والباطل) حيث اشتمل على أمثلة ثلاث (٢):

١. قصة موسى ﷺ الذي يمثل جانب الحق، مقابل فرعون وجنوده الذين يمثلون جانب الباطل
٢. قصة النبي ﷺ والمؤمنين المستضعفين الذين مثلوا جانب الحق، في مقابل قريش ومن تحالفوا معهم من اليهود الذين مثلوا جانب الباطل.
٣. قصة بني اسرائيل الذين يمثلون جانب الحق، مقابل قارون وجنوده الذين يمثلون جانب الباطل.

كما ويمكن تقسيم المحور الرئيس للسورة بشكل آخر، حيث يقوم كيان السورة على قصة موسى ﷺ وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه في الختام، وذلك كما يراه سيد قطب إلى قسمين (٣):

١. قوة الحكم والسلطان، وتتمثل في قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة، ولا ملجأ له ولا وقاية.
 ٢. قيمة المال والعلم، وتتمثل في بغى قارون على قومه واستطالة جبروته معتزلاً بعلمه وماله.
- وعلى اختلاف القصتين، إلا أن مصيرهم كان واحداً حيث أغرق الله ﷻ فرعون وجنوده وخسف الأرض بقارون وعزوته، وبين القصتين يجول السياق مع المشركين جولات يبصرهم فيها بدلالة القصص ويفتح أبصارهم على آيات الله الماثلة في مشاهد الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة، وفي مشاهد القيامة تارة.

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٦٧٣).

(٢) انظر: رسالة ماجستير بعنوان (سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية)، للباحث محمود عبد الخالق خلة، إشراف: د. محمد أبو زور، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (ص ١٢-١٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٥/٢٦٧٤).

خامساً: الأهداف العامة للسورة

إن ورود سورة القصص بأسلوب السرد القصصي، ليحمل بين طياته العبر والمواعظ والدروس العظيمة التي لا بد من توضيحها من خلال إبراز أهداف السورة، وقد خرجت الباحثة بعدد من الأهداف كما يأتي:

١. إن سَوِّق تلك القصص إنما هو للعبرة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله ﷻ في بعثة الرسل ومعاملته للأمم المكذبة لرسُلها بالخسف والعذاب الأليم .
٢. توضيح بعض مفاهيم التوحيد والرسالة في ثنايا القصص المذكورة في السورة .
٣. تسلية النبي ﷺ وتثبيتته بوعد الله ﷻ له بأنه يجعل بلده في قبضته ويمكنه من نواصي الضالين.

٤. بيان لرسول الله ﷺ أنه لا يهدي من أحب، وإنما الهداية بيد الله تعالى لمن سلك أسبابها.
٥. إهلاك القرون الماضية؛ لذلك "يجب اجتناب الاستعلاء في الأرض، والتعزز بكثرة الأتباع، وهما من سيرة فرعون وقارون، وكانت قصتهما حجة على مشركي قريش وأمثالهم، فكما أن قرابة قارون من موسى لم تنتفعه مع كفره، فكذلك قرابة قريش لمحمد ﷺ" (١).

سادساً: المناسبة في سورة القصص

من أمعن النظر في سور القرآن الكريم وجد ترابطاً عجبياً وتكاملاً متيناً، وهذا الترابط يدل على الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم باعتباره كتاب هداية وإصلاح، كيف لا وهو من مصدر واحد من عند رب العزة والجلال، فنرى آيات القرآن الكريم وسوره تتناسق تناسقاً عظيماً من حيث مناسبة السورة لما قبلها وبعدها وتناسب أولها مع آخرها، وكأن سور القرآن حبات عقد ثمين تُكمل بعضها بعضاً.

■ مناسبة السورة لما قبلها (سورة النمل):

- ١- تلتقي سورة القصص مع سابقتها (سورة النمل) في أمرين: (٢)
- أ- بيان أصول العقيدة التوحيد والرسالة والبعث في ثنايا قصص الأنبياء.
- ب- إيضاح الأدلة المثبتة لهذه الأصول في قضايا الكون وعجائبه البديعة ونظمه الفريدة.

(١) التفسير المنير للزحيلي (٥٩/٢٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (٥٢/٢٠).

٢- إن مقدمة السورتين شبه متطابقة وذلك من عدة وجوه (١) :

أ- جاءت افتتاحية السورتين بصورة شبه متطابقة في وصف القرآن، وابتدائها بالحروف المقطعة قال تعالى: ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ١]، وفي القصص قال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [القصص: ٢].

ب- جاء في المقدمتين وصف للفئة المؤمنة التي انتفعت بالكتاب المبين، قال تعالى: ﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٢-٣]، وفي القصص: ﴿ نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣].

ت- جاء في المقدمتين أيضاً وصف لفريقين متغايرين ومختلفين في العقيدة، قال تعالى: ﴿ تَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٣-٦]، وفي القصص قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٤-٦].

٣- إن سورة النمل عرضت قصة موسى ﷺ بشكل مجمل وسورة القصص عرضتها بالتفصيل، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آيَةٍكُمْ بِشَهَابٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٧-٨]، أما سورة القصص فقد عرضت قصة موسى ﷺ بشكل مفصل ابتداءً من مولده ومروراً بتربيته في بيت فرعون إلى آخر قصة موسى ﷺ مع قومه.

٤- سورة النمل خُتمت بملخص لدعوة النبي ﷺ ومنهجه في الدعوة وبيان إعراض الكفار عن دعوته وأنه وكلهم لأعمالهم ، تاركاً أمرهم لله ﷻ قال: ﴿ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٢-٩٣]، ثم ابتدئت سورة القصص بسرد قصة موسى بحدافيرها وذلك تسليية

(١) انظر: رسالة ماجستير بعنوان (سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية)، للباحث محمود عبد الخالق خلة.

لقلب الرسول ﷺ من إعراض قومه قال: ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) . [القصص: ١-٣].

■ مناسبة السورة لما بعدها (العنكبوت):

بما أن ترتيب سور القرآن الكريم ترتيب توقيفي لا اجتهاد فيه، دل على أن موضع سورة العنكبوت بعد القصص لم يكن عبثاً أو جزافاً، وإن تأخر نزول سورة العنكبوت عن القصص، وبعد البحث في مسألة مناسبة السورة لما بعدها، تبين الآتي:

١. لقد افتتحت سورة القصص بذكر عدد من الامتحانات التي حصلت لبنى إسرائيل ونبیهم موسى ﷺ من قبل فرعون وبيان مدى صبرهم عليها منها (١):

أ- ابتلائهم بذبح أبنائهم وصبرهم على عظيم تلك المحنة، ثم أبان الله ﷻ حُسن عاقبتهم وثمرة صبرهم، قال تعالى: ﴿ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣].

ب- امتحان أم موسى بفراقه حال الطفولة وابتداء الرضاع، وصبرها على أليم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجمل رد وأحسنه، قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٣].

ت- ثم ذكر ابتلاء موسى ﷺ بأمر القبطي وخروجه خائفاً يترقب، وحسن عاقبته وعظيم رحمته، وكل هذا ابتلاء أعقب خيراً، وختم برحمة، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

ث- ابتلاء قارون بماله وافتنانه به قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١].

وخلاصة القول أن هذه الابتلاءات سنة الله في عباده ليميز الخبيث من الطيب، وذلك

عند اشتداد الفتنة والابتلاء ولكي تقوم الحجة عليهم .

ثم أعقب الله ﷻ هذا بقوله معلماً لنبیه محمد ﷺ ولأتباعه ومنبهاً لهم بأنها سنته فيهم فقال: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] أي: أحسبوا أن يقع الاكتفاء بمجرد استجابتهم للإيمان وقولهم آمنا بأفواههم فقط، ولم يتم امتحانهم بالشدائد والمشقات وضروب الاختبارات، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥] ، ثم أتبع سبحانه ذلك بما به من التأسي بصبر الأنبياء عليهم السلام وطول مكابدتهم لأقوامهم، فذكر نوحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً عليهم السلام، وخصهم بالذكر؛

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: ٢٧٠ - ٢٧٢).

لأنهم من أعظم الرسل مكابدة وأشدّهم ابتلاءً.

٢- خُتِمت سورة القصص بالحث على العمل للدار الآخرة، وأن كل أحد من محسن أو مسيء مجزى بعمله، وبالإخبار بأن الله ﷻ عالم بالسر والعلن، وبالاجتهاد في الدعاء إليه وقصر الهمم عليه، وذهاب النفس والأموال، معللاً بأن له الحكم سبحانه لأنه الباقي بلا زوال، ثم بدأ في أول العنكبوت بقوله {الم} إشارة لأهل الفطنة والبصائر، ومنكراً على من ظن أن مدعي الإيمان لا يكلف البيان، ومفصلاً لما ختمت به تلك أي سورة النمل من جميع هذه المعاني، قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] (١).

■ مناسبة أول السورة بآخرها:

إن سور القرآن الكريم متناسقة ومترابطة، ومنها سورة القصص، حيث تتناسق آخر السورة مع أولها، وانشرح مجملها بمفصلها ولقد ظهر ذلك جلياً في الآتي:

١- يقول السيوطي: "وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ﷺ ونصرته، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبي ﷺ بالألا يكون ظهيراً للكافرين وتسليته عن إخراجهم من مكة ووعد بالعود إليها لقوله: في أول السورة ﴿إِنَّا رَادُّوهُ﴾ [القصص: ٧]" (٢).

٢- بدأت سورة القصص بعدد من الآيات وكذلك ختمت بنظائرها أو معناها (٣):

- بدأت بذكر الكتاب وأنه هدى، وختمت بذلك في قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢].
- في أولها: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، وفي آخرها: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].
- أولها: هجرة موسى من موطنه والعود إليه، وفي آخرها هجرة النبي ﷺ من بلده والعود إليه.

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٣٨٤/١٤ - ٣٨٥).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (٣٧٩/٣).

(٣) انظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي (ص: ٥٨).

المطلب الثاني

مدخل إلى سورة العنكبوت

أولاً: أسماء السورة ووجه التسمية

١ - الاسم التوقيفي للسورة (سورة العنكبوت):

بعد الرجوع إلى كتب التفسير وجدت الباحثة أن هذه السورة اشتهرت باسم سورة العنكبوت منذ عهد رسول الله ﷺ^(١).

وجه التسمية:

ووجه إطلاق هذا الاسم على السورة أنها اختصت بذكر مثل العنكبوت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] ، ويقول سيد قطب في بيان ذلك: " يضرب المثل لحقيقة القوى المتصارعة في هذا المجال، إن هنالك قوة واحدة هي قوة الله، وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهن، من تعلق بها أو احتتمى، فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمي ببيت من خيوط واهية، فهي وما تحتمي به سواء"^(٢).

ويبدو أن وجه اختصاص السورة نابع من وجه الشبه الكبير بين محور السورة الذي يتحدث عن مسألة الإيمان والفتنة والثبات على الدين وبين المثل المضروب فيها، من حيث أن صفة الضعف التي تعترى بيت العنكبوت فهو من أوهن البيوت وأضعفها والمحتمي به كأنه احتتمى بالبيداء إذ لا سقف يُظل ولا حائط يحمي من برد الشتاء وحر الصيف، تشبيه عميق لحال الكفار الذين يلجئون لغير الله ﷻ ويشركون به ويعبدون ما لا ينفع ولا يضر.

ثانياً: الأسماء التوفيقية:

حقيقة لم أعثر في كتب التفسير على اسم اجتهادي للسورة سوى قول القرطبي: "(الم) هو اسم للسورة وقيل اسم للقرآن"^(٣)، "وتسمى (الم) أحسب الناس"^(٤).

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٤٤٩/٦)، تفسير القرطبي (٣٢٣/١٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١٨٨/٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦٦٣/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٢٢/٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٣/٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٢٢١/٤).

(٢) في ظلال القرآن (٢٧٣٦/٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٣/١٣).

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي (ص: ٩١)

ومن خلال النظر في محور السورة وأهدافها ترى الباحثة إذ يمكن إطلاق أسماء اجتهادية للسورة، وهي كالاتي:

١- سورة الولاء في العقيدة ووجه هذه التسمية من وجهين:

أ- اشتمال السورة على صورة حية تتعلق بالإيمان الصادق وضرورة تعرض الإنسان المؤمن للفتن؛ لاختبار صدق العقيدة في نفسه في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ب- تمركز المحور الرئيسي للسورة حول العقيدة في أصولها الكبرى (الوحدانية والبعث والرسالة).

٢- سورة الابتلاء ووجه التسمية ينطلق من كون السورة تثبت أن الحياة لا تستغني عن الامتحان والاختبار، لمعرفة المحسن من المسيء، والمستقيم والفاجر، وهكذا حياة البشر أمام الله ﷻ، إذ لا بدّ لهم من الاختبار، ليميز المؤمنون الصادقون والكاذبون، كما وتعرض السورة الابتلاءات في طريق دعوة الأنبياء الأوائل للبشرية نوح وإبراهيم ولوط وشعيب وصالح عليهم السلام.

ثانياً: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية:

١- ترتيب السورة:

هي التاسعة والعشرون في ترتيب سور المصحف العثماني، وأما بالنسبة لترتيبها في عداد نزول سور القرآن الكريم فهي السورة الخامسة والثمانون، حيث قال السيوطي أنها نزلت بعد سورة الروم وقبل المطففين، فذاك ما أنزل بمكة. (١)

٢- عدد آياتها، مكية أو مدنية:

▪ لقد أجمع المفسرين على أن عدد آياتها تسع وستون آية (٢)، إلا أن الرازي قال: " وهي سبعون أو تسع وستون آية"، (٣) وزاد أبو حفص النعماني "وهي ألف وتسعمائة وإحدى وثمانون كلمة،

(١) انظر: ترتيب عداد نزول السور عند السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن في معرفة أول ما نزل (٩٧/١).

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٦٢٤/٢)، تفسير البغوي (٥٤٩/٣)، الكشاف للزمخشري (٤٣٨/٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٤٤٩/٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١٨٨/٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦٦٣/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٢٢/٢).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/٢٥).

وأربعة آلاف ومائة وخمسة وتسعون (حرفاً)" (١).

▪ وذكرت بعض كتب التفسير اختلاف المفسرين في كونها مكة، أو مدنية، أو بعضها مكياً، وبعضها مدنياً على أقوال: (٢).

القول الأول: أنها مكة كلها، وبهذا القول قال السيوطي (٣).

القول الثاني: أنها مدنية كلها.

القول الثالث: أنها مكة إلا عشر آيات من أولها مدنية نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة ولذكر الجهاد والمنافقين فيها، وبهذا القول قال الزمخشري وابن عطية و جلال الدين المحلي (٤).

القول الرابع: عن علي بن أبي طالب ؓ أنها نزلت بين مكة والمدينة.

ويرجح سيد قطب أن السورة كلها مكة حيث أن تعليل قوله يأتي من عدة وجوه (٥):

١- سبب نزول الآية الثامنة: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨] أنها نزلت في إسلام سعد ابن أبي وقاص ؓ، وإسلام سعد كان في مكة بلا جدال، وهذه الآية ضمن الآيات الأحد عشر التي قيل إنها مدنية .

٢- أما تفسير ذكر الجهاد فيها فذكره يسير في السورة، وذكره وارد بصدد الجهاد ضد الفتنة، أي جهاد النفس لتصبر ولا تفتن، وهذا واضح في السياق .

٣- إن محور السورة الرئيسي يدور حول العقيدة في أصولها الكبرى (الوحدانية والبعث والرسالة)، وهذا من خصائص المكي .

ثالثاً: فضائل السورة، جو نزولها

١ - فضائل السورة:

تناولت هذه السورة العديد من مواضيع العقيدة منها (الوحدانية والبعث والرسالة)، حيث تعرضت لها بالتوضيح والبيان في ثنايا قصص الأنبياء الوارد ذكرهم في السورة.

(١) اللباب في علوم الكتاب (٣٠٥/١٥).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢٢١/٤)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي (٢٣/٢٥)، تفسير القرطبي، (٣٢٣/١٣).

(٣) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤٤٩/٦).

(٤) انظر: الكشاف (٤٣٨/٣)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٠٥/٤)، تفسير الجلالين، (ص: ٥٢٠).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٢٧١٨/٥).

٢- جو نزول السورة:

إن سورة العنكبوت من آخر ما نزل من القرآن الكريم في العهد المكي، قبيل الهجرة النبوية، وفي تلك الفترة كان الجو العام في مكة يسوده اضطهاد المسلمين وتعذيبهم، فتنزلت السورة الكريمة من باب تسليية قلب النبي ﷺ، وتقريراً لأصول عقيدة هامة في ثنايا القصص المسرودة ولرسم الخطوط العريضة بين عالمي الإيمان والكفر، وذلك من باب الاختبار والابتلاء الإلهي لعباده المؤمنين، وهذا ما افتتحت به أوائل السورة الكريمة، يقول الزحيلي: "لا تستغني الحياة عن الامتحان والاختبار، ليعرف المحسن من المسيء، والعامل والمقصر أو غير العامل، والمستقيم والفاجر، وهكذا حياة البشر أمام الله ﷻ، لا بدّ لهم من الاختبار، ليطيرون المؤمنون الصادقون والكاذبون، ويعرف المجاهدون والمتقاعسون، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"^(١).

رابعاً: محور السورة

يدور محور السورة الرئيس حول مسألة الإيمان والفتنة، ومسألة الثبات على الدين مع المثابرة في إنكار المنكر والأمر بالمعروف، كما يقول سيد قطب: "فليس الإيمان كلمة تقال باللسان، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف"^(٢).

ويمضي سياق السورة حول المحور الرئيس في ثلاثة أشواط^(٣):

الشوط الأول: يتناول أهم مسألة، وأخطر قضية جاء بها النبي ﷺ ألا وهي حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين، حيث يتخلل السورة من المطلاع إلى الختام إيقاعات قوية عميقة حول معنى الإيمان وحقيقته، تهز الوجدان هزاً.

الشوط الثاني: يعرض قصص بعض الأنبياء ﷺ، وبيان ما تعرضوا له من فتن وعقبات في طريق الدعوة، ويتحدث عن الحق الكامن في دعوة الرسل، وهو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض.

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٤٦).

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٧١٨).

(٣) انظر: المرجع السابق (٥/٢٧١٩).

الشوط الثالث: يتناول مسألة النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى، إلا الذين ظلموا منهم. ويتحدث عن وحدة الدين مع هذا الدين الأخير الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون، ويختم بالثبوت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في سبيل الله.

خامساً: الأهداف العامة للسورة

إن لسورة العنكبوت أهدافاً ساميةً وأغراضاً عظيمة لا بد من الإشارة إليها وبيانها لنعم الفائدة^(١) :

١- افتتاح سورة العنكبوت بالحروف المقطعة يدل على تحدي الله ﷻ المشركين بالإتيان بمثل سورة منه، حيث في المقابل تم عجزهم عن الإتيان ولو بأقصر سورة من مثله، وفي هذا التحدي تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجروا.

٢- التأسى بأحوال الأمم التي جاءت الرسل قبل النبي محمداً ﷺ الذي جاء بمثل ما جاؤوا به، وما تخلل أخبارهم من ذكر ما فيها من الدروس والعبر العظيمة، ليتسلى قلب النبي ﷺ ويصبر معه أتباعه و لعل قريش تتعظ.

٣- إثبات وحدانية الله ﷻ وبأنه خالق من في السموات ومن في الأرض، والاستدلال على البعث بالنظر في بدء الخلق وهو أعجب من إعادته.

٤- الدعوة للتأمل في ملكوت الكون العظيم ومظاهره، من خلال السير في الأرض ومشاهدة مخلوقات الله ﷻ.

٥- ضرب المثل لاتخاذ المشركين أولياء من دون الله ﷻ ببيت العنكبوت، تقريعاً وتوبيخاً ودليلاً على ضعف ووهن ما يستندوا إليه.

سادساً: المناسبة في سورة العنكبوت

١- مناسبة السورة لما قبلها (القصص)

لقد تعرضت الباحثة لهذه المسألة في المبحث السابق حول المناسبة بين سورتي القصص والعنكبوت^(٢)، وزيادة في العرض تذكر رأي الرازي في المسألة بشكل موجز في مسألتين^(٣):

المسألة الأولى: لما قال تعالى في ختام سورة القصص: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]، وكان المراد منه أن يرده إلى مكة ظاهراً غالباً على الكفار، والأمر بالرجوع

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠٠/٢٠ - ٢٠١).

(٢) انظر: ص ١٨، من الرسالة.

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/٢٥).

لمكة يحتمل مشاق القتال فشق على البعض ذلك، وفي بداية العنكبوت قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا...﴾ [العنكبوت: ٢] أي يتلفظوا بألفاظ الايمان بظاهر ألسنتهم ولا يؤمروا بالجهاد ليعودوا لديارهم.

المسألة الثانية: لما قال تعالى في أواخر القصص: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [القصص: ٨٧] وكان في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب، لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك، فقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا...﴾ اختباراً لهم.

٢ - مناسبة السورة لما بعدها (الروم)

ويستمر التناسب والتناسق بين السور والآيات، فنجد جمالاً يبهر العقول ويزيد إيماننا بعلام الغيوب، فلقد جاءت سورة العنكبوت وتليها الروم كحلقة وصل لا نهاية له، حيث يبرز التناسب في الآتي:

أ- إن كل سورة افتتحت بالحروف المقطعة، فإن في أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن كما في سورة البقرة والأعراف وطه والسجدة وفصلت ويس وص، إلا هذه السورة وسورتين أخريين (الروم ومريم)، افتتحتن بالحروف المقطعة دون الكتاب أو التنزيل أو القرآن، والحكمة من ذلك الافتتاح هو أن كل سورة في أولها ذكر القرآن والكتاب والتنزيل باعتباره معجزة قدم عليها منبه يوجب ثبات المخاطب لاستماعه، وفي سورتي العنكبوت والروم ذكر في أولها ما هو معجزة وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع، ثم ترد عليه المعجزة وتقرع الأسماع^(١).

ب- لما قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وذلك لأن أهل الكتاب دين ويتفقون مع المسلمين في الايمان بالله ﷻ قال تعالى: ﴿وَالهٰنَا وَالهٰكُمُ وَاٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وبناءً على ذلك أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور، فلما هزم الفرس المجوس الروم أهل، فرح المشركون بذلك، فأنزل الله تعالى آيات تتلج صدر المؤمنين، وتحدثت عن أمر غيبي وهو نصر الروم على الفرس، قال تعالى: ﴿الْم * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٧٩/٢٥).

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
[الرُّوم: ١-٤] (١).

ت- ولقد ذكر الألوسي في وجه اتصال سورة العنكبوت بالروم على ما قاله الجلال السيوطي: "أنها ختمت بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وافتتحت الروم بوعد أهل الكتاب بالغبلة والنصر وفرح المؤمنين بذلك، متضمناً نصرة المؤمنين بدفع شماتة أعدائهم المشركين وهم لم يزالوا مجاهدين في الله تعالى ولأجله ولوجهه ﷻ" (٢).

٣- مناسبة أول السورة بآخرها

إن الناظر المتأمل في آيات السورة الواحدة يجد مدى روعة التناسب ودقة التلاحم والانسجام الذي لا مثيل له، وهذا حال سور القرآن الكريم جميعاً، وسور العنكبوت نموذجاً من تلك النماذج الرائعة، حيث يظهر التناسب في ما يأتي:

١. افتتحت السورة بالفتنة والابتلاء، قال تعالى: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُرَكَّبُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وختمت بالهجرة والجهاد باعتبارهما محطة لتمييز الفريقين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ولإبراز الفئة الجديدة التي تخفي كفرها وتظهر الايمان، إنذاراً ببدء مرحلة جديدة في مجال الدعوة.

٢. يقول سيد قطب: إن سورة العنكبوت كلها متماسكة في خط واحد منذ البدء إلى الختام، حيث تبدأ بالحديث عن الإيمان والفتنة وعن تكاليفها التي تكشف عن معادن النفوس، ثم تتناول الآيات استعراض قصص الأنبياء، نوح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام، وقصص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، استعراضاً سريعاً يصور ألواناً من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان، على امتداد الأجيال، ثم يعقب عليها بالتصغير من قيمة هذه العقبات والتهوين من شأنها (٣).

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٨٠/٢٥).

(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي (١١/١٨).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٥/٢٧١٨).

الفصل الأول

مقاصد وأهداف النصف الأول للحزب الأربعين

الآيات (٥١-٨٨) من سورة القصص

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٧)

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٨-٧٣)

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٤-٨٨)

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٧)

من سورة القصص

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام

المطلب الثاني: الصبر من أعظم صفات المؤمنين

المطلب الثالث: فن التعامل في الإعراض عن اللغو

المطلب الرابع: الهداية القلبية من الله ﷻ وحده

المطلب الأول

الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا بُتِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١-٥٣].

أولاً : المناسبة

بعد انتهاء الجولة السابقة، التي بين الله ﷻ فيها التواء ومراء اليهود، تأخذنا هذه الآيات في جولة جديدة حيث تعرض صورة من استقامة الطبع وخلوص النية، تتجلى هذه الصورة في فريق من الذين أوتوا الكتاب من قبل، وطريقة استقبالهم للقرآن المصدق لما بين أيديهم، ويُعد ذلك دليلاً على صدق الوحي ونبوة محمد ﷺ، حيث أكدت تلك الجماعة من أهل الكتاب الذين آمنوا بالله وحده قبل نزول القرآن، أن إسلامهم وإيمانهم بمحمد ﷺ، نابع من اقتناعهم بصدق وصحة ما أنزل عليه، فقالوا إنا كنا من قبل نزوله موحدين لله، مستسلمين لأمره، مؤمنين بأنه سيبعث محمداً وسيُنزل عليه القرآن^(١).

ثانياً : المفردات القرآنية

﴿ وَصَّلْنَا لَهُمْ ﴾: وَصَّلْنَا " (وصل) الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه"^(٢)، "وَصَلَّتِ الشَّيْءَ وَصَلًّا وَصَلَّةً، وَالْوَصْلُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ، وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ لَمْ يَنْقَطِعْ " ^(٣)، وذكر الأصفهاني "الِاتِّصَالُ: اتِّحَادُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كاتِّحَادِ طَرْفِي الدَّائِرَةِ، وَيضَادُّ الْانْفِصَالَ، وَيَسْتَعْمَلُ الْوَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ، وَفِي الْمَعَانِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي: أكثرنا لهم القول مَوْصُولًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ"^(٤).

والمقصود في الآية: "وَصَّلْنَا أَي فَصَّلْنَاهُ، أَي بَأْنَ فَصَّلْنَا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَقَاصِيصَهُمْ، وَأَقَاصِيصٌ مَنْ مَضَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ"^(٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧٠٠/٥)، التفسير المنير، للزحيلي (١٢٤/٢٠).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (١١٥/٦).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٧٢٦/١١).

(٤) المفردات في غريب القرآن (٨٧٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٤٨/٤).

﴿مُسْلِمِينَ﴾: مسلمين " (سلم) السنين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ومن الباب أيضاً الإسلام وهو الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع"^(١)، "وقيل: السَلْمُ والسَّلَامَةُ: التَّعَرِّي من الآفات الظاهرة والباطنة، وقوله تعالى: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، أي متعرّ من الدَّغْل، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسْلَمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١]، فهذا في الظاهر"^(٢).

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أي كنا من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد ﷺ أنه نبي حق، وذلك لأنهم كانوا يجدون صفة النبي ﷺ في كتابهم فصدقوا به فذلك إسلامهم.

ثالثاً: اللطائف البيانية

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ في الآية الكريمة استئنافان:

(إنه وإنا)^(٣):

الأول: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ تعليل للإيمان به؛ لأن كونه حقاً من الله تعالى حقيقٌ بأن يؤمن به.

الثاني: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيان لقوله آمناً به؛ لأنه يُحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده، فأخبروا أن إيمانهم به متقادم؛ لأن آباءهم القدماء قرأوا في الكتب الأولى ذكر النبي محمد ﷺ وأبناءه من قبل وجوده وذلك؛ لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق بالوحي.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [القصص: ٥٣] استعمل في الآية

أداة شرط (إذا) والشرط هنا يفيد تأكيد وقوع فعل الشرط وهو تلاوة القرآن من قبل المؤمنين على أهل الكتاب، وعليه يتحقق جوابه المرتبط به قطعاً وهو قولهم: آمنا وصدقنا به فهو الحق من الله تعالى.

رابعاً: سبب النزول

يبين الله ﷻ في هذه الآيات القرآنية نموذج من أصحاب النفوس الزكية التي تلقت كلام ربها بكل صدق وإخلاص، فتنزلت آيات الله ﷻ تصفهم وتمدحهم فخراً بإيمانهم، فقد أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي "قال نزلت ولقد وصلنا لهم القول في عشرة أنا أحدهم"^(٤)، وروياً عن إسحاق قال: قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصراني، حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/٩٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٤٢١).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/٤٢١).

(٤) لباب النقول، للسيوطي، (ص: ١٥٠).

قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمأن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، فصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحق منكم، أو كما قالوا لهم؛ فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألو أنفسنا خيراً، ويقال إن نفر النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أي ذلك كان، ويقال - والله أعلم - أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] (١).

خامساً: المعنى الإجمالي

إن جميع الرسالات السماوية التي جاء بها الأنبياء تتبع من أصل واحد وتدعو لذات الشيء ألا وهو توحيد الله ﷻ، فكانت دعوة الرسول ﷺ مداداً لتلك الدعوات حيث تنزل القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ في ثلاثة وعشرين عاماً، وواجهت هذه الدعوة شتى أصناف البشر، فمنهم المستكبر الصاد ومنهم المصدق المؤمن بما أنزل الله ﷻ، وهذه الآيات تعرض نموذجاً صادقاً من المؤمنين بحق من أصحاب الكتاب الذين سبقونا بالإيمان وسلموا تسليماً تاماً بما سمعوه من الرسول ﷺ "والمراد بالذين أتوا الكتاب طائفة معهودة من أهل الكتاب شهد الله لهم بأنهم يؤمنون بالقرآن ويتدبرونه وهم بعض النصارى ممن كان بمكة مثل ورقة بن نوفل (٢)، وبعض يهود المدينة مثل عبد الله بن سلام (٣) ممن بلغته دعوة النبي ﷺ قبل أن يهاجر إلى المدينة فلما هاجر أظهروا

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص: ٢١٨).

(٢) وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ قَصِي: هو ابن عم خديجة رضي الله عنها تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الخط العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي، وقال في حق دعوة محمد ﷺ: هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني أكون فيها جذعاً يا ليتني أكون حياً حين يُخرجك. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ط الرسالة (٢/ ١١٥)).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم من بني قينقاع، وهو من ولد يوسف ابن يعقوب عليهما السلام، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله، وكان إسلامه لما قدم النبي المدينة مهاجراً، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأخبار. (انظر: أسد الغاية، لابن الأثير، (٣/ ١٦٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (٩٢١/٣)).

إسلامهم، وقيل: أريد بهم وفد من نصارى الحبشة اثنا عشر رجلاً بعثهم النجاشي^(١) لاستعلام أمر النبي ﷺ بمكة فجلسوا إلى النبي ﷺ فأمنوا به^(٢)، وهذا دليل واضح على صدق الوحي والنبوة التي جاء بهما محمد ﷺ .

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - الحكمة من إنزال القرآن منجماً

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١] أي أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن متتابعاً مفرقاً بحسب الحوادث والأفضية، يتبع بعضه بعضاً لتتذرع به قريش وتتحداهم بالإتيان على الأقل بأصغر سورة من مثله، وعلق الزحيلي قائلاً: " لقد تتابع إنزال الكتب من عند الله، وإرسال الرسل، وأخبار الأنبياء بعضها ببعض، كتاباً بعد كتاب، ورسولاً بعد رسول، وخبراً بعد خبر، وتتابع أيضاً نزول القرآن منجماً مقسطاً بحسب الوقائع والمناسبات، وعلى وفق الحكمة والمصلحة، ليستمر صوت التذكير والتنبية، وتتجدد الدعوة إلى الإيمان حالاً بعد حال، وزماناً إثر زمان"^(٣).

٢ - العلاقة بين الإيمان والإسلام

لقد اختتمت الآيات السابقة بفصلتين قرآنيتين: ﴿مَنْ قَبِلَهُ هُمْ بِه يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾، وبناء عليهما فإنه يجب التفرقة بين مفهومي الإيمان والإسلام على النحو التالي:

- **الإيمان:** " تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي " ^(٤).
- **الإسلام:** "الانقياد والخضوع والإذعان والاستسلام والامتثال لأمر الأمر ونهيه بلا اعتراض"^(٥).
- **العلاقة بين المفهومين:** اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال فمنهم من قال: إنهما اسمان لمسمى واحد، ومنهم من قال: هما متغايران ومختلفان، أما الإمام الطحاوي قال:

(١) أصحمة بن أبحر النجاشي: ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ، ولم يهاجر إليه، وكان رداءً للمسلمين نافعاً، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/٣٤٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/١٤٣).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢٠/١٢٢).

(٤) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص: ٢٦).

(٥) الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم (٢/١٠٥).

"والقول الوسط هو أن الإسلام والإيمان إذا أفردا اتحد معناهما، وإذا اقترنا وذكرنا جميعاً اختلف معناهما، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، فإذا ذكر الإيمان والإسلام كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان اعتقاد القلب، ولهذا فرق ﷺ بين الإسلام والإيمان في حديث جبريل، فلما قال: (أخبرني عن الإسلام) أخبره بأصول الأعمال الظاهرة، وهي أركان الإسلام، وعندما قال: (أخبرني عن الإيمان) ، فسره له بأصول الاعتقاد وهي الأصول الستة^(١)، "وإن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح وليس أحدهما الآخر فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر"^(٢).

٣- دعوات جميع الأنبياء تنبع من عقيدة واحدة

إن الدين عند الله واحد، اسمه الإسلام، وحقيقته الاستسلام لله بتوحيده وطاعته ﷻ، فهو القائل في محكم تنزيهه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] ، فالتوحيد نداء الأنبياء إلى أقوامهم، وإن اختلفت شرائعهم فكل نبي جاء بشريعة وأحكام خاصة بقومه، تناسبهم ولا تناسب غيرهم فما كان في حق قوم لوط عليه السلام غير ما كان في حق قوم نوح عليه السلام مثلاً، فمثلهم كمثل أغصان الشجرة المعطاءة تنبع من أصل واحد وتسقى بماء واحد وتعطي ثمراتاً مختلفاً ألوانه.

والأدلة واضحة في هذا الشأن، فقد قال الله ﷻ على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، ويقول ﷻ في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وكذا موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وها هو عيسى يدعو قومه لعبادة الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢] ، وفي نهاية المطاف جاء المصطفى ﷺ ليختم هذه الدعوات بالرسالة الخالدة فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) شرح العقيدة الطحاوية، البراك (ص: ٢٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٧/٧).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ).^(١)

٤- إبطال نظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان

منذ أن أشرقت شمس الإسلام على الأرض وأعداؤه على اختلاف عقائدهم وملتهم، يكيّدون له ليلاً ونهاراً، ويمكرون بأتباعه كلما سنحت لهم الفرصة؛ ليخرجوا المسلمين من النور إلى الظلمات ويضعفوا سلطانه على النفوس، ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى إذ يقول: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فالدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الإنسانية الخالد عقيدة وشريعة، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأديان الذي نزل به خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا بد من التنبيه من مفهوم وحدة الأديان التي تثيرها وسائل الإعلام بشأن الدعوة إلى الوحدة بين دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة وحتى لا يلتبس على القارئ المعنى فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة ما يأتي:^(٢)

أ- لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتم الرسالات السماوية، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يُتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ب- القرآن الكريم هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل، من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها.

ت- يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ٤/١٨٦، حديث (٣٥٣٥).

(٢) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر بن عبد الله أبو زيد فتوى رقم

(١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥/١/١٤١٨هـ، من قائمة الملاحق، ملحق رقم "١"، (ص: ١٠٣)

ث- أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ج- أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافراً، وأنه من أهل النار إن بقي على كفره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

ح- وحدة الأديان والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة مأكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجُرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصادق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

خ- أن الدعوة إلى وحدة الأديان إن صدرت من مسلم يدرك مهناتها فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله ﷻ، وتبطل صدق القرآن.

أخيراً: وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في

الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

٥- ما الحكمة من تسمية ديننا بالإسلام؟

إن أغلب ما في الأرض من مختلف الديانات قد سميت بأسمائها نسبة إلى اسم رجل خاص، أو أمة معينة، فالنصرانية أخذت اسمها من النصارى، وتسمت البوذية على اسم بانيتها بوذا، واشتهرت الزرادشتية بهذا الاسم لأن مؤسسها وحامل لوائها كان زرادشت، وكذلك ظهرت اليهودية بين ظهرائي قبيلة تعرف يهوذا، فسميت باليهودية، وهلم جرا، إلا الإسلام فهو لا ينتسب إلى رجل خاص، ولا إلى أمة بعينها، وإنما يدل اسمه على صفة خاصة يتضمنها معنى كلمة الإسلام، وهو الانقياد والامتثال لأمر الأمر ونهيه بلا اعتراض، وقد سمي ديننا بالإسلام؛ لأنه طاعة لله وانقياد لأمره بلا اعتراض، ومما يظهر من هذا الاسم أنه ليس خاصاً بأمة معينة دون سائر الأمم، وإنما غايته أن يسود الأرض جميعاً، فهو رسالة حياة وأمل وصفات لا يبد من التحلي والاستمساك بها^(١):

سابعاً: العبر المستفادة من الآيات

١- وجوب التصديق بكل ما جاء به محمد ﷺ، فهو ما ينطق عن الهوى.

(١) انظر: الإسلام أصوله ومبادئه، د. محمد بن عبدالله بن صالح السحيم (١٠٥/٢).

٢- إن اجتمعت كلمتي الإسلام والإيمان اختلفتا، وإن افرقتا فهما على معنى واحد، وهذا المعنى الأسلم للفرق بينهما.

٣- لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوة إلى فكرة وحدة الأديان الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليقها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٤- يقول الزحيلي: القرآن الكريم ذكرى متجددة دائمة للأجيال، بما تكفل له من الصون والحفظ، إرادة أن يتذكر الناس به فيؤمنوا به ويعملوا بموجبه، فيفلحوا، ويقلّعوا عن اتباع الأديان الباطلة المنسوخة، وعن الأهواء والشهوات البائدة الفارغة، والوثنية البدائية المنافية لكرامة الإنسان، والمصادمة للعقل البشري السوي^(١).

المطلب الثاني

الصبر من أعظم صفات المؤمنين

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

أولاً: المناسبة:

وتأتي هذه الآية الكريمة في ظل استكمال وصف مؤمني أهل الكتاب، الذين آمنوا بما أنزل على محمد ﷺ بمجرد سماع الحق، فكان جزاء صبرهم وثباتهم على الإيمانين أن آتاهم الله أجراً مضاعفاً، حيث مدحهم الله ﷻ، بآتصافهم بمكارم الأخلاق، حين صبروا على الأذى وقابلوا الإساءة بالإحسان، كما مدحهم على نفقة أموالهم في الطاعة.

ثانياً: المفردات القرآنية:

﴿صَبَرُوا﴾: الصبر مشتق من مادة صبر: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة؛ فالأول: الصبر وهو الحبس، يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبسْتُها، والمصبورة المحبوسة على الموت، وأما الثاني فقالوا: صَبِرَ كُلُّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ، وأما الأصل الثالث فالصُّبْرَةُ من الحجارة: ما اشْتَدَّ وَغُلُظًا^(٢).

(١) التفسير المنير (١٢٢/٢٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٢٩).

الصبر شرعاً: "الصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب"^(١)، وقال الجرجاني: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله ﷻ لا إلى الله ﷻ"^(٢).

﴿وَيَذْرُؤُنَّ﴾: درأ، درأه يدرؤه درءً ودرأةً، والدرء الدفع، وتدارأ القوم أي تدافعوا في الخصومة، قال تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أي اختلفتم وتدافعتم، والمدارأة: المخالفة والمدافعة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْرُؤُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي

في ظلال هذه الآيات الكريمة يستمر الوصف الرباني لتلك الفئة المؤمنة وهم جماعة من علماء أهل الكتاب الأصفياء العقلاء، من اليهود والنصارى، الذين عاصروا النبي ﷺ وآمنوا بالقرآن لما وافق ما عندهم من البشارة بإرسال محمد ﷺ رسولاً، فنتيجة صبر وتحمل تلك الجماعة على ما واجهت من أذى وسخرية؛ بسبب إيمانهم بالله ﷻ حق الإيمان، أن آتاهم الله أجرهم مضاعفاً ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ يعني أجر الإيمان بالكتاب الأول، وأجر الإيمان بالكتاب الثاني،^(٥) فعن رسول الله ﷺ قال: (ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ...)^(٦) فالصبر خلق فاضل من أخلاق النفس يتمتع بها المرء عن فعل ما لا يحسن، وإضافةً لاتصافهم بهذا الخلق الفاضل، فقد قابلوا من أساء لهم بالإحسان والفضيلة، وذكر بعض المفسرين أقوالاً عدة للآية: ^(٧)، قال تعالى: ﴿وَيَذْرُؤُنَّ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون قول المشركين بالمعروف، ويدفعون الشرك بالإيمان، ويقال يدفعون بالكلام الحسن الكلام القبيح،

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم (ص: ١٦ - ١٥).

(٢) التعريفات (ص: ١٣١).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧١/١).

(٤) انظر: الوجيز، للواحي (ص: ٨٢٢)، وجامع البيان، للطبري (٥٩٦/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٤٩/٤).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (١٤٧/٤)، وتفسير البغوي (٢١٤/٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (١٨/٧)، صفوة التفسير للصابوني (٤٠٣/٢).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، (١٣٤/١)، حديث (١٥٤).

(٧) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٦١٢/٢)، تفسير السمعاني (١٤٧/٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٧/٢٤)، واللباب في علوم الكتاب لسراج الدين النعماني (٢٧٢/١٥)، فتح القدير للشوكاني (٢٠٦/٤).

ويقال يدفعون ما تقدم لهم من السيئات بما يعملون من الحسنات، ويقال يدفعون بقول (لا إله إلا الله) الشرك، ويقال بالمعروف المنكر، وبالخير الشر، ويقال وبالعلم جهل الجاهل، ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة، ويحتمل أن يكون المراد دفعوا بالعفو الصّح الأذى، وقيل بالتوبة والاستغفار من الذنوب.

وترى الباحثة: أنه بناءً على تلك الأقوال السابقة الذكر؛ فإنها تستحق فعلاً الأجر

العظيم المضاعف لهم بأمر الله ﷻ، فتلك هي صفات المؤمنين حقاً.

رابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - جملة من خصال أهل البر والصلاح

لقد خُصت الآية الكريمة بوصف الجماعة المؤمنة بالوحي ونبوة رسول الله باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ تنبهاً على أن ما سيذكر بعده من أجل الخصال وأرفعها خاص بهم وبمن سار على نهجهم، فقد اشتملت الآية الكريمة على أربع خصال من خصال أهل الكمال التي اتصف بها تلك الجماعة وهي كالاتي: (١)

الخصلة الأولى: صفة أخروية وهي مضاعفة الأجر ضعفين على إيمانهم بكتابتهم من قبل ثم إيمانهم بالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.

الخصلة الثانية: الصبر، فهو من أعظم خصال البر وأجمعها للميرات والمراد بالصبر هو صبرهم على أذى أهل ملتهم وعلى أذى قريش، قال تعالى: ﴿بِأَصْبِرُوا﴾.

الخصلة الثالثة: مقابلة الإساءة بالإحسان، وفيها دعوة لحسن المعاشرة، فدفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم، قال تعالى: ﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

الخصلة الرابعة: الإنفاق في سبيل الله، فمن بلغ تلك المرتبة الراقية من جملة الصفات السابقة الذكر، فإنه لا شك أنه يتوقع منهم الإنفاق على فقراء المسلمين بمكة، قال تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

٢ - أهمية الصبر في الدعوة إلى الله ﷻ وفوائده:

لقد أخبرنا الله تعالى بطبيعة الحياة الدنيا، وأنها خلقت ممزوجة بالبلاء والفتن قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]، لذلك كان لزاماً علينا الصبر في جميع مناحي الحياة وخصوصاً في مجال الدعوة إلى الله ﷻ،

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٤/٢٠)، الفواتح الإلهية والمفتاح الغيبية للنخجواني (٨٦/٢).

فالصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات، ومن أعظم الواجبات على الدعاة لكي يستطيع الداعية الاستمرار في دعوته، فإذا فقد الداعية الصبر وطول النفس؛ فحالُه أشبه بمن يسير في طريق مليء بالأشواك وهو حافي القدمين، أو من يريد السفر في بحر لجى عاتي الأمواج بلا مركب، ونستذكر في هذا المقام نصيحة لقمان الحكيم عندما أوصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قرن ذلك بالصبر قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، ولا نجد أصبر من حبيبنا محمد ﷺ في دعوته لقومه.

وللصبر في الدعوة الإسلامية أهمية عظيمة وفوائد كثيرة منها^(١):

- أ- أوضح الله ﷻ للناس أنه لا بد من الابتلاء ليظهر المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والصابر من غيره. يقول ﷻ: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].
- ب- الابتلاء للدعاة أمر لا بد منه فلو سلم منه أحد لسلم رسل الله صلوات الله عليهم وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ الذي أودى في الله كثيراً حيث قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقَدْ أَخَفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُودَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ)^(٢).
- ت- عظم أجر وثواب الصابرين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فكل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر فتوابه من الله ﷻ غير محدود.
- ث- الصبر سبب في العزة والكرامة وانتقال الإنسان من حالة الضعف إلى حالة القيادة والرئاسة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].
- ج- بالصبر والتقوى نُفْشَلُ كَيْدَ الْأَعْدَاءِ، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

(١) الصبر والثبات في مواجهة الحصار، دراسة تطبيقية على حصار قريش للنبي ﷺ ومن معه، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، د. نعيم أسعد الصفدي، (ص: ٣-٥).

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة أولي الحوض، (٤/٦٤٥)، حديث (٢٤٧٢) وقال عنه: حسن صحيح.

٣- أحكام الصبر:

قال ابن القيم : الصبر واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان نصف صبر، ونصف شكر، ولقد أمرنا الله ﷻ بالصبر في أكثر من موضع في كتابه العزيز^(١)، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، كما نهى ﷻ عن ضده قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ونستطيع القول بأن هذا الحكم عام باعتبار الصبر خلقاً يجب الإتصاف به، لكن يجب التفصيل في هذا الحكم باعتبار تعلقه بالأحكام الخمسة على النحو الآتي: ^(٢)

أ- صبر واجب: كالصبر على الطاعات والمصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض، والصبر عن المحرمات.

ب- صبر مندوب: كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.

ت- صبر محرم: كالصبر على المحرمات: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت أو يصبر على ما يهلكه وهو يستطيع مدافعة ذلك بالأسباب النافعة.

ث- صبر مكروه: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.

ج- صبر مباح: وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خَيْرٍ بين فعله وتركه.

٤- صور من تطبيق الصبر في الدعوة

❖ صبر الرسول ﷺ في طريق دعوته:

يعد المصطفى محمد ﷺ أعظم صابر ومرابط في طريق الدعوة إلى الله ﷻ، فقد حاول كفار مكة صده عن دينه بكل أشكال وألوان الصد، فتارة يلقون على جسده الطاهر سلا الجزور^(٣)، وهو ساجد بين يدي الله ﷻ، وتارة أخرى يحاولون قتله فأنجاه الله منهم، كما حاولوا الفتك بكل من اتبع دين محمد ﷺ، أو أراد التصديق عليهم في محاولة منهم إرغام النبي ﷺ على التخلي عن دعوته، فذهبوا إلى عمه أبي طالب، وطلبوا منه إقناع ابن أخيه بترك دينه فكان رده عليهم أن قال: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، وكذلك حاصروه وأصحابه في شعب

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٥١/٢).

(٢) انظر: أنواع الصبر ومجالاته، د. سعيد بن علي بن وهف بن محمد القحطاني (ص: ١٨).

(٣) سلا الجزور: وهو اللقافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الأدمية المشيمة،

(انظر: شرح النووي على مسلم (١٥١/١٢).

أبي طالب لثلاث سنين حتى جاعوا وأكلوا ورق الشجر، لكن كل محاولاتهم باءت بالفشل، ورأى المشركون خلاف ما سعوا إليه ، فدعوة محمد بدأت بالانتشار وأنصاره في تزايد مستمر، فغاظهم أن محمداً لم يضعف، ولم يترك دعوته^(١).

❖ صبر الفئة المرابطة في أكناف بيت المقدس:

إن لبيت المقدس وأكنافه قدسية إسلامية عظيمة، فهي تمثل في حس المسلمين ووعيمهم الإسلامي القبلة الأولى، وأرض الإسراء والمعراج، وثالث المدن المعظمة، وأرض النبوات والبركات، وأرض الرباط والجهاد كما بينت الآيات الدالة على بركة هذا المكان، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وبالرغم من عظم مكانها إلا أنه لم يبق من هذه الأمة من يدافع عن هذا الصرح الإسلامي المقدس، غير أهلها، فهم رأس رمح التصدي للمشروع اليهودي الذي يقضي بتهود مدينة القدس وإلغاء معالمها الإسلامية ، فصبراً يا قدس صبراً.

لكن هنالك أناس يفكرون في القدس ويرابطون فيها، متحملين شتى أصناف العذاب والاضطهاد من القتل والسجن والضرب وسحب الهويات الفلسطينية، وتشريدهم من بيوتهم بحجج واهية، واقامة المستوطنات على أراضيهم، ورغم ذلك صابرين وصامدين مثل من سبقوهم من أهل الايمان والحق والتوحيد من الأنبياء والصحابة، فقد قال فيهم رسول الله ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوَّهُمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ^(٢) حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)^(٣).

سادساً: العبر المستفادة من الآية

١. يقول ابن القيم: الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والفناء في البلوى، بلا ظهور ولا شكوى، وتعويد النفس الهجوم على المكاره، والصبر على ثلاثة أنواع: ^(٤)

(١) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، لأحمد غلوش (ص: ٣٥٥).

(٢) لأوَاء: المشقة والشدة وضيق المعيشة، (انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٣٨/١٥) ، تاج العروس، للزبيدي (٤٢٨/٣٩).

(٣) مسند أحمد، ط الرسالة، (٦٥٧/٣٦)، حديث (٢٢٣٢٠)، صححه الألباني.

(٤) انظر: مدارج السالكين (١٥٧/٢-١٥٦).

- **صبر بالله:** صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصير، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].
- **الصبر لله:** وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهاره قوة النفس، والاستحمام إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.
- **الصبر مع الله:** وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، أي قد جعل نفسه وفقاً على أوامره ونواهيه، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها، وهو صبر الصديقين.
- ٢. الصبر من أبرز الأخلاق الوارد ذكرها في القرآن، ونرى دوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فإن قلبت نظرك في خلقٍ أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر، فمثلاً العفة صبر عن شهوة الفرج، وشرف النفس صبر عن شهوة البطن، والزهد صبر عن ترف العيش، والقناعة صبر عن طمع النفس وجشعها، والحلم صبر عن الغضب، والعفو صبر عن إجابة داعي الانتقام.
- ٣. الصبر إما أن يكون اختياراً أو اضطراراً فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر وأنه يحمد عليه ويذم على الجزع، أما اللئيم فإنه يصبر اضطراراً فهو يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدى عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم.^(١)
- ٤. إن الصبر عند المصيبة يسمّى إيماناً، و الصبر عند الأكل يسمّى قناعةً، وعند حفظ السر يسمّى كتماناً، ومن أجل الصداقة يسمّى وفاءً، فاحرص على أن تكون صبوراً.
- ٥. التجرد من الهوى والعصية والمصلحة الذاتية سبب في وصول المرء لحقيقة الإيمان الخالص لله ﷻ بكل سهولة ويسر.

المطلب الثالث

فن التعامل في الإعراض عن اللغو

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

أولاً: المناسبة

وتأتي الآية الكريمة استكمالاً لوصف الفئة المؤمنة من أهل الكتاب الصابرة على أذى المشركين، حيث ذكر الله ﷻ لهم صفة جديدة وهي الإعراض عن اللغو ومشاركة الجاهلين في

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم (ص: ٥٢).

لهوهم، حيث إنه " لما ذكر أن السماح بما تضمن النفوس به من فضول الأموال من أمارات الإيمان، أتبعه أن حزن ما تبدله الألسن من فضول الأقوال من علامات العرفان" (١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿اللُّغُو﴾: اللغو هو " السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع" (٢) وقد عرف الجرجاني اللغو بأنه "ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه، وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم" (٣).

﴿الْجَاهِلِينَ﴾ جهل يجهل جهلاً، والجهل في اللغة على ثلاثة أضرب: (٤)

الأول: خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً.

والمقصود بقوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة

والمسابة، ونؤثر الكلام الطيب، ولا نطلب صحبتهم ولا نريدها، ولا نريد أن نكون من أهل السفه والجهل، فنعاملكم بالمثل (٥).

ثالثاً: اللطائف البيانية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تخصيص ذكر اللغو بمعنى السب

والشتم، قال ابن عطية " اللغو سقط القول، والقول يسقط لوجه يعز حصرها، فالفحش لغو، والسب لغو، واليمين لغو حسب الخلاف فيه، والمراد في هذه الآية ما كان سباً وأذى فأدب أهل الإسلام الإعراض عنه" (٦).

قال تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ الجملة فيها تعليل للمتاركة وعدم مخالطة أهل

الجهالة؛ فاستعمل الجهل في معنياه المشترك وهما خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل، واعتقاد الشيء بخلافه فيها، ولعله تعريض بكنية أبي جهل الذي بدا عليهم بلسانه (٧).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٣١٦/١٤).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢٥٠/١٥).

(٣) التعريفات (ص: ١٩٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٢٠٩).

(٥) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (١٩٢٧/٣).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٩٢/٤).

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٦/٢٠).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (إذا) أداة شرط لما يستقبل من الزمان تفيد تأكيد وقوع الشرط، وهو سماع المؤمنين من أهل الكتاب للغو من الشتم والأذى من الكفار، وعليه يتحقق جوابه المرتبط به قطعاً وهو الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه.

رابعاً: المعنى الإجمالي

وضع الإسلام قواعد وأصول التعامل مع أصناف البشر المختلفة، ومبادئ للقيم والسلوك والأخلاق، ليقيم عليها مجتمعاً نقيّ السريرة، عفاً للسان، ذا أدبٍ وذوقٍ رفيع في التعامل مع الآخرين مسلمين كانوا أم غير ذلك، لذلك تجسد هذه الآلية موقفاً من أخلاق الذين اختاروا النهج الصحيح أي " أنهم إذا سمعوا من المشركين أو غيرهم لغو الكلام، وهو الساقط من القول، من أذى وتعيير وسبّ وشتم وتكذيب، أعرضوا عن أهله، ولم يخالطوهم ولم يعاشروهم، بل كانوا كما قال الله ﷻ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] (١).

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- القرآن يعقد موازنة بين الأضداد (الصالحين والجاهلين)

تميزت آيات القرآن الكريم في أكثر من موضع ببيان الفرق الشاسع بين أهل الصلاح وأهل اللغو وذلك بعقد موازنة بين الأضداد، وتعارض الفئات، ليعرف الناس ألوان الفرق، ويتبينوا الهدى من الضلال، ويعرفوا مصير أعمال كل فئة (٢)، وقد خرجت الباحثة بالنقاط التالية:

- أ- إعراض الكافرين عن القرآن وإقبال المؤمنين عليه: فنجد أن أهل اللغو واللغو يعرضون عن ذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَرَأَىٰ مُمْسِكَبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، وفي المقابل نجد أن أهل الصلاح حالهم مغاير لذات الموقف فقد قال فيهم الله ﷻ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].
- ب- إعراض المؤمنين عن اللغو وإقبال الكافرين عليه: فأهل الصلاح لا يلقون بالاً للغو ولا يسعون وراءه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، وفي المقابل نرى أهل اللغو ينفنون في سبل الضلال والفساد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لُحُومَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦].

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٢٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٣/٢٠١٨).

ت- الثمرة متفاوتة: فأهل اللهو من الكافرين لهم العذاب الأليم لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] ، أما أهل الإيمان والعمل الصالح لهم المقام الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨].

٢- التوجيه القرآني في الإعراض عن اللغو

لما بين الله كيفية اشتغال الصالحين بالطاعات والأفعال الحسنة بين أيضاً كيفية إعراضهم عن الجاهل حيث ترسم هذه الآيات صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها، التي لا تأبه بأي عارض أو صدٍ عن طريق الصواب فتراها تقيض بالترفع عن اللغو، وتتسع بالسماحة والود، وتحدد المسار لكل من يريد أن يتأدب بأدب الله ﷻ بصورة واضحة لا لبس فيها، من دون مشاركة للجاهل، ولا مخاصمة لهم، إنما هو درب الترفع والسماحة وحب الخير حتى للجارم المسيء، فهذه القلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو، ولا تستمع إلى ذلك الهذر، واللغو لأنه فارغ الحديث، الذي لا طائل تحته، ولا حاصل وراءه، وهو الهذر الذي يقتل الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً، ولا معرفة مفيدة، وهو البذيء من القول الذي يفسد الحس واللسان، فهذه النفوس مشغولة بتكاليف الإيمان، مرتفعة بأشواقه، منطهرة بنوره. (١)

وترى الباحثة من الآية السابقة عدة خطوات في فن التعامل مع الآخرين حال

الإعراض عن اللغو:

أ- الترفع والإعراض في قوله تعالى: ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

ب- عدم مجارة أهل الباطل في باطلهم في قوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.

ت- ترك اللاغين في موادة وسلام في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

٣- حكم إفشاء السلام في الإسلام

السَّلَام هو اسم الله ﷻ كما قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾

[الحشر: ٢٣] ، ولقد حث المصطفى ﷺ على إفشاء السلام، وذلك باعتبار رد السلام رسالة محبة وتفاهم وضرورة لا بد من نشرها بين الناس، وتحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، تحية ملئها محبةً ومودةً؛ لذلك كانت هذه التحية تحية أهل الجنة يوم يلقون ربهم قال تعالى:

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/٢٧٠١-٢٧٠٢).

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

والسلام ينصرف على معنيين: (١)

المعنى الأول: المسالمة التي هي بمعنى المتاركة.

المعنى الثاني: التحية التي هي دعاء بالسلامة والأمن.

وبناءً على ذلك التقسيم لمعنى السلام فإن حكم السلام يكون كالاتي:

• إذا كان السلام في حق المسلمين فهذا ما دعانا إليه رسولنا الكريم نحو تسليم المسلمين بعضهم على بعض وهو هنا بمعنى الدعاء بالسلامة.

• أما إذا كان السلام في حق غير المسلمين فهو يكون بمعنى المتاركة ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

أما المقصود من قوله تعالى في هذا المقام ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ليس تسليم التحية، وإنما هو تسليم المتاركة والمسالمة، أي: بيننا وبينكم المتاركة والمسالمة، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال^(٢)، وسلام المتاركة " معناه سلمتم منا لا نعاوضكم بالشتم والقبح من القول"^(٣).

سادساً: العبر المستفادة من الآية

١- حق المؤمن على أخيه المؤمن ست إحداهما أن يسلم عليه إذا لقيه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦].

٣- لقد أوصى النبي ﷺ في حق الكفار أن لا تبدؤهم بالسلام وأنه إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم دون زيادة ، أخرج البخاري عن أنس بن مالك ؓ قال: قال النبي ﷺ (إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)^(٤).

٣- في بعض المواقف تكون المهادنة هي الأفضل في التعامل، لأنها تفتح جسور المودة والتفاهم والقناعة.

(١) انظر: أحكام القرآن، للجصاص (٢١٦/٥).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (٦١٣/٢)، الكشاف، للزمخشري، (٤٢٢/٣)، أحكام القرآن، للكياهراسي (٣٣٥/٤).

(٣) تفسير البغوي (٥٣٩/٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يُرد على أهل الذمة السلام، (٥٧/٨)، حديث (٦٢٥٨).

٤- إن قوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هو الكلام الفصل، ومن أحسن ما يجاب به السفهاء وهو أقرب لإصلاحهم وأسلم من تزايد سفههم، فأدب الحوار أمر لا بد منه في التعامل مع الآخرين سواء كانوا مسلمين أم غير ذلك^(١).

المطلب الرابع

الهداية القلبية من الله ﷻ وحده

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِظُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ نَمْرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصر: ٥٦-٥٧].

أولاً: المناسبة

بعدما رسمت الآيات السابقة صورة وضيئة للنفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها من أهل الكتاب الذين آمنوا بالله ورسوله حيث لم يزد الرسول ﷺ في جهاده معهم للإيمان على أن يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم، فترى أخلاقهم التي تفيض بالترفع عن اللغو، وتفيض بالسماحة والود، وترسم الطريق لكل من أراد أن يتأدب بأدب الله ﷻ، وأن يسلك طريقاً واضحاً لا لبس فيه، فلا مشاركة للجهال، ولا مخاصمة لهم، فجاءت الآيات هنا لتوضح الصورة الثانية من أهل مكة المدعويين للإسلام وبيان إعراضهم عن الدخول فيه، والحجج التي يعتذرون بها لرسول الله ﷺ حيث أنه بلغ كل جهده ليؤمنوا، وبالأخص عمه أبو طالب الذي أحب بكل نفسه أن يهديه للإسلام، فلم يُقدر الله ﷻ له ذلك لأمر يعلمه من نفسه^(٢).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿لَا تَهْدِي﴾ ﴿يَهْدِي﴾ ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿الْهُدَى﴾ "الهاء والذال والحرف المعتل أصلان: أحدهما التقدم للإرشاد، يقال هديته الطريق هدايةً، أي تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هاد، والهدى خلاف الضلالة، والآخر بعثة لطف"^(٣).

الهداية: "هي إمالة القلب من الباطل إلى الحق، وذلك من خصائص قدرة الحق - سبحانه - وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق توسعاً"^(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٤٥/٢٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧٠٢/٥).

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٢/٦).

(٤) لطائف الإشارات، للقسيري (٧٣/٣).

﴿أَحْبَبْتُ﴾ الحب: " نقيض البغض، والحب: الوداد والمحبة"،^(١) وقال الفراء الحب في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ عَلَى جَهْتَيْنِ^(٢):

الأولى: إنك لا تهدي من تُحِبُّه للقرابة.

الثانية: إنك لا تهدي من أحببت أن يهتدي كقولك: إنك لا تهدي من تريد، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يهديه.

﴿تَخَطَّفُ﴾ وفيها لغتان (خَطَفَ) بالفتح، (خَطِفَ) بالكسر، والخَطْفُ الأخذ في سرعة واستلاب، ويقال خَطَفَهُ أي: اجتذبه بسرعة، والتخطف: الانتزاع بسرعة^(٣).

﴿حَرَمًا﴾ الحاء والراء والميم أصل واحد، وهو المنع والتشديد، والحَرَامُ: ما حرم الله وهو ضد الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكُنَاَهَا﴾ [الأنبياء: ٩٥] ، والمُحَرَّمُ: الداخل في الشهر الحرام، والحَرَمُ: أرض مكة وما أحاط بها إلى قريب من الحرم، وهي مما لا يحل صيده ولا يقطع شجره^(٤).

وقوله تعالى: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ أي "لا يخاف من دخله أن يقام عَلَيْهِ حَدٌّ ولا قصاص فكيف يخافون أن تستحل العرب قتالهم فِيهِ"^(٥).

﴿يَجْبِي﴾ الحيم والباء وما بعده من المعتل أصل واحد يدل على جمع الشيء والتجمع، يقال جَبَى وَجَبَاهُ وَجَبِيهِ: أي جَمَعَهُ، وَجَبَيْتُ الْمَالَ أَجْبِيَهُ جَبَايَةً، وَجَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ، والحوض نفسه جابية، والجَبْوَةُ والجَبِيَّةُ: الحالة من جبي الخراج واستيفائه^(٦).

ثالثاً: اللطائف البيانية:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي﴾ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بينهما طباق السلب.

﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ مجاز عقلي، نسب الأمن إلى الحرم، وهو لأهله، وعلاقته المكانية^(٧).

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢٨٩/١).

(٢) انظر: معاني القرآن (٣٠٧/٢).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٧٥/٩)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣٨٩/٣).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢٠/١٢)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٥/٢).

(٥) معاني القرآن، للفراء (٣٠٨/٢).

(٦) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٥٠٣/١)، لسان العرب، لابن منظور (١٢٨/٤).

(٧) التفسير المنير، للزحيلي (١٣٠/٢٠).

﴿يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ذُكِرَتْ ﴿يُجِبِي﴾ مع أن المقصود به الثمرات وهي مؤنثة للتفريق بينهما بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾، ولأن تأنيث الثمرات تأنيث جمع وليس بتأنيث حقيقي^(١).
قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطْفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾ استعمل في الآية أداة شرط (إن) والتي تُشعر بعدم الجزم بوقوع الشرط غالباً؛ والإشعار بالتشكيك بوقوع فعل الشرط من المشركين وهو اتباع الهدى مع النبي ﷺ.

رابعاً: القراءات المتواترة

قال تعالى: ﴿يُجِبِي﴾ فيها قراءتان^(٢).

قرأ المدنيان (أبو جعفر^(٣) ونافع^(٤)) ورويس^(٥) بالتاء على التأنيث (تجبي)، وقرأ الباقرن بالياء على التذكير ﴿يُجِبِي﴾.

▪ **التوجيه:** ذكر الفعل لأن تأنيث الثمرات تأنيث مجازي، غير حقيقي فإذا كان كذلك كان بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت، والصيحة إذا ذُكرت كان حسناً، وكذلك إذا أنثت.

خامساً: سبب النزول^(٦)

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

(١) معاني القرآن، للفراء، (٣٠٨/٢).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٣٤٢/٢)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: ٥٤٨)، الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٤٢٤/٥).

(٣) أبو جعفر المدني: (المتوفى: ١٣٠هـ) هو يزيد بن القعقاع الإمام المخزومي المدني الفارسي، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، قرأ القرآن على موله عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وفاقاً، وقرأ على عبد الله بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم، ومن أشهر رواته سليمان بن مسلم بن جمار وعيسى بن وردان، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٣٨٢/٢)، معرفة القراء للذهبي (ص: ٤٠).

(٤) نافع المدني: (٧٠ - ١٦٩هـ) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولى جعونة بن شعوب الليثي، أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح، أصله من أصبهان وكان أسود اللون حالكا صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، ومن أشهر الرواة عنه: قالون وورش (انظر: غاية النهاية، لابن الجزري (٣٣٠/٢).

(٥) رويس: (المتوفى: ٢٣٨) هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ حاذق ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، روى القراءة عنه عرضاً محمد بن هارون التمار والإمام أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبير الشافعي، توفي بالبصرة، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٢٣٤/٢).

(٦) انظر: لباب النقول، للسيوطي، (ص: ١٥٠)، أسباب النزول، للواحدي (ص: ٣٣٧).

أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ: (يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه ويعاودانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " مَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ" (١).

وفي رواية أخرى، أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، قال أبو طالب: لولا أن تُعَيِّرَنِي قريش يقولون إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

٢. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ .

أخرج النسائي عن ابن عباس أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، لكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣).

سادساً: المعنى الإجمالي

افتتحت الآية الكريم بخطاب الله ﷻ لنبيه وصفيه محمد ﷺ بأن يا محمد " لك شرف النبوة، ومنزلة الرسالة، وجمال السفارة، والمقام المحمود، والحوض المورود، وأنت سيد ولد آدم، ولكنك لا تهدي من أحببت فخصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية" (٤)، لأن الله ﷻ يهدي ويرشد من يشاء إلى دينه بتوفيقه للإيمان به وبرسوله، وهو أعلم بالمهتدين، أي بمن فُدر له الهدى، قال الفراء: "وقد أجمع المفسرون أن هذه الآية نزلت في أبي طالب،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، (٩٥/٢)، حديث (١٣٦٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، (٥٥/١)، حديث (٤٢).

(٣) انظر: لباب النقول للسيوطي (ص: ١٥٠)، أسباب النزول للواحي (ص: ٣٣٩).

(٤) لطائف الإشارات، للقسيري (٧٣/٣).

وجائز أن يكون ابتداء نزولها في أبي طالب وهي عامة، لأنه لا يهدي إلا الله ﷻ، ولا يرشد ولا يوفق إلا هو، وكذلك هو يضل من يشاء^(١)، حيث إن هذا الخطاب للنبي ﷺ خاصٌ بدعوته لعمه أبي طالب الذي ظلَّ على دين قومه، ولكنه كان يحمي رسول الله حماية عصبية قري وأهل، لا محبة في الإسلام، إلا أنه لم تقتصر دعوة النبي ﷺ للهدى على عمه أبو طالب، بل امتدت لقومه، وفي المقابل نرى جواب قومه له أن قالوا: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، أي إن اتبعناك بالإيمان والتوحيد لله ﷻ نُسَلَبُ ونؤخذ من أرضنا، ونُخرج من مكة لإجماع العرب على خلافنا، ونعترض للقتل والأسر ونهب الأموال، فرد الله ﷻ على كذبهم بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾، أي آمنهم بحرمة البيت، ومنع منهم العدو، فكيف يخافون أن تستحل العرب قتالهم فيه، حيث كان الحرم آمناً لهم في الجاهلية من الغارة والسبي، وهم يعبدون غير الله ﷻ، فكيف يخافون إن أسلموا أن لا يكون الحرم آمناً لهم، وزيادة فوق لك الفضل، فإن الله أسكنهم بأرض يُحمل إليها من كل ألوان الثمر وهي صحراء شحيحة الماء والكأ^(٢).

سابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١. مسألة الهداية والضلال هي قلب أبواب القدر ومسائله^(٣)

إن من أفضل ما يقدره الله لعبده هو الهدى؛ فهو من أعظم النعم، وأعظم ما يبئليه به ويقدره عليه هو الضلال، وقد يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن الله ﷻ اختص بعض عباده بالهداية والبعض الآخر بالضلال، بل ويحتجون بالقدر لما يصدر عنهم من كفر أو معصية أو تقصير، زاعمين أن مشيئة الله نافذة وغالبة، وتراهم يتواكلون ويقصرون في حق الله ﷻ محتجين بفهم بعض الآيات فهماً خاطئاً، أو ربما يُقنعون أنفسهم بالخطأ، ويقولون لو أراد الله أن يهدينا لهدانا، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٤٩/٤).

(٢) انظر: الوجيز، للواحيدي، (ص: ٨٢٢)، بحر العلوم، للسمرقندي، (٢/٦١٤)، جامع البيان، للطبري (٦٠١/١٩).

(٣) انظر: مقال بعنوان: (مراتب الهداية في القرآن الكريم)، محمد فتحي حسان، تاريخ الإضافة:

<http://www.alukah.net/sharia> - ١٤٣١/٦/٢ هجري - ٢٠١٠/٥/١٦ ميلادي

لكن جاءنا القرآن يُوضح لنا ما في هذه القضية من لبس حين نعرف أن الهداية الواردة في القرآن الكريم على أنواع أربع، حيث يقول ابن القيم: فاعلم أن أنواع الهداية أربعة^(١):

النوع الأول: الهداية العامة وهي المشتركة بين الخلق التي قال فيها تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠] أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشبهه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، فهدى الرجلين للمشي، واللسان للكلام، والعين لكشف المرئيات، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، فهدى الحيوان ومثال ذلك أنه هدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً، ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذلة لها، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩] ، حتى الجمادات هداها هداية تليق بها ، وإن اختلفت أنواعها وصورها.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فإنها دعوة المرسل إلى المرسلين بالإيمان والتوحيد، فهي إلى النبي، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي نور يُقذف في القلب فيحيا به القلب بعد موات، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ يقول الزمخشري: "لا تقدر أن تُدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم، لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يُدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه"^(٢).

النوع الرابع: الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلها إليهما، قال تعالى في هداية أهل الجنة عند دخولها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩] ، وقال في هدايته لأهل النار عند الحساب: ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصفافات: ٢٢-٢٣] .

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣٥/٢-٣٧).

(٢) الكشاف (٤٢٢/٣).

٢- ردود إلهية للمعتذرين عن دخول الإسلام

لقد عللت قريش رفضها دخول الإسلام بقول زعمائها أنهم أكلة رأس^(١)، وهذا يذكرنا بأقوال بعض زعماء المسلمين بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، والتحاكم بأمر الله ﷺ بحجة أن هناك قوى عظمى تحكم العالم، ولا بد من الاحتكام بأمرها، تجاهلاً منهم بأنهم من ملة الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ أي: إن اتبعتك يا محمد بما جئت به من الهدى، وخالفنا ما عليه بقية العرب، خفنا أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، فكان رد الله ﷺ عليهم بقوله: ﴿ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ نَمْرَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وتلك الآية اشتملت على ثلاث ردود إلهية تفرغ آذانهم لعلهم يتعظون:^(٢)

أ- **تأمين الحرم وأهله:** حيث كانت العرب في الجاهلية حول قريش يتعاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون ولا يتعدى عليهم عدو حرمة لبيت الله الذي كان مقدساً في الجاهلية، فما بالهم بعد الإسلام، ولو أسلموا لعلوا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هُداه.

ب- **عدم الإيمان هو الذي يزيل النعم:** فقد أهلك الله قري كثيرة قلبهم؛ لأنها كفرت وطغت ووجدت بأنعم الله ﷺ، وبطر وتكبر أصحابها، فأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها، بعدما كانت عامرة بأهلها، يتنعمون ويتمتعون بخيرها، والعبرة في ذلك تعرض نفسها بقول الزمخشري: " فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام".

ت- **الإيمان بالله ﷻ لا يضيع منافع الحياة الدنيوية:** لقد خلق الله المخلوقات جميعاً وأنزل عليها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وأمر عباده بالتمتع بها، وهذا لا يتناقض مع الإيمان بالله ﷻ حيث قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦]، وقال أيضاً: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور:١٩]، وكثيراً من الآيات الكريمة التي تحثنا على الاستمتاع بنعم الله ﷻ، لكن أعلمنا الله ﷻ بأن جميع ما في الدنيا من مال وولد وزينة ومتاع، إنما هو متاع مؤقت وزينة زائلة، إن لم يقرن بالإيمان به ﷻ، ونستذكر قوله تعالى: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾ [الكهف:٤٦].

(١) أكلة رأس: قلة ضعيفة مستضعفة، وعددهم قليل يشبههم رأس واحد (انظر: لسان العرب (٢٠/١١)).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (١٩٢٩/٣)، الكشف، للزمخشري (٤٢٢/٣).

ثامناً: العبر المستفادة من الآيات

١. "يخص الله تعالى بعض خلقه بخلق الهداية ومعرفة طريق الجنة، ويمنع البعض منها، ولا يُسأل عما يفعل، وليس معنى الهداية والضلال القسر والإلجاء عليهما، فذلك غير جائز شرعاً وعقلاً، لأن الإنسان مكلف بالتكاليف الشرعية".^(١)
٢. الله تعالى حكمة في كل شيء وحكمته في أن يظلّ أبو طالب على الكفر ويموت عليه؛ لأنه بذلك كسب قريشاً ونال احترامهم، حيث أعجبهم عدم إيمانه بالرسول، وأعجبهم أن يظل على دين الآباء، فاحترموا حمايته لابن أخيه، وهذا منع عن رسول الله إيذاءهم، وحمى الدعوة من كثير من الاعتداءات عليها.^(٢)
٣. الله عادل في خلقه، حيث لا ينزل العقاب إلا بعد البيان، ولا ينذر بالهلاك إلا بعد الظلم والجور.
٤. الأمن لا يكون إلا بطاعة الله ﷻ والخوف لا يكون إلا بمعصيته.
٥. تعلمنا من دعوة النبي ﷺ لعمه أبي طالب بالهداية أمراً جميلاً، وهو رد الجميل لا يكون بعرض من الدنيا، إنما بشيء باقٍ وخالد ينفع المرء في أخراه.
٦. قلوب البشر بين أصابع الرحمن، يقبها وفق ما يعلمه من قلوب العباد واستعدادهم للهدى أو للضلال.
٧. الدنيا ليست دار مقام واستقرار، وإنما الآخرة هي دار القرار والخير، فلماذا لا يبادر العقلاء إلى الدائم، ويمرون بالموقت في سلام وإيمان.

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٣٧/٢٠).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٨/١٠٩٦٤).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (٥٨-٧٣)

من سورة القصص

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بطل المعيشة سبب في هلاك القرى

المطلب الثاني: مقارنة بين متاع الدنيا الفاني وثواب

الآخرة الباقي

المطلب الثالث: تبرؤ الشركاء من بعضهم البعض إن لم

يتوبوا في الدنيا

المطلب الرابع: الإقرار بأن الخلق والمشيمة والعلم

والحساب بيد الله ﷻ

المطلب الأول

بطر المعيشة سبب في هلاك القرى

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٨-٥٩].

أولاً: المناسبة

بعد رفض قريش دعوة الرسول ﷺ للدخول في الإسلام، وقد عللوا ذلك الرفض بأنهم لو آمنوا به فإنهم سيخرجون من بلادهم ويختطفون منها، وما قولهم هذا إلا زوراً وبهتاناً، حيث قطع الله حجتهم بهذا البيان الناصح إذ كانوا وهم كفاراً بالله ﷻ، عباد أصنام قد آمنوا في حرمهم، والناس في غيره يتقاتلون وهم مقيمون في بلدٍ غير ذي زرع، يجيء إليهم ما يحتاجون من الأقوات، فكيف إذا آمنوا واهتدوا؟^(١)، فإنهم بذلك قد جنوا على أنفسهم بالهلاك والعذاب، مثل من تبطر من الأقوام السابقة لهم والتاريخ يشهد على ذلك.

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿ بَطَرَتْ ﴾: الباء والطاء والراء أصل واحد وهو الشق، والبطر: تجاوز الحد في المرح، وفي التنزيل: ﴿ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ أي أن البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.^(٢)

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا)^(٣)، وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ، أنه قال: (الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ)^(٤)، الكبر بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقاً من توحيدهِ وعبادته باطلاً، واطر الحق أن لا يراه حقاً ويتكبر عن قبوله، ويراه باطلاً.

وعرف الأصفهاني البطر: "دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها"^(٥).

(١) صفوة التفسير، للصابوني (٤٠٤/٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٦٢/١)، لسان العرب، لابن منظور (٦٨/٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخلاء، (١٤١/٧)، حديث (٥٧٨٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانهِ، (٩٣/١)، حديث (١٤٧).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٢٩).

﴿أُمِّهَا﴾ أم "أم الشيء: أصله، ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم، قال الخليل: كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أمًّا"^(١)، وأصل الأم أمهة، ولذلك تجمع على أمهات وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] هي فاتحة الكتاب لأنها هي المقدمة أمام كل سورة في جميع الصلوات وابتدئ بها في المصحف فقدمت، ويقال للمرأة التي يأوي إليها الرجل هي أم مثواه وأم القرى: مكة^(٢).

﴿الْقُرَى﴾ هي: "المنازل لجماعات من الناس ذوات البيوت المبنية، وخصت بالذكر لأن العبرة بها أظهر؛ لأنها إذا أهلكت بقيت آثارها وأطلالها ولم ينقطع خبرها من الأجيال الآتية بعدها ويعلم أن الحل والخيام مثلها"^(٣).

ثالثاً: اللطائف البيانية

• ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كناية عن الخراب معناه: "خربت من بعدهم فلم يُعمر منها إلا القليل، وسائرها خراب، وأنت ترى اللفظ كأنها سُكنت قليلاً ثم تُركت"^(٤) والمعنى: "انظروا واعتبروا في بيوتهم وديارهم بقيت خالية لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وهم المسافرون ينزلون بها يوماً أو ساعة وكنا نحن الوارثين"^(٥).

• لماذا سميت مكة بأُم القرى؟

أُمُّ الْقُرَى هي مكة بدلالة قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وإنما سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها"^(٦)، وقال ابن قتيبة: "في أمها رسولا أي في أعظمها"^(٧)، وقال ابن منظور: "أم القرى هي مكة، شرفها الله تعالى؛ لأنها توسطت الأرض فيما زعموا، وقيل لأنها قبله جميع الناس يؤمنونها، وقيل سميت بذلك لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى"^(٨)، وزاد ابن عطية: "إن كانت الإرادة بالقرى المدن التي في عصر النبي ﷺ فأم القرى مكة، وإن كانت الإرادة القرى بالإطلاق في كل

(١) المفردات للأصفهاني (ص: ٨٥).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢٨/١٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥٢/٢٠).

(٤) معاني القرآن، للفراء (٣٠٩/٢).

(٥) بحر العلوم، للسمرقندي (٦١٤/٢).

(٦) المرجع السابق (٣٠٩/٢).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٨٤).

(٨) لسان العرب (٢٨/١٢).

زمن فأمها في هذا الموضع أعظمها وأفضلها الذي هو بمثابة مكة في عصر محمد ﷺ، وإن كانت أم القرى كلها أيضاً من حيث هي أول ما خلق من الأرض ومن حيث فيها البيت^(١) وبالتالي فهي تعد "مركزاً تبلغ منه الرسالة إلى الأطراف فلا تبقى حجة ولا عذر فيها لأحد"^(٢).

• ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ "مجازها أنها أشرت وطغت وبعثت" ^(٣).

رابعاً: القراءات المتواترة

قال تعالى: ﴿فِي أُمِّهَا﴾ يوجد بها قراءتان: ^(٤)

• قرأ حمزة ^(٥) والكسائي ^(٦) بكسر الهمزة إذا كانت قبلها كسرة أو ياء ساكنة ﴿فِي إِمِّهَا﴾.

التوجيه: وحجتهم أنها استتقلا ضم الألف بعد كسرة، أو ياء فكسرا للكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة، وقراءة الكسر تفيد أن مكة هي الأعظم والأكبر بالنسبة للقرى المجاورة لها.

▪ وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم ﴿فِي أُمِّهَا﴾ في حال الوصل، وعلى الابتداء يقرأها الجميع بهمزة مضمومة وميم مكسورة ﴿فِي أُمِّهَا﴾.

التوجيه: وحجتهم أن الأصل في ذلك كله الضم وهو بنية هذا الاسم، وذلك أنك إذا لم تصله بشيء قبله لم يختلف في ضمة ألفه فحكمه إذا اتصل بشيء ألا يغيره عن حاله، وقراءة الضم تفيد بأن مكة هي أم القرى، وأصلها.

العلاقة بين المعنيين: بما أن مكة الأكبر والأعظم استحققت أن تكون الأم والأصل لما حولها.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢٩٣/٤).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٢٧٠٤/٥).

(٣) مجاز القرآن، لمعمر بن المثنى، (١٠٨/٢).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (٢٤٨/٢)، حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ١٩٢).

(٥) حمزة الكوفي: (٨٠-١٥٦هـ) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميمهم الزيات، أحد القراء السبعة، أدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم، تصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، وأخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش وحرمان بن أعين، ومن أشهر رواته خلف وخلاد (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٦١)، معرفة القراء للذهبي (ص: ٦٦).

(٦) الكسائي: (١١٩-١٨٩هـ) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم، يكنى أبو الحسن الكسائي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده، حيث كان إمام القراءة في زمانه (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١/٥٣٥)).

خامساً: المعنى الإجمالي

يضرب الله ﷻ المثل تلو المثل لأهل مكة ، إذ جاءهم الرسول ﷺ مبشراً ونذيراً وداعياً إلى هدى ربه وسراجاً منيراً ، ليتعظ كل من كان له لبٌ يستتير به ، فيخرج من قاع الكفر إلى قمة الإيمان .

حيث تستعرض هذه الآيات مسألة بطر المعيشة وعدم شكر الله ﷻ على نعمه في كونها سبباً هاماً في هلاك القرى والأمم ، وذاكرة التاريخ مليئة بالشواهد على ذلك ، فقد كان الهلاك لكل من استكبر عن ربه وأعرض عن نهجه ولم يستجب لرسله مثل قوم عاد وثمود .

كما ويحذر الله ﷻ أهل مكة من الانجرار في ذات الطريق ، بعد أن أنعم الله ﷻ عليهم بالحرم الآمن منذ عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ويدعوهم للتفكر في قصص القرى المتبصرة التي أرسل الله ﷻ إليها رسلاً من عنده فقابلوها بالإعراض والنفور، ولينظروا من حولهم إلى تلك المساكن الخاوية التي ظن أصحابها أنهم سيرثونها جيلاً بعد جيل، لكن بقيت هذه المساكن شاخصة تحدث عن مصارع أهلها وتروي قصة البطر بالنعمة، يقول الطبري: "ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض" (١) وتعليل ذلك " لأنهم لم يتركوا وارثا يرث منازلهم وأموالهم، ولم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وغيرها" (٢).

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١. القرآن يذكر بعض أسباب هلاك القرى

لقد جرت سنة الله ﷻ بإمهال القرى إلى أجل يقدره الله ﷻ، وذلك لأن سنة الله ﷻ في عباده أن يعاملهم بحسب أعمالهم، والعباد على ذلك صنفان مختلفان فنجد المتقين لله الطائعين لأوامره ونواهيه الذين يتقون ربهم ﷻ خالقهم ورازقهم، لذلك أنزل الله ﷻ عليهم البركات من السماء، وأخرج لهم الخيرات من الأرض، قال تعالى: ﴿ وَكَوْنُ أَهْلِ الْقُرَى أَمْنًا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦] ، أما الصنف الآخر المغاير تماماً للصنف الأول ألا وهم المتمردون على شرع الله ﷻ، الذين فسقوا عن أمره لذلك وجب في أمرهم العذاب

(١) جامع البيان (٦٠٣/١٩).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان (١٣٦/١٠).

والنكال من الكبير المتعال ﷻ.

قال الطبري: "قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾،

أي: ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة إنما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله ﷻ، وإنما أهلكتنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم"^(١)، وإليكم عدداً من الأسباب الموجبة للهلاك بما يتناسب النص:^(٢)

أ- الظلم والتكذيب بالحق

لقد أهلك الله ﷻ الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقرونا بين ذلك كثيراً بسبب كفرهم بالله ﷻ، وتكذيبهم لرسله، والظلم أنواع كثيرة من أجدرها بالعقوبة الشرك بالله العظيم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، فهذا هو السبب الأول في إحقاق العذاب والهلاك بالقرى، من التكذيب بالحق الذي أنزل على الرسل الكرام، وكذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

ب- كفران نعم الله ﷻ وعدم القيام بواجب شكرها

يعد هذا السبب من أعظم وأخطر الأسباب الموجبة للهلاك وزوال النعم، فإذا كان العباد مطيعين لله ﷻ، معظمين لشرعه، أغدق الله ﷻ عليهم النعم، وأزاح عنهم النقم، فإذا تبدل حال العباد من الطاعة إلى المعصية، ومن الشكر إلى الكفر، حلت بهم النقم، وزالت عنهم النعم قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

ت- الإعراض عن أحكام الله تعالى والخروج عن أوامره شرعه

ومن أوجه الإعراض عن شرع الله ﷻ، هو إبطال العمل بعدد من الأحكام والعمل بالنواهي مثل التطفيف في الكيل والميزان ونقض العهود والمواثيق والتعامل بالريا وانتشار الزنا، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) جامع البيان (١٩/٦٠٣).

(٢) انظر: مقال بعنوان أسباب هلاك القرى، لأحمد فريد، تاريخ النشر: ٢٢ محرم ١٤٣١هـ، (٨/١/٢٠١٠)،

٢. قصة البطر بالنعمة تاريخ متجدد

يقول القشيري: "إن الذين لم يعرفوا قدر نعمتهم، ولم يشكروا سلامة أحوالهم، وانظم أمورهم، فهاموا في أودية الكفران على وجوههم، فخرّوا في أودية الصغار على أذقانهم، وأذاقهم الله من كاسات الهوان ما كسر خمار بطرهم فأماكنهم منهم خالية، وسقوفها عليهم خاوية، وغريان الدمار فيها ناعية" (١) والمتأمل في آيات القرآن الكريم يقف على جملة عظيمة من الآيات التي تبين عاقبة الذين يتكبرون على ما أنعم الله ﷻ عليهم من نعم كثيرة، بل ويستخدمون تلك النعم في غير ما شرعه الله ﷻ، حيث يحل بهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وفي هذا تحذير للناس من البطر الذي يؤدي إلى الهلاك، وفي الآية الكريمة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ "هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله ﷻ عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر" (٢) فكم من دولة كانت ذات صولة وجولة، ولما كفرت بنعم الله أذاقها الله لباس الجوع والخوف، فأصبحت ضعيفة بعد أن كانت قوية، وفقيرة بعد أن كانت غنية، وهذه السنّة كما تنطبق على الأمم والدول فإنها أيضاً سارية على مستوى الأفراد، لا تزال القوارع تنزل بدول الكفر، يوم نسمع عن مرض جديد، أو سحابة بركانية، أو عن زلزال، أو عاصفة ثلجية، وهذا ما نشهده مؤخراً وبشكل كبير، وما تلك إلا نذر وتحذيرات، تؤذن بقرب العذاب الموعود، وتلك سنة الله ﷻ التي لا تتخلف، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ١٠٢]، ولقد ضرب القرآن الكريم أمثلة عدة للمتبطرين على نعم الله ﷻ منها:

• قصة قوم سبأ والسيول العرم

لقد ذكر الله تعالى قصة قوم سبأ لتكون آية للناس وعبرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، لقد كان لقبيلة سبأ في مساكنهم في مأرب باليمن علامة على قدرة الله ﷻ بإحياء الأرض بعد موتها، وهي بستانان عن يمين الوادي وشماله، وفيهما جميع الثمار، يقال لهم كلوا من رزق الله ﷻ، واشكروه على ما رزقكم من هذه النعم، فهذه بلدة طيبة بطيب أشجارها وثمارها وجمال مناخها، والله ﷻ المنعم عليكم غفور لذنوب الموحدين التائبين، لكنهم قابلوا

(١) لطائف الإشارات (٣/٧٤).

(٢) الكشف، للزمخشري (٣/٤٢٣).

هذا النعيم بالجحود والاستكبار فأعرضوا عن توحيد الله ﷻ وعبادته وطاعته وعن شكره على ما أنعم عليهم، ومالوا لعبادة الشمس من دون الله تعالى، فأرسل الله ﷻ عليهم سيل العرم، أي المياه الكثيرة، فحطمت سد مأرب، فمأ الماء الوادي، وأغرق البساتين، ودمر البيوت، وأبدلهم الله ﷻ بتلك البساتين الغناء بساتين لا خير فيها، فيها أشجار ذات ثمر مَر وهي الأراك والأثل^(١)، مجازاة على كفرهم بالله ﷻ، وتكذيبهم الحق، ولا يعاقب الله تعالى إلا المغرق في الكفر، الجحود بالنعمة^(٢).

وقد قال تعالى في وصف حالهم بعد الجحود والكفران: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].
سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- أمرنا الرسول الكريم ﷺ بأن لا ندخل مساكن الظالمين والمتكبرين إلا حال كوننا خائفين، ولا نجعلها مكاناً للسياحة أو الترفيه بل تكون مقتصرة على ضرورة المرور.
- ٢- الحكمة من إرسال الرسول ﷺ لأم القرى، لأنها قبلة جميع الناس يؤمنونها وتعد أمماً لكل القرى المحيطة وبالتالي يسهل أمر نشر الدعوة الإسلامية، ومكة أعظم القرى والمدن "وخص الأعمم ببعثة الرسول ﷺ فيها؛ لأن الرسول ﷺ يبعث إلى الأشراف، والأشراف يسكنون المدائن، والمواضع التي هي أم ما حولها"^(٣).
- ٣- ما استقام بل استحال في سنة الله ﷻ أن يهلك القرى قبل الإنذار بل كانت عادته أن لا يهلكها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا لِيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، وهذا يدل على عظم العناية الإلهية في بيان إهلاك القرى^(٤).
- ٤- التذكير بإهلاك الأمم للعبرة والتدبر فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً، والله ميراث السموات والأرض، لأنه هو المالك الحقيقي للكون، والباقي بعد فناء خلقه^(٥).

(١) الأثل: الشجر الذي لا ثمر له، وهو يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأجود عوداً منه، تصنع منه الأقداح الجياد) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٥٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢١٠٣).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ٥٤٠).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٧/ ٢٠)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق خان (١٠/ ١٣٧).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (٢٠/ ١٣٥).

المطلب الثاني

مقارنة بين متاع الدنيا الفاني وثواب الآخرة الباقي

قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].
المُحَضَّرِينَ ﴿[القصص: ٦١].

أولاً: المناسبة

بعد اعتذار أهل مكة من عدم مقدرتهم دخول الاسلام معللين ذلك الرفض بخوفهم من أن يُنتزع منهم الخير والأمن والسلطان، " أعقبه بأن كل ما أوتوه من نعمة هو من متاع الحياة الدنيا كالأمن والرزق، ومن زينتها كاللباس والأنعام والمال، وأن ما عند الله من نعيم الآخرة أديم وأبقى"^(١)، ولبيان مصير فريقين من الناس، فريق طغى وبغى وكفر بالله ورسله وآثر الحياة الدنيا، وفريق آمن واهتدى واستجاب لداعي الحق، واتبع رسول الله، وآثر الحياة الآخرة، وفي ذلك تذكرة لعلهم يتعظون أو يعقلون!

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿فَمَتَاعٌ﴾ (مَتَعَانُهُ) "الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير، منه اسْتَمْتَعْتُ بالشيء. وَالْمَتَاعُ وَالْمَتَاعُ: المنفعة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٩]"^(٢).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ "أصل العَقْل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعَقْل الدَّوَاءِ البطن، وعَقَلَتِ المرأة شعرها، وعَقَلَ لسانه: كَفَّه، والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة عقل"^(٣).

﴿وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا﴾ وعد "الواو والعين والذال كلمة صحيحة تدل على تَرْجِيَةِ بِقَوْلٍ، يقال: وَعَدْتُهُ أَعْدُهُ وَعَدًّا، ويكون ذلك بخير أو شر، فأما الوعيد فلا يكون إلا بشر، يقولون: أوعدته بكذا"^(٤).
﴿فَهُوَ لِأَقْبِيهِ﴾ أي مصيبه ومدركه وصائر إليه^(٥).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥٣/٢٠).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٩٣/٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٧٧).

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (١٢٥/٦).

(٥) تفسير البغوي (٥٤٠/٣).

ثالثاً: اللطائف البيانية

- قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ الآية جاءت بصيغة الاستفهام "ليكون أبلغ في الاعتراف بترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا"^(١).
- قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (ما) والتي تفيد هنا الإخبار عن حقارة الدنيا وزينتها الدنيئة بالنسبة لما أعده الله ﷻ لعباده الصالحين من نعيم الآخرة في سياق جملة شرطية فعلها ﴿أُوتِيتُمْ﴾ وجوابها ﴿فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

رابعاً: القراءات المتواترة:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيها قراءتان:^(٢)

- قرأ أبو عمرو^(٣) [أفلا يعقلون] ، وقرأ الباقون [أفلا تعقلون] بالتاء.

■ التوجيه:

- ❖ قراءة الياء تفيد: الغيبة لبعدهم وبعد عقولهم عن الدين وبعدهم عن توجيه الخطاب لهم، أي: قل لهم يا محمد وما أوتيتم من شيء ثم قال [أفلا يعقلون].
- ❖ قراءة التاء تفيد: توجيه الخطاب مباشرة لهم، أي: لم لا تعقلون.
- ❖ الجمع بين القراءتين: الوجهان صحيحان كما قال ابن الجزري، والقراءتان تأنيان من باب الالتفات من الخطاب إلي الغيبة، وقراءة التاء أشد توبيخاً لهم؛ لأن الخطاب موجه مباشرة لهم؛ لأن لا عقل لهم فهم ﴿لا يعقلون﴾ لبعدهم عن الدين.

خامساً: سبب النزول

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَا مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾.

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٣٠/٢٠).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٣٤٢/٢)، حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ٥٤٨)، الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٤٢٤/٥).

(٣) أبو عمرو: (٦٨-١٥٤هـ) هو زيان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازن البصري أحد القراء السبعة، كان زاهداً كثير العبادة، من أشهر رواة الدوري والسوسي (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٢٨٨/١)).

أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: نزلت في علي وحمزة وأبي جهل، وقال السدي: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة، وقيل: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل.^(١) ويُعقب القرطبي قائلاً: "وبالجملة فإنها نزلت في كل كافر مُتَمَع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الآخرة النار، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعده الله وله في الآخرة الجنة"^(٢).

سادساً: المعنى الإجمالي^(٣)

يعقد القرآن الكريم في ظلال هذه الآيات الكريمات مقارنة بين متاع الدنيا وما عند الله ﷻ فيقول تعالى ذكره ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلاً تَعْقِلُونَ ﴾ أي كمن متعناه متاع الحياة الدنيا بالمال ثم هو يوم القيامة من المحضرين في النار هل يستوي حالهما؟ وذلك إشارة إلى تضاد المصيرين، فما أُعطي الناس شيئاً من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع يتمتع به في الحياة الدنيا، وما هو إلا من زينتها التي يترين بها، لا يغني عنده الله شيئاً، وما ينفع العبد إلا طاعة أو عبادة قدمها قربة لله ﷻ فهي أبقى لأهله؛ لأنها دائمة لا نفاذ لثوابها، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي لا يوجد عقول لكم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر، وتختارون لأنفسكم خير المنازل، وتؤثرون الدائم الذي لا نفاذ له من النعيم، على الفاني الذي لا بقاء له، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ﴾ وهذا هو المؤمن الذي سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه فهو لاق ما وعد، وصائر إليه، ﴿ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو الكافر الذي تمتع بالدنيا، ونسي العمل بما وعدنا أهل الطاعة، وأثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة له عذاب أليم وعقاب وخيم جزاء بما صنع في دنياه .

سابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

مفاضلة قرآنية بين طريقين متغايرين (طريق الهدى وطريق الضلال):

إن المفاضلة بين أي طريقين أو اختياريين يحتاج إلى عقل يدرك طبيعة هذا وذاك، وجاءت هذه الآيات لتعرض لنا نموذجاً من المفاضلات القرآنية التي توضح أسس الاختيار السليم للطريق الصحيح؛ ليتبين الناس طريق الهدى من طريق الضلال، حيث خرجت الباحثة

(١) أسباب النزول، للواحي، (ص: ٣٣٩)، لباب النقول، للسيوطي (ص: ١٥٠).

(٢) تفسير القرطبي (٣٠٣/١٣).

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/٦١٥)، جامع البيان، للطبري (١٩/٦٠٤).

بالنقاط الآتية:

١. متاع الحياة الدنيا ومتاع الآخرة في نظر القرآن

■ متاع الحياة الدنيا

وصفها: يقول القشيري في وصف الدنيا ومتاعها: "الدنيا حلوة خضرة، ولكنها في التحقيق مرة مدرة، فبشرها يوهم أنها صفو ولكن من وراء صفوها حسو" (١)، فإن مجرد تأمل اسم الحياة الدنيا يوحي بحقيقة معناها بأنها فانية زائلة ومتاعها لعب ولهو لا يغني عن الله ﷻ شيئاً يوم القيامة حيث إنها "سميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دنياوي، والدني من الرجال: الضعيف الدون، وهو من ذلك لأنه قريب المأخذ والمنزلة" (٢)، قال تعالى في بيان متاعها: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

مدتها: عمر الدنيا قصير فهي دار ممر لحياة أخرى، وأن عمر الإنسان في الدنيا هو مدة بقائه فيها، ومهما بلغ من الدنيا فلا بد من الموت قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

■ متاع الحياة الآخرة

وصفها: قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي متاع الآخرة خير عند الله ﷻ لوجهين كما يقول الرازي (٣):

- أ- أن المنافع الأخروية أعظم فهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا منقطعة.
- ب- أن منافع الآخرة خالصة من الشوائب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها أكثر. ومتى قوبل المتناهي بغير المتناهي كان عدماً فكيف ونصيب كل أحد بالقياس إلى منافع الدنيا كلها كالذرة بالقياس إلى البحر، فكان من الجهل العظيم ترك منافع الآخرة لاستبقاء منافع الدنيا.

مدتها: الدار الآخرة هي دار الخلود الأبدي، والمستقر الدائم الذي لانهاية له مطلقاً، فهي إما نعيم مستمر، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٥]، أو عذاب مدقع لا ختام له، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾

(١) لطائف الإشارات (٧٥/٣).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٠٣/٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٨/٢٥).

وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿البقرة: ١٦٢﴾.

الخلاصة: في الحقيقة يجب التنبيه على أنه لا يوجد انفصال بين طريق الدنيا وطريق الآخرة، حيث إنه لا يقتضي الغاء الحياة الدنيا ومطالبها والعيش في نكد وضيق، أترك التمتع فيها كما أمرنا الله ﷻ؛ لأجل تحقيق أهداف الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة، وعمارة جنة هذه الأرض وسيادتها وسيلة إلى عمارة جنة الآخرة والخلود فيها، بشرط اتباع هدى الله ﷻ، مع التمتع بنعيمها باعتدال، فحين يتحقق المنهج القرآني المعتدل في التعامل مع الدنيا، تكون السيادة الأرضية إلى جانب السعادة الأخروية.^(١)

٢. أصناف أهل الدنيا

خلق الله ﷻ الدنيا وجعل لها أهلاً يحيون فيها، لكن أهلها انقسموا فيها على ثلاثة أصناف (المؤمن، والمنافق، والكافر)، أولئك الأصناف الثلاثة لا تستوى مطلقاً عند الله ﷻ فقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَا يَأْتِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾ أي: "ولا يستوي المؤمن والكافر في الجزاء، وكيف يستوي المؤمن بكتاب الله، المصدق بوعدده، المتأمل فضل الله وملاقيه، والكافر الكذوب، المتمتع بحطام الدنيا أيما قليلة، ثم يحضره الله يوم القيامة، ليتلقى العذاب المهين؟!"^(٢)

■ **المؤمن** يتزود في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح لكي يلقى الله ﷻ عليه، ويؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة لوجه الله ﷻ، وعلى هذا تربي صحابة رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك ؓ عن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: (قُومُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)، فقال عمير بن الحمام الأنصاري^(٣): يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم، فقال عمير: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: (مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟)، قال عمير: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، فقال رسول الله: (فَأَتِكَ مِنْ أَهْلِهَا)، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إني ألقى حياة طويلاً، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل^(٤).

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/٢٧٠٤).

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٣١).

(٣) عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي، شهد بدرًا وقتل بها، وهو أول شهيد من الأنصار في الإسلام، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث المطلبية، فقتلا معاً (انظر: أسد الغابة ط الفكر (٣/٧٨٧)).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، (٣/١٥١٠)، حديث (١٩٠١).

▪ **المنافق** يتزين في دنياه، تارة يُظهر الإيمان وتارة يخبو، والمنافقون أشد خطراً على الإسلام من الكفار لأنهم أعداء في داخل الأمة، يثيرون الفتن ويقومون بالتجسس لحساب الأعداء فهم مفسدون في الأرض ويزعمون أنهم مصلحون، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧] ، فاستحقوا أن يكون مصيرهم يوم القيامة العذاب في الدرك الأسفل من النار والعياذ بالله، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَافِرِينَ﴾ [النساء: ١٤٥].

▪ **الكافر** يتمتع بدنياه كأنه مخلد فيها لا يخرج أبداً، يأكل ويشرب ويتمتع وينا، وإذا دُعي للإيمان أعرض واستكبر إنكاراً وحجوداً، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، فكانوا يوم القيامة من المحضرين للحساب والعذاب بالنار.

ثامناً: العبر المستفادة من الآية

"من أخذ من الدنيا بشهوة منه حرّمه الله في الدنيا والآخرة ما هو خير منها، ومن أخذ منها لضرورة دخلت بنفسه أو لحق لزمه لم يحرم ما هو خير في الدنيا، لذة العبادة ومحبة الحق ﷻ، وفي الآخرة الدرجات العلى".^(١)

١. على الناس التفكير والتدبر كثيراً في أن منفعة الباقي الدائم أولى بالإيثار من منفعة المؤقت الزائل.

٢. الدنيا دار ممر والآخرة دار مستقر، فخذوا لمقرمكم من ممركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وليختر كل شخص أي الدارين يريد!

٣. الدنيا قد تقبل على شخص وتنتفح عليه حتى يظن أنها لن تُدبر أبداً، وفي النهاية يتبين أنها غرور وخداع لا يملك منها شيء.

٤. إن الدنيا بمنزلة السم يأكله من لا يعرفه، لذلك أخرجوا الدنيا من قلوبكم واجعلوها بين أصابعكم، قبل أن تخرج أرواحكم من أبدانكم، ففي الدنيا ابتليتم وللآخرة خلقتكم

(١) تفسير التستري (ص: ١١٨).

المطلب الثالث

تبرؤ الشركاء من بعضهم البعض إن لم يتوبوا في الدنيا

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٢-٦٧].

أولاً: المناسبة

بعد ما عرضت الآيات السابقة المفاضلة الأسمى بين متاعين، الأول فاني وزائل، والآخر دائم أبدي، تأتي هذه الآيات لتعرض لنا مشهداً جديداً من حال المشركين وما وصلوا إليه في نهاية المطاف، وبعد سوء اختيارهم للطريق الصحيح، فعند ما وصل بهم إلى الشاطئ الآخر يجول بهم جولة أخرى في مشهد من مشاهد القيامة، يُصور مغبة ما هم فيه من الشرك والغواية وحالة الفرط والدهشة التي تعزيهم، حيث الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿شُرَكَائِي﴾ ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾ شرك: الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، ومنه الشركة: وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه، قال الله ﷻ في قصة موسى: ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٣٢]، ومفرد شُرَكَاءُ الشريك، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال ﷻ: ﴿ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾ [الشورى: ٢١]، والأصل الآخر يدل على امتداد واستقامة^(٢).

والمقصود هنا بالشركاء أنهم رؤوس المشركين أو الشياطين أو الاثنان معاً^(٣).

﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ غوى: "الغين والواو والحرف المعتل بعدهما أصلان: أحدهما يدل على خلاف الرشد وإظلام الأمر، والآخر على فساد في شيء"^(٤)، والغِي: "جهل

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧٠٥/٥).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٦٥/٣)، المفردات للأصفهاني (ص: ٤٥٢).

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/٣٩٠).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٩/٤).

من اعتقاد فاسد^(١)، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]، والمعنى: أضلناهم كما ضلنا.

﴿تَبْرَأْنَا﴾ برأ: "الباء والراء والهمزة أصلان أحدهما الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والبارئ هو الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزاييلته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم، يقال: برئت وبرزت^(٢)، والمعنى: تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك.

﴿فَعَمِيَتْ﴾ العمى يقال في افتقاد البصر والعمه يقال في افتقاد البصيرة^(٣)، والمعنى: فخفيت عليهم الأخبار من شدة الهول يومئذ فلم يجيبوا^(٤).

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ "كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقرير والتوبيخ"^(٥).

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقد قال الله تعالى في موضع آخر من القرآن: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]، قد يتوهم البعض أن هذا تعارض بين الآيات، لكن في الحقيقة لا يوجد تعارض مطلقاً في كتاب الله ﷻ، وتفسير الآيتين يكون بأن المشركين حقيقة يتساءلون يوم القيامة، لكن عندما عميت عليهم الحجج يوم القيامة سكتوا فذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ في تلك الساعة، فهم لا يتكلمون من هول ما يرون من العذاب^(٦).

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (لو) وهي حرف امتناع لامتناع، وقد أشارت الآيات إلى حال المشركين لما رأوا العذاب في سياق جملة شرطية، تقديرها: لو ثبت اهتدائهم لما وقع لهم العذاب.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (أمّا) والتي أفادت استثناء فريقاً من الذين أصيبوا بالدهشة لما رأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، في سياق جملة شرطية تقديرها: من تاب من الشرك وعمل صالحاً

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٢٠).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٣٦).

(٣) انظر: المفردات للأصفهاني (ص: ٥٨٨).

(٤) انظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (١٠٩/٢)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٨٥).

(٥) تفسير البغوي (٣/٥٤٢).

(٦) انظر: معاني القرآن، للفراء (٢/٣٠٩).

فعسى أن يكون من الفائزين.

قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (عسى) تفيد في اللغة الرجاء، دون القطع واليقين، ويُرَادُ بها هنا التأكيد والتيقن، لأنها من الله واجبة التحقق، وهذا مستفاد من حسن الظن بالله تعالى^(١).

رابعاً: المعنى الإجمالي^(٢)

يوجه الله ﷻ الخطاب للنبي ﷺ في بيان حال المشركين، ضمن سياق أسئلة تفرعية وتوبيخية لهم، حيث ناقش القرآن الكريم المشركين في مسألة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ أي واذكر يا محمد حال المشركين حين يسألهم الله ﷻ أين الشركاء الذين عبدتم من دوني، أين هم لينفَعوكم وينصروكم من سخط الله ﷻ؟

فانظر يا محمد إلى رد رؤسائهم وكبرائهم ودعاتهم للضلال وهم كبار قريش والشياطين، حين قالوا: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا آنَانَا يَعْبُدُونَ﴾ فقد تبرأوا من أتباعهم في الدنيا زاعمين أنهم ما عبدوا إلا شهواتهم ومصالحهم، ولم يكن إغوائنا لهم قسراً ولا قهراً، بل وسوسةً وتزييناً، إذ لا فرق بين غيِّنا وغيِّهم، ولما طلب الله ﷻ منهم دعوة شركائهم للحضور على سبيل التهكم والفضيحة، ولما رأوا العذاب ماثلاً أمام أعينهم وقعوا في الحيرة والدهشة من هول الموقف وشدته؛ فلم يستطيعوا الإجابة ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، هنالك حق عليهم العذاب جزاء ما كانوا يصنعون، وإن الذين تابوا من الشرك، وصدقوا بالله، وأقروا بوحدانيته، وأخلصوا العمل له، وآمنوا بالنبي محمد ﷺ، هم الفائزون برضوان الله ﷻ ونعيمه ويحشرون مع عباد الله المخلصين.

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١. بيان حقيقة الشرك بالله ﷻ

خلق الله ﷻ الخلق لعبادته وحده لا ند له ولا شريك، وهياً لهم ما يعينهم عليها من رزق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (١٩٣٣/٣).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٤٠٥/٢)، التفسير الوسيط، للزحيلي (١٩٣١/٣-١٩٣٣)، التفسير

الوسيط، لطنطاوي (٤٢٨/١٠).

يُطْعَمُونَ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٧]، فالأصل في بني آدم التوحيد لله ﷻ، فهي فطرة الله ﷻ التي فطر الناس عليها جميعاً، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الرُّوم: ٣٠] ، لكن أبى أصحاب النفوس المريضة من شياطين الإنس والجن إلا الانحراف والإفساد في الأرض، والشرك بالله ﷻ، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءً) ^(١)، ولجلاء حقيقة الشرك بالله ﷻ لابد من التطرق للنقاط الآتية:

أ - تعريف الشرك بالله ﷻ

عرفه ابن القيم: "هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، وهذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله، ﷺ" ^(٢).
وعرفه صالح الفوزان ^(٣): "جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته، والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة" ^(٤).

ومن خلال التعريفين السابقين خرجت الباحثة بالتعريف الآتي:

الشرك بالله ﷻ: هو اتخاذ الشريك أو الند مع الله ﷻ في الربوبية أو الألوهية، أو التشبه بصفات الخالق ﷻ، أو أن يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، أو أن يجعل المرء بينه وبين الله ﷻ شريكاً يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ.

ب - أقسام الشرك بالله ﷻ والحكم عليها ^(٥).

ينقسم الشرك بالله ﷻ إلى قسمين:

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (٢/١٠٠)، حديث (١٣٨٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٦).

(٣) صالح بن فوزان الفوزان: عضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، تتلمذ فضيلة الشيخ على يد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومن أشهر مؤلفاته: البيان فيما أخطأ فيه بعض الكتاب، والتحقيقات المرضية في المباحث الفرضية (انظر: موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالملكة العربية السعودية <http://www.alifta.com>).

(٤) التوحيد، للفوزان (ص: ١٠).

(٥) انظر: التوحيد، للفوزان (ص: ١٣-١٨)، المفردات للأصفهاني (ص: ٤٥٢).

القسم الأول: الشرك العظيم (الأكبر) وهو إثبات شريك لله تعالى، أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ كدعاء غيره والتقرب بالذبائح والندور لغير الله ﷻ من القبور والجن والشياطين.

الحكم: يُخرج من الملة، ويُخذ صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، ويبيح الدم والمال، ويُحبط جميع الأعمال.

القسم الثاني: الشرك الأصغر وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو نوعان:

أحدهما: شرك خفي وهو شرك النية ويتمثل بالنفاق والرياء والسمعة.

الثاني: شرك ظاهر ويكون بالألفاظ والأفعال، بالألفاظ مثل الحلف بغير الله ﷻ، والأفعال مثل تعليق التمام خوفاً من العين.

الحكم: لا يُخرج من الملة، لكنه يُنقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، ولا يُخذ صاحبه في النار إن دخلها، ولا يبيح الدم والمال، ولا يُحبط جميع الأعمال، وإنما يُحبط الرياء والعمل لأجل الدنيا العمل الذي خالطاه فقط.

ت- خطر الشرك بالله ﷻ على الفرد والمجتمع

- الشرك بالله ﷻ أعظم الظلم، وأكبر الذنوب التي قد يرتكبها الإنسان في حياته، قال تعالى محذراً من خطره ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، كما حذرت السنة النبوية من هذا الأمر الخطير، فعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: (أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ)^(١).
- الشرك بالله ﷻ يحرم صاحبه المغفرة والجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].
- قرن النبي ﷺ الشرك بالله ﷻ بأخطر أنواع الكبائر التي تُنذر بويلات عظيمة إن انتشرن في المجتمع، وتجعله مفككاً فاقداً لكل الروابط التي تصنع منه مجتمعاً ذو رفعة ومكانة بين الأمم، بل وجعل الشرك بالله ﷻ على قمة تلك الكبائر، فعن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ النِّحْفِ،

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]، (٤/٩)، حديث

وَقَدْ نَفَّ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ (١).

▪ يجعل الشرك بالله ﷻ صاحبه يتهاوى في أسفل دركات السافلين، من حيث التضيق الشديد والآلام المتراكمة الناتجة عن انحراف المرء عن الفطرة الذي خلق عليها؛ ألا وهي التوحيد لله ﷻ وحده لا شريك له، ونذكر في هذا المقام كلاماً جميلاً لابن القيم يصور فيه حال المشرك قائلاً: "حاله حال من خر من السماء فاخترفته الطير في الهوي فتمزق مزقاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، أو بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين والطير الذي تخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله سبحانه وتعالى عليه وتوزره أزا وتزعجه وتقلفه إلى مظان هلاكه؛ فكل شيطان له مزرعة من دينه وقلبه، كما أن لكل طير مزرعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي حمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء" (٢).

٢. أسئلة تقريع وتوبيخ للمشركين يوم القيامة

ذكرت الآيات ثلاث مواقف مثيرة للخجل والندم، وموقعة في العجز والإحباط، على جهة التهويل وإبطال كيد أهل التضليل، وإظهاراً لعجزهم الملزوم لتحسره وعظم تأسفهم: (٣)
الموقف الأول: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، لما حُق الحق ووضعت الموازين، وعرف المشركون مصيرهم يوم الحساب، وعرفوا بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة، يوجه الله ﷻ السؤال الأول لهم، أين الآلهة التي زعمتم أنها شركاء في الألوهية بمقتضى قولكم وزعمكم؟ أين هم لينصروكم ويخلصوكم من هذا الذي نزل بكم؟
فما كان جوابهم سوى أن قالوا: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ أي: يا ربنا هؤلاء هم الأتباع الذين آثروا الكفر على الإيمان باختيارهم وإرادتهم، وهذا دليل على دناءة مستواهم، وحقارة نفوسهم.

الموقف الثاني: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، وفي هذه الآية توبيخ وتقريع جديد، حيث لا فائدة في دعواكم لهم، فيوم الحساب تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، فهل تتوقعون أن يستجيب لكم شركاؤكم من الإنس والشياطين لكم في ذلك الموقف؟

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، (١٠/٤)، حديث (٢٧٦٦)، (الموفيات) المهلكات.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٣٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٩/٢٥)، لطائف الإشارات للقسيري (٣/٧٦).

الموقف الثالث: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، ويسألهم الله ﷻ سؤال هيبه فلا يبقى لهم تمييز، ولا قوة عقل، عندما سألوا عن إجابتهم لدعوة الرسل والأنبياء، تراهم عميت عليهم الأنبياء، فصارت الأنبياء كالعمى عليهم جميعاً، فلا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنبياء عليهم والعجز عن الجواب، إذ استولت عليهم الحيرة، فلا نطق ولا عقل ولا تمييز ولا فهم.

وترى الباحثة بأن خلاصة المواقف الثلاثة السابقة الذكر: بأنها دعوة للتأمل والوعي والتفكير، إذ لا بد من الاعتبار والاعتاظ، فربما إذا سُمع ما في هذا اليوم من القسوة والخزي والنكال بما يحصل للاتباع المُتبرئ منهم؛ فربما راجعوا أنفسهم فتابوا إلى الله ﷻ في دنياهم، ومما يلفت الأنظار في هذا الموقف العصيب، أننا نراه يتكرر مراراً في واقع الحياة، فكثيراً من الناس ينخدعون وراء الشعارات الرنانة والمظاهر الكاذبة التي يُنادي بها الغرب الحاقد مثل تحرير المرأة المسلمة والقول بأنها مظلومة، والنداء بتحرير العقل والقلب من دين الإسلام على أنه دين إرهاب وكبت للنفوس، فلينظروا في تلك الآيات، وليعلموا أنهم يجرون وراء سراب في الدنيا وعذاب في الآخرة.

٣. الغواية والإضلال ديدين الشيطان الرجيم وأعوانه

قصة الغواية بدأت مع الشيطان منذ بدأ الخليفة، عندما تعهد الشيطان بغواية البشر قائلاً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ولقد حذر القرآن الكريم من الغواية والضلال، وبين صفات الضالين، وعلى رأسهم الضَّالِّ والمضِلُّ الأول الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، كما وبين القرآن الكريم مصيرهم، قال تعالى: ﴿أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصَلِّيَةٌ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٤]، ولكي يتجنب الإنسان الضلال ويحذره لا بد وأن يعرف ما هي وسائل الغواية والضلال التي يستخدمها الشيطان وأعوانه من الإنس، فقد ذكر المفسرون عدداً منها وهي الوسوسة والتسويل وتزيين القبيح^(١)، ويقول الشعراوي: "وهذه المسألة تعطينا السيلال النفسي لكل منحرف حين يرى ملتزماً مستقيماً، لا يشاركه فساده وانحرافه، فيعز عليه أن يكون في الهاوية وحده، ولماذا يمتاز عنه الآخرون؟ قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]"^(٢).

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (٣٠٨/١٠)، صفوة التفاسير، للصابوني (٤٠٥/٢)، التفسير الوسيط

للطنطاوي (٤٢٨/١٠).

(٢) تفسير الشعراوي (١٠٩٨٣/١٨).

لذلك وجب بيان وسائل الغواية والضلال، وهي كالاتي:

- وسوسة الشيطان: وهو ما يلقيه الشيطان في نفس المرء من الوسوسة بعمل الشر وارتكاب المعاصي، ولقد حذرنا منه الله ﷻ حيث قال: ﴿مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٥].
- تسويل النفس بالمعاصي: مثل ما صنع إخوة يوسف ﷺ معه، حين أقوه في الجُب، حيث سولت لهم أنفسهم بالكذب على أبيهم، والقول بأن الذئب أكله، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣].
- تزيين القبيح في صورة الجميل المستحسن: تقرباً من شركائهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].
- الصد عن سبيل الله ﷻ: بالإغراء بالمال والقوة والشبهات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].
- لهو الحديث: وهو الساقط من الكلام الذي لا فائدة منه، الذي ينشغل به المرء عن عبادة الله ﷻ، مثل ما نرى اليوم من انتشار كبير للمسلسلات والبرامج الترفيهية التي لا تكون إلا للعب واللهو فقط، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].
- الاستهزاء والسخرية: بالمؤمنين مما يُضعف عزيمتهم، ويجعلهم عرضة للوقوع في الضلال، ونحن نرى في واقعنا كثيراً من أهل الباطل والفساد الذين يسخرون من أهل الحق، ليزهدوهم في الخير والصلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠].

سادساً: العبر المستفادة من الآية

١. هذه الآيات جاءت تسلية لسيدنا رسول الله ﷺ أي: لا تيأس ولا تحزن يا محمد مما يصنعون ويكيدون لك ولدعوتك، فالله ﷻ سوف يُريك فيهم يوماً أسوداً يوم الحساب، حيث لا ينفعهم شركهم بالله ﷻ.
٢. حين نجد الغرب وزمرته يكيدون للدعوة الإسلامية بكل شراسة، ويستخدمون ما أوتوا من قوة ومال؛ للصد عن دين الله ﷻ، فعلينا أن ندرك تماماً، بأن دعوتنا هي الصواب؛ لأنها ستهدم فساداً ينتفعوا به، وتلحق الضرر بمصالحهم وشهواتهم.

٣. لا بد للمرء من إصلاح نفسه وتركها على الفطرة التي فُطر عليها، وذلك بمجاهدة النفس، وعدم السير على هواها.
٤. السعادة الحقيقية تتمثل في كمال الاستمساك بالإسلام، وجعله منهج حياة كما أراد الله ﷻ، بدليل إفلاس الحضارة الغربية في تحقيق السعادة البشرية رغم تقدمها في العلوم المادية والإبداعات التكنولوجية.
٥. الحذر من بعض الأمثال الشعبية المنتشرة بين المسلمين والتي لا تخلو من شرك أو معصية.
٦. إذا أردنا الهدى فلا بد أن نأخذ بأسبابه ونتجنب أسباب الضلال، ولا نتمسك إلا بالكتاب والسنة الصحيحة ونعُض عليهما بالنواجذ، حتى ننجو من الهلاك يوم القيامة.
٧. التوبة والعمل الصالح سبيل الفلاح والنجاة إلى بر الأمان.

المطلب الرابع

الإقرار بأن الخلق والمشينة والعلم والرجعة والقدرة بيد الله ﷻ

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمَنْ رَحِمَهُ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٦٨-٧٣].

أولاً: المناسبة

بعد توبيخ الله ﷻ للمشركين على اتخاذهم الشركاء ودعوتهم للشفاعة والنصرة في مشهد من مشاهد القيامة، يُصور حالهم ومغبة ما هم فيه، وحالة الفرط والدهشة التي تعتر بهم، حيث الخزي والفضيحة، أنت هذه الآيات لتوضح الحقيقة التي نسيها وتغافل عنها الناس، وكانت سبباً في هلاكهم وانجرارهم في الشرك، وهي أن الله ﷻ صاحب الاختيار المطلق في تعيين الشفعاء، وأن الله ﷻ يخلق ويختار ما يشاء، يختار للكفار الضلال وللمؤمنين الهدى بناءً على علمه المسبق بحال الطرفين، كما ولا يملك أحد أن يقترح عليه شخصاً ولا حادثاً ولا حركةً ولا قولاً ولا فعلاً، فهو العالم والقادر على كل الأمور، كما أن حكمته بالغة في

خلق كونه في غاية من الدقة والاتقان كما في خلق الليل والنهار، ثم لما ذكر الله ﷻ ما للمفلق من الرجاء في يوم الجزاء، ختم الآيات بالشكر إشارة إلى أنه سبب الفلاح المذكور آنفاً^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿يَخْلُقُ﴾ خَلَقَ، يَخْلُقُ، خَلْقًا، يقول الراغب: الخَلْقُ أصله التقدير المستقيم، وله في اللغة استعمالان^(٢):

الأول: يستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

الثاني: يستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

﴿الْخَيْرَةُ﴾: خَيْرٌ، الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، والخَيْرَةُ: الْخَيْرُ، وهي اسم من الاختيار تقام مقام المصدر، وهي أيضاً اسم للمختار وقيل هي الحالة التي تحصل للمستخير والمختار، نحو القعدة والجلسة لحال القاعد والجالس، والاختيار: طلب ما هو خير وفعله، وقد يقال لما يراه الإنسان خيراً، وإن لم يكن خيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]^(٣).

﴿مَا تُكِنُّ﴾ كَنَّ، الكاف والنون أصل واحد يدل على ستر أو صون، يقال كَنَنْتُ الشَّيْءَ فِي كِنِّهِ، إذا جعلته فيه وَصَنْتُهُ، وَأَكَنَنْتُ الشَّيْءَ: أَخْفَيْتُهُ بما يُسْتَرُ فِي النَّفْسِ، قال تعالى: ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وَالْكَنُّ: ما يحفظ فيه الشيء، يقال: كَنَنْتُ وَخُصَّ كَنَنْتُ بما يستر ببيت أو ثوب، وغير ذلك من الأجسام، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصفافات: ٤٩] وجمع الكنِّ أَكْنَانٌ. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل: ٨١]^(٤).
﴿سَرْمَدًا﴾ السرمد هو الدائم المتصل، من السرد والمتابعة، والسرمدى ما لا أول له ولا آخر^(٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٧٠٧/٥)، نظم الدرر، للبقاعي (٣٤٥/١٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٣٢/٢)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٣٠١)، تفسير البيهقي (٥٤١/٣).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١٢٣/٥)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٧٢٦).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤٢٨/٣)، تفسير مجاهد (ص: ٥٣١)، التعريفات (ص: ١١٨).

﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ السين والكاف والنون أصل واحد يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يُقال سَكَنَ الشيء يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ، والسُّكُونُ: ثبوت الشيء بعد تحرك، والسَّكُنُ: الأهل الذين يسكنون الدار، والمَسْكُنُ: اسم للمكان المسكون، والجمع مَسَاكِينُ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠] (١).

والمقصود: ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ "تستريحون من الحركة والنصب" (٢).

ثانياً: اللطائف البيانية

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْحَيَوةُ﴾ اختلف في (ما) هل تفيد الإثبات أم النفي على قولين (٣):

الأول: تفيد الإثبات، والمعنى: أي يختار الله ﷻ ما هو الأصلح والخير لهم.

الثاني: تفيد النفي، والمعنى: أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله ﷻ.

وترى الباحثة أنه لا تعارض أو تناقض بين المعنيين، فكل منهما يوضح الآخر ويبرز

المقصود أي: أن الله ﷻ صاحب الاختيار، واختياره لا يكون إلا بما فيه الصلاح والخير.

﴿تَكُنْ﴾ و﴿يعلمون﴾، ﴿الأولى﴾ و﴿الآخرة﴾ فيهما طباق يوضح المعنى ويبرزه (٤).

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفْلا تَسْمَعُونَ﴾، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استفهام يفيد التبكيت والتوبيخ (٥).

﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ عبر بحرف الجر (في) للدلالة على شدة الانغماس في السكن ليلاً.

ثالثاً: سبب النزول

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْحَيَوةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قال أهل التفسير: نزلت جواباً للوليد بن المغيرة، حين قال فيما أخبر الله تعالى عنه

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فأنزل الله تعالى هذه

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٨٨/٣)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٤١٧).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣٩١/٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٥٤١/٣).

(٤) التفسير المنير، للزحيلي (١٤٧/٢٠).

(٥) المرجع السابق (١٥٢/٢٠).

الآية لتخبرهم أنه ﷺ لا يبعث الرسل باختيارهم، فكانت رداً على تطّعات قريش وترقبهم إنزال القرآن على غير محمد ﷺ، وهو أحد رجلين إما الوليد بن المغيرة من مكة، أو عروة بن مسعود الثقفي من الطائف^(١).

رابعاً: المعنى الإجمالي^(٢)

إن المتمعن في الآيات السابقة يصل إلى مفهوم أن الخالق وحده من له حق الاختيار، فهو حق استحقاق عزته وكمال قدرته؛ لأنه لو لم يُنفذ مشيئته واختياره لم يكن ليُوصف بصفات الجلال والكمال، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ أي: أن الله تعالى هو المتقرّد بخلق ما يشاء، واختيار ما أراد، يصطفي من الملائكة والناس رسلاً لأداء المهمة، ويوقع الاختيار لما يشاء فيريد الإيمان للأبرار، والكفر للأشرار، نظير ما كان من فعل هؤلاء المشركين الذين كانوا يجعلون لآلهتهم خيار أموالهم، لا اعتراض على اختيار الله ﷻ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه الله ﷻ وتقدّس عن إشراك المشركين في خلقه واختياره، وليعلم الجميع بأن الله ﷻ يعلم ما تخفي الصدور وما تعلن من النيات والأقوال والأفعال، وما يجيش بالخواطر، فربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم، فيكون اختياره لمن يختار منهم للإيمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبيادبها، فهو المتقرّد بالألوهية، فلا معبود سواه، وهو القادر على كل الممكنات، المحمود في جميع ما يفعله في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع جميع الخلائق في القيامة.

كما وأن دلائل قدرة الله ﷻ كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، ومنها خلق الليل والنهار، فإن في خلقهما وما بينهما من تعاقب مستمر، لأعظم دليل وأوضح برهان على أن الله ﷻ هو رب الكون وخالقه والقادر عليه، وإذا تخيل المرء بأن الكون أصبح في ظلام دامس أبدي، أو في نور نهار سرمدي لا ينتهي، فسيدرك الحقيقة القائلة بأن صاحب الكون أعلم بتدبير أمره وتنسيق حاجاته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ومن رحمته زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة؛ لتسكنوا في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار وإرادة شكركم الله ﷻ على نعمه العظيمة.

(١) انظر: أسباب النزول، للواحي (ص: ٣٤٩).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٦١١/١٩)، لطائف الإشارات، للقسيري (٧٧/٣)، نظم الدرر، للبقاعي

(٣٣٩/١٤)، للكشاف، للزمخشري (٤٢٩/٣).

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- هذه الآيات تُقر عدداً من الحقائق التي قد يغفل عنها الكثير، وهي كالتالي:

الحقيقة الأولى: ظواهر الحياة ومخلوقاتنا دليل على وجود الخالق ﷻ

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إن أدلة وجود الله ﷻ كثيرة في منهج النقل والعقل، ومنها دليل الخلق، فهي خاصية من خصائص الله ﷻ المنفرد بها، والتي لا يُنازعه بها أحد، ومن ادعى القدرة على الخلق أسخطه الله ﷻ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، وإذا أعمل الإنسان نظره في الكون سيد من آثار قدرة الخالق وعظمته وكمال صفاته في كل مخلوق أية وعبرة، فالله ﷻ خلق كل شيء بقدر وجعله في مكانه، فلم يخلق شيئاً سدى أو هباءً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

ومن تأمل في المخلوقات أدرك أن هناك إلهاً واحداً خالقاً هو الذي أوجدها، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، يقول ابن تيمية في تفسير الآية: " أي: أخلقوا من غير خالق خلقهم فهذا ممتنع في بدهة العقول، أم هم خلقوا أنفسهم فهذا أشد امتناعاً فعلم أن لهم خالقاً خلقهم وهو ﷻ " (١).

الحقيقة الثانية: الخيرة في ما اختار الله ﷻ (٢)

قال تعالى: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ وهذه حقيقة عظيمة لو استقرت في أخلاق الناس وضمايرهم لما سخط الناس على شيء يحل بهم، ولا أحنزهم شيء فاتهم أو فلت من أيديهم، لأنهم أيقنوا بأن الله ﷻ إليه مرد الأمور كلها صغيرها وكبيرها، ولشعر الناس بالرضى، وسلموا الأمر إلى صاحبه بصفاء التفويض، فإن أصابتهم مصيبة صبروا واحتسبوا، وإن أكرمهم شكروا وحمدوا، أخرج مسلم عن صهيب الرومي (٣)، قال رسول الله ﷺ: ﴿عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،

(١) الرد على المنطقيين (ص: ٢٥٣).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧٠٧/٥)، نظم الدرر، للبقاعي (٣٤٠/١٤).

(٣) صهيب بن سنان بن مالك: وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً، أسلم هو وعمار بن ياسر في دار الأرقم، هاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، توفي سنة ثمان وثلاثين وقيل سنة تسعين (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٦٤)).

إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ^(١).

يقول ابن القيم أن اختيار الله ﷻ لعباده نوعان^(٢):

النوع الأول: اختيار ديني شرعي، وهذا الاختيار يتعلق بإرادة العبد واختياره، بناءً على التكليف الشرعية التي أمرنا الله ﷻ بها أو نهانا عنها فهي مناط الثواب والعقاب، وما علمناه عن طريق الرسل والوحي من حلال وحرام، فاختيار العبد خلاف ذلك منافٍ لإيمانه وتسليمه، ورضاه بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

النوع الثاني: اختيار كوني قدرتي، كالمصائب التي يبئلي الله ﷻ بها عبده، وما على العبد سوى الصبر والاحتساب عند الله ﷻ، فهذا الاختيار الرباني عبارة عن محطة اختبار للعبد عن مدى صبره، ووقوعه أمرٌ ضروريٌ لمشيئة الله ﷻ النافذة في ملكه، وهو لا يخلو من الحكمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

الحقيقة الثالثة: علم الله ﷻ محيط بكل شيء

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ العلم صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، ومن أسمائه (العليم) قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، فالله ﷻ عالم بعباده، وبكل ما يتعلق بهم من آجالهم وأرزاقهم وأعمارهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، بل يعلم ما أدق من ذلك، يعلم ما في النفوس وما يجيش بالخواطر، يعلم السر والإعلان، ويقول الطبري: "أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة، والعلانية الرضية"^(٣)، ولقد أخبر الله ﷻ في كتابه معلماً نبيه ﷺ كثيراً من أمور الغيب التي لم يعاصرها النبي ﷺ من الماضي ومن حاضره الغائب عن عينه وسمعه، ومن الأحداث قبل وقوعها من المغيبات المستقبلية، كيف لا وقد قال في كتابه العزيز: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، "فهو يعلم ما في السماوات السبع، والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى،

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (٤/٢٢٩٥)، حديث (٢٩٩٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/١٨٥).

(٣) جامع البيان (١٩/٦١١).

وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومناقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم، وكلامهم، أنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة" (١).

الحقيقة الرابعة: الحكم لله ﷻ والرجعة إليه

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الحكم والتشريع لله ﷻ وحده بلا منازع، فهو المحلل والمحرم، والآمر والناهي، بيده مقاليد السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، والرجعة للحساب لا تكون إلا إليه ﷻ ليجازي المحسنين على طاعتهم، ويعاقب العصاة على عصيانهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، يقول الزحيلي: "والله تعالى له القضاء النافذ في كل شيء، فلا معقب لحكمه، وهو القاهر فوق عباده، الرحيم اللطيف الخبير، وإليه ترجع جميع الخلائق يوم القيامة، فيجزى كل عامل بعمله من خير أو شر، ولا يخفى عليه منهم خافية في الأرض ولا في السماء" (٢)، فالله ﷻ لا يخل بميزان العدل، لأن القوانين الإلهية عادلة لا تمييز فيها ولا تناقض، لكن للأسف نرى في واقعنا الأليم، استبدال حكم الله ﷻ بالقوانين الوضعية، فغيب شرعه، ولم يعمل به، حيث تغلغت في البلاد الإسلامية وأقصت شريعة الله ﷻ، ظناً منهم بأن أحكام القرآن الكريم كانت لوقت معين وانتهت، أو طعناً في الدين وابعاده عن الساحة؛ لكي يخلو لهم الجو في تحقيق مصالحهم وشهواتهم، وكان أول ابتعاد عن الشريعة تحت شعار فصل الدين عن السياسة، فانقلب حال المسلمين، فبعد عزتهم التي بلغت الثريا، أصبحوا في محط ثرى العالم الغربي والمشركين، يُقلدون دون فهم، ويلهثون وراءهم كما يلهث العطشان على قطرة ماء، وما هو بواجدها، أخرج الإمام أحمد عن ثوبان (٣) مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةِ بَنِي يَوْمِنَا؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمِنَا كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ، تَنْتَرِعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، لعلي بن عبد القادر السَّقَاف (ص: ٢٥٦).

(٢) التفسير المنير (١٥٠/٢٠).

(٣) ثوبان بن جدد مولى رسول الله ﷺ: كان سبياً فاشتراه الرسول وأعتقه، شهد فتح مصر وتوفي بها سنة أربع وخمسين، روى عن النبي ﷺ أحاديث نوات عدد (انظر: أسد الغابة ط العلمية (١/٤٨٠)).

الْوَهْنُ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ (١).

وترى الباحثة: أنه لا بد من العودة إلى الشريعة الإسلامية فهي القانون الوحيد الحق الذي ينبغي أن يطلق عليه قانون تشريع؛ لأنه من عند رب العالمين، وبه فقط تستطيع الأمة الإسلامية استعادة مجدها وعزتها، وترك ما عداه من قوانين البشر، فهي قوانين الجاهلية التي تؤدي إلى الشقاء والعناء في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقد أخرج ابن ماجه عن العرياض بن سارية (٢)، يقول: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقبل يا رسول الله: وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد، فقال ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عِبَادًا حَبَشِيًّا، وَسَتْرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (٣).

٢ - الليل والنهار آيتان لله ﷻ تدلان على القدرة الإلهية

لقد أقام الله ﷻ دليلاً للمشركين على ما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة على الخلق والاختيار، متمثلاً في اختلاف الليل والنهار حيث قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ﷻ أيها القوم أرايتم إن جعل الله عليكم الليل دائماً لا نهار إلى يوم القيامة يعقبه، أو ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: وقل لهم أيضاً أرايتم إن جعل الله عليكم النهار دائماً لا ليل إلى يوم القيامة، وفي هذه الحالة أنتم في أمس الحاجة للقادر وللخالق، ثم أمر تعالى نبيه أن يوقفهم على أمر الليل والنهار وما منح الله ﷻ فيهما من المصالح والمرافق، قال تعالى: ﴿مَنْ إِيَّاهُ يَتَّبِعْ لَيْلٌ مُبِينَةٌ وَإِذَا جَاءَهُ النَّهَارُ صَلَّى خَلَتِ ظُهُورُهُمْ إِرْسَافًا وَمَقَامًا﴾ أي: من يولد لكم نهاراً تنتشرون فيه ، ﴿مَنْ إِيَّاهُ يَتَّبِعْ لَيْلٌ مُبِينَةٌ وَإِذَا جَاءَهُ النَّهَارُ صَلَّى خَلَتِ ظُهُورُهُمْ إِرْسَافًا وَمَقَامًا﴾ أي: من يولد لكم نهاراً تنتشرون فيه ، ﴿مَنْ إِيَّاهُ يَتَّبِعْ لَيْلٌ مُبِينَةٌ وَإِذَا جَاءَهُ النَّهَارُ صَلَّى خَلَتِ ظُهُورُهُمْ إِرْسَافًا وَمَقَامًا﴾

(١) مسند أحمد مخرجاً، باب من حديث ثوبان، (٨٢/٣٧)، حديث (٢٢٣٩٧)، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن الإسناد.

(٢) العرياض بن سارية السلمي: يُكنى أبا نجيح وهو من أهل الصُّفة، سكن بالشام وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام، توفي سنة خمس وسبعين، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير (انظر: أسد الغابة ط العلمية (١٩/٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٣٩/٣).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، (١٥/١)، حديث (٤٢)، قال الألباني: حديث صحيح.

تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: ومن يسكنكم ليلاً تقرن وتستريحون فيه، وهذا دليل قاطع على قدرة الله التي لا مثيل لها مطلقاً إن أمعنوا النظر كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: أفلا ترعون ذلك سمعكم وبصركم وتفكرون فيه فتتعظون، وتعلموا أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل، ومن حكمته أن جعل لكم السمع والأبصار، لتتدبروا آياته، وتتبصروا في مصنوعاته، لكن الواقع أثبت أنكم عمي وبكم صمم فأنتم لا تفقهون شيئاً^(١).

٣- دعوة للتدبر والتأمل في الكون

نجد في القرآن الكريم إشارات حول بعض السنن الكونية، الغرض منها تحفيز العقل على التفكير والتدبر في مخلوقات الله ﷻ، ومنها اختلاف الليل والنهار، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، يقول الزحيلي: "أخبروني إن جعل الله ﷻ وقتكم كله ظلاماً، فجعل الليل عليكم دائماً متتابعاً إلى يوم القيامة، فيحصل لكم السأم والضجر والضرر، كالمناطق القطبية التي يكون فيها لزمناً كله ليلاً لمدة ستة أشهر، أو جعل النهار دائماً متصلاً إلى يوم القيامة دون أن يعقبه ليل، فتتعبد الأبدان وتكل الأجسام من كثرة الحركات والأشغال"^(٢)، إذن فهي دعوة صريحة للتأمل واستخلاص العبر، ومن أعظم ثمار التأمل في خلق الله هو إدراك عظمة الخالق سبحانه وبديع قدرته وعجيب صنعه وإتقانه، فلا فلتة ولا مصادفة ولا خلل، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

٤- الحكمة من تعاقب الليل والنهار

قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء ومنها اختلاف الليل والنهار فهما آيتان عظيمتان دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم، فإن دوام الزمان على هيئة واحدة من ليل أو نهار، يؤدي إلى اختلال الحياة، وعدم توفر أسباب المعيشة السليمة، ولإدراك الحكمة المنوطة باختلافهما وهي مراعاة مصالح العباد، فقد ذكرت كتب التفسير عدداً من مصالح العباد في هذا الاختلاف منها^(٣):

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، (٦١١/١٩)، بحر العلوم، للسمرقندي، (٦١٧/٢).

(٢) التفسير المنير، (١٥٣/٢٠).

(٣) انظر: نظم الدرر، للبقاعي، (٣٤٢/١٤)، تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، (ص: ٤٢٦)، الكشاف،

للزمخشري، (٤٢٨/٣)، لطائف الإشارات، للقسيري، (٧٧/٣).

أ - مصالِح العباد ليلاً

- لتسكنوا فيه وتستريحوا من أشغالكم بالخلوة مع الله ﷻ، وتستقروا لراحة أبدانكم من تعب التصرف نهاراً لمعايشكم، فهو محل السكون ومجمع الحواس، وأمكن للسمع وأنفذ للفكر، لذلك عبر بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأن سلطان السمع في الليل.
- به اعتدال حر النهار.

ب - مصالِح العباد نهاراً

- تنتشرون فيه ولتبتغوا من فضل الله ﷻ بالبحث عن الأرزاق والمعاش.
- توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما صلاح النبات ونموه بشكل سليم.
- ينفذ فيه البصر والبصيرة و تنتشع جلايبب ظلام الليل لذلك عبر بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن سلطان البصر يكون في النهار.

سادساً: العبر المستفادة من الآية

- ١- إن من أراد السعادة في كل أموره فعليه بالرضا باختيار الله له، وأن يوقن تمام اليقين الذي لا شك فيه أن اختيار الله تعالى له خير ألف مرة من اختياره لنفسه.
- ٢- الناس صنفان في تقبل اختيار الله ﷻ، الأول يعترض ويرفض قبوله فأولئك أنذرهم الله بالعذاب المهين، والآخر هم أهل الرضا الذين حطوا رحالهم بين يدي ربهم، فإن أصابهم بسهام المصائب صبروا، وإن أكرمهم شكروا، فلا يُرضيهم إلا ما يُرضيه، أولئك قال ﷻ عنهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].
- ٣- قال القشيري: "الاختيار للحق نعت عز، والاختيار للخلق صفة نقص ونعت بلاء وقصور فاختيار العبد غير مبارك عليه لأنه صفة هو غير مستحق لها، ومن اتصف بما لا يليق به افتضح في نفسه"^(١).
- ٤- إذا هم الإنسان بأمر، فعليه بالاستخارة، فقد أوصانا بها المصطفى ﷺ، ولقد أخرج البخاري عن جابر ؓ، قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كالسورة من القرآن (إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي

(١) لطائف الإشارات، (٧٧/٣).

دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةُ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَأَجَلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي
وَأَصْرِفْنِي عَنْهُ، وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ^(١).

٥- العودة إلى شرع الله ﷻ وتحكيم أمره هو السبيل الوحيد لخلاص الأمة الإسلامية من
الظلام الدامس التي غرقت فيه، وطوق النجاة الذي لا بد من التمسك به.

٦- التفكير يكون في مخلوقات الله ﷻ، لا في ذاته ﷻ.

٧- الله ﷻ جعل الصلاح للخلق بالليل مع النهار، فلو كان واحداً منهما دون الآخر لهلك
الخلق.

٨- إن تعاقب الليل والنهار دليل على عظمة الله ﷻ وقوة سلطانه وتوحيده، وهو أيضاً دليل
نعمة ورحمة بالمخلوقات جميعاً من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، (٨١/٨)، حديث (٦٣٨٢).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف الآيات (٧٤-٨٨)

من سورة القصص

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شهادة الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم
يوم القيامة

المطلب الثاني: قصة قارون مضرب المثل في الغنى
والثروة مع الظلم والعتو

المطلب الثالث: النبوة اختيار واصطفاء إلهي

المطلب الأول

شهادة الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص: ٧٤-٧٥].

أولاً: المناسبة

"بعد أن ذكر الله تعالى أنه الخالق المختار، وسفه آراء المشركين في عبادتهم غير الله ﷻ، وبعد أن أبان أنه المستحق للحمد على ما تفضل به من النعم، أردفه بإيراد بعض الأدلة والبراهين الدالة على عظمته وسلطانه وهي النعم التي لا يقدر عليها سواه، لتذكير الناس بما يجب عليهم من الحمد له، وشكر المنعم المتفضل به، ثم كرر قوله: ويوم يناديهم على جهة الإبلاغ والتأكيد، ثم ذكر شهادة نبي كل أمة على أعمالهم في الدنيا، زيادة في الغم وإثباتاً للجرم"^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ النون والزاي والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء وجذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، يقال: نزعْتُ الشيء من مكانه نزعاً، ومنه: نزعُ العداوة والمحبّة من القلب، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴾ [الأعراف: ٤٣]^(٢).

النزع: "جذب شيء من بين ما هو مُختلِطٌ به واستُعيِرَ هنا لإخراج بعض من جماعة"^(٣)، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٩].

﴿ شَهِيدًا ﴾ الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام يقال: شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً، والشُّهُودُ والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، أمّا الشَّهِيدُ فقد يقال للشَّهِيدِ، والمُشَاهِدِ للشيء، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] أي: من يشهد له وعليه^(٤).

(١) التفسير المنير، للزحيلي (١٥٣/٢٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤١٥/٥)، المفردات، للأصفهاني (ص: ٧٩٨).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٧٢/٢٠).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٢١/٣)، المفردات، للأصفهاني (ص: ٤٦٥).

ثالثاً: اللطائف البيانية

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ [القصص: ٦٢]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧]، كيف يتم التوفيق بين الآيتين: القول الأول: المناداة في الآية الأولى ليست من الله ﷻ؛ لأنه تعالى لا يكلم الكفار لقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لكنه تعالى يأمر من يوبخهم ويبيحتهم من الملائكة، ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب.

القول الثاني: يحتمل أن تكون المناداة من الله ﷻ ويكون قوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ محمولاً على بعض الأحوال حين يقال لهم: ﴿أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] (١).

رابعاً: المعنى الإجمالي (٢)

يكرر الله ﷻ النداء للمشركين إبلاغاً وتحذيراً لهم، ويقصد بهذا توبيخهم وتقريعهم قائلاً: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: واذكر يا محمد للمشركين مرة أخرى يوم يسألهم الله ﷻ أين الشركاء الذين كنتم تدعون في الدنيا أنهم شركائي في الألوهية؟ أين هم ليخلصوكم مما أنتم فيه؟

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أحضرنا وأخرجنا من كل جماعة شهيداً وهو نبيها الذي يشهد عليها بالرسالة والبلاغ وبما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله ﷻ؛ لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يوم القيامة، ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على إشراككم بالله وهاتوا فيما اعتقدتم برهاناً أي بيانا أنكم كنتم على حق، ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ فعلموا حينئذ أن الحق والتوحيد لله ﷻ وذلك بعبادته وحده لا شريك له، وأن الصدق ما جاء به نبيه محمد ﷺ، وأيقنوا وقتها بعذاب من الله لهم دائم فلم يكن لهم حجة، يقول القشيري: " كلا لا حجة لهم، ولا جواب يعذرهم، ولا شفيع يرحمهم، ولا ناصر يُعينهم، بل اشتهرت ضلالتهم، واتضحت للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد، وحق بهم وبال السرمد" (٣)، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

(١) انظر: التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي (٨٤٥/٢).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (١٩٣٦/٣)، جامع البيان، للطبري (٦١٤/١٩)، معاني القرآن وإعرابه،

للزجاج (١٥٣/٤)، بحر العلوم، للسمرقندي (٦١٧/٢)، الكشاف، للزمخشري (٤٢٩/٣)، تفسير البغوي

(٣) (٥٤٢/٣).

(٣) لطائف الإشارات (٧٩/٣).

واضح للذي كانوا يكذبون به في الدنيا، فلم ينفعهم ما عبدوه من دون الله ﷻ، بل ضرهم أعظم الضرر وأصلاهم نار جهنم وبئس المصير.

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- تكرار السؤال لتوكيد المقصود العام

لقد تكرر سؤال استنكار ما زعموا من شركاء الله ﷻ، في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، ليقف وجها لوجه أمام أباطيلهم المدعاة، حيث تتهاوى في موقف السؤال والحساب، قد سبق عرض هذا السؤال في جولة ماضية، ويعاد هنا لتوكيده وتثبيته بمناسبة المشهد الجديد، مشهد نزع شهيد من كل أمة^(١)، وللشعراوي كلام رائع حيث يقول: تقدمت المناداة قبل ذلك مرتين ومع ذلك لا يوجد تكرار لهذا المعنى؛ لأن كل نداء منها له مقصوده الخاص على النحو الآتي^(٢):

النداء الأول: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] هذا النداء خاص بمن أشركوهم مع الله ﷻ، بدليل ما قاله أمام الله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ [القصص: ٦٣]، وبذلك تظهر حيرة أتباعهم وعابديهم.

النداء الثاني: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] فالنداء فيها للمشركين عن إجابته للرسول، قال تعالى: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾، وفي هذه المرة يسكتون ولا يعرفون الإجابة.

النداء الثالث: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٧٤] هذا يهتم بمسألة الشهادة عليهم، لتوكيده وتثبيته بمناسبة مشهد نزع الشهيد من كل أمة. وعلى ذلك، فليس في الأمر تكرار، إنما توكيد للموقف وزيادة في التفريع والتأنيب، وزيادة خزي وتحقير أمام الخلائق.

٢- الشهود على الإنسان والأمم يوم القيامة

إن الشهادة يوم القيامة أمر عظيم، وشهوها عظام، لعظم الموقف وهيئته، وإذا كانت الشهادة في الدنيا على قضية ما أو حادث معين؛ لترعب المرء وتهز كيانه، فما بالكم إذا كانت هذه الشهادة يوم القيامة وبين يدي الله ﷻ.

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧٠٩/٥).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١١٠٠٥/١٨).

والشهادة في الدنيا قد يعترها الكذب أو النسيان، وقد يمتنع الشاهد عن الإدلاء بشهادته إما خوفاً من مُهدّد أو طمعاً في مُرغّب، لكن يوم القيامة لا يوجد مفرّ من الاعترافات والشهادة على العبادة أنهم كانوا في الدنيا عباداً للشهوات أم عباداً لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَهُمْ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢]، لذلك تعالوا نتعرف على شهود الآخرة، وعلى أي شيء سيشهدون، وعلى من سيشهدون؟

أ - شهادة الله ﷻ

الله ﷻ خير الشهود وأعظمهم، وأكبرهم قال في محكم تنزيله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهو المطلع على كل شيء، لا يحتجب عن المحتجبين ولا يستتر عن المستترين، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ لأنه ربهم وخالقهم وفاطهم سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، فيشهد الله ﷻ لكل امرء بما عمل في الدنيا ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] (١).

ب - شهادة الأنبياء عليهم السلام

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي الشهادة على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم الرسالة وأدوا الأمانة، فهذه إحدى وظائف المرسلين، التي تزيدهم شرفاً إلى شرفهم، وفضلاً إلى فضلهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي "أرسلناك شاهداً على الناس ترقب أحوالهم، وتُشاهد أعمالهم، وتتحمّل الشهادة على ما صدر عنهم من التصديق والتكذيب، وسائر الأعمال لتشهد عليهم وتؤدى الشهادة يوم القيامة بعد أن دعوتهم سراً وإعلاناً ليؤمنوا بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" (٢)، فكل نبي ورسول يشهد على أمته، بما فعلوا وأساءوا، فلا مجال للاستعتاب، ولا للاعتذار، فاليوم يوم حساب، إلى جنة أو إلى نار، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

(١) انظر: خطبة بعنوان: (الشهود يوم القيامة) للشيخ محمد صالح المنجد، السبت ١٣ ذو الحجة ١٤٣٦هـ، ٢٦ سبتمبر ٢٠١٥ م، <http://al-munajjid.com/8202>، ومقال بعنوان: (شهود يوم القيامة لا يكذبون ولا تنفع معهم الرشاوى)، صحيفة الوسط البحرينية - العدد ٣٨٢٩ - السبت ٢ مارس ٢٠١٣ م الموافق ١٩ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ، <http://www.alwasatnews.com>، وخطبة (الشهود على الإنسان) لفواز ابن خلف الثبتي.

(٢) التفسير الواضح لمحمد حجازي (١٠٣/٣)

ت - شهادة الملائكة

ومن الشهود على العباد يوم المعاد ملائكة الرحمن، الكرام الكاتبون، فالله ﷻ خلق الملائكة لعبادته وتنفيذ أوامره، وقسم الأعمال بينهم، فكل ملك له عمله في تدبير شؤون الكون، ومن وظائفهم المنوطة بهم الشهادة يوم القيامة على الخلق بما فعلوا، وما اقترفوا من ذنوب ومعاصي، فهم الأشهاد الذين يشهدون ويفضحون الكفرة، والمنافقين، والمجاهرين من العصاة على جميع رؤوس الخلائق، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وقد خصص الله ﷻ ملكين عن اليمين وعن الشمال، فصاحب اليمين يسجل الحسنات، وصاحب الشمال يسجل السيئات، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، إنهم يكتبون بكل صدق وأمانة، دون زيادة ولا نقصان، فيوم القيامة تأتي كل نفس معها ملكان، واحد يسوقها، والثاني يشهد عليها ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

ث - شهادة صحيفة الأعمال

وهو الكتاب الذي كتبه الملائكة، مسجل فيه كل شاردة وواردة في حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، فيوم القيامة تُنشر هذه الصحف ويرى كل إنسان عمله في هذه الدنيا، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] فيعرف الجميع مصيرهم في الخلود الأبدي.

ج - شهادة أركان وجوارح الإنسان

يقول الزحيلي: "إن أعضاء الإنسان التي كانت أعوانا في حق نفسه، صارت عليه شهوداً في حق ربّه" (١)، وهذه هي الطامة الكبرى، فالأركان والجوارح ملاصقة للمرء تعرف ما يفعل وتُبأشر بالعمل الذي تُأمر به، فهي أعلم المخلوقات بصنيع حاملها، فينطقها الله ﷻ يوم القيامة؛ لتشهد على الإنسان، فيشهد السمع والبصر والجلود، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢١]، ولا يقتصر الأمر على شهادة سمع الإنسان على نفسه فقط؛ بل شهادة سمع

(١) التفسير المنير (٤١/٢٣).

الآخرين له، أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جِنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١).

كما ويشهد على المرء اليدان والرجلان، فماذا صنعت يدك من معروف، وكم درهماً تصدقت به لوجه الله ﷻ، وكم من خطوة مشيتها إلى بيوت الله لأداء الصلاة جماعة مع المسلمين، أو خطوة سلكتها لتصلح بين المتخاصمين، وكم من كلمة قلتها تأمر بمعروف أو تنهي عن منكر؟ وقتها يختم الله ﷻ على أفواههم، حتى تنطق جوارحهم، فهي أصدق من ألسنتهم التي سيكذبون بها، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]، وأخرج مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: (هل تدرون مم أضحك؟ قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهَدَاءَ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُخْقًا، فَعَنْكَنَ كُنْتُ أَنْاضِلُ)^(٢).

ح- شهادة محمد ﷺ وأُمَّته على الأمم

لا يكتفى الأمر على شهادة الرسول ﷺ على أُمَّته وعلى غيرها، بل تشهد أُمَّته على جميع الأمم يوم القيامة، وهذا دليل على عدالة هذه الأمة وشرفها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وأخرج للبخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ)^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، (١/١٢٥)، حديث (٦٠٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، (٤/٢٢٨٠)، حديث (٢٩٦٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، (٦/٢١)، حديث

خ- شهادة الأرض التي تمشي عليها في هذه الدنيا

وهناك شاهد آخر أسفل منا، ونحن فوقه، نعيش على ظهره، إنها الأرض وما عليها من أشجار وأحجار وجبال وأنهار، تشهد بكل ما عمل عليها الإنسان من خير أو شر، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤-٥]، يقول ابن القيم: "إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة"^(١)، إذن فالأرض تكتب الآثار هل هي إلى المساجد، أم إلى الملاهي الليلية، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فيا له من موقف صعب، ويا له من منظر مهول، فهذا الجماد الصامت، سوف ينطقه الله ﷻ يوم القيامة، ليكون شاهداً للإنسان أو شاهداً عليه، يشهد بكل ما رأى مما يغضب الله ﷻ، وبما حدث عليها من خير في جميع صوره.

٣- معرفة الحق بعد فوات الأوان

قال تعالى: ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: تبين أن العبادة والدين الحق لله ﷻ لا لسواه، إذ ضل وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل ﷺ، لكن عرفوا الصواب في الوقت الضائع، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وتبدل الأرض غير الأرض، ويبرز الناس للحساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَهُمْ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

سادساً: العبر المستفادة من الآية

١- يزداد غم المشركين وتتضاعف حسرتهم وكمدهم وألمهم، حين يشهد عليهم أنبيائهم بأعمالهم الخسيسة في الدنيا، ولكنهم يعجزون عن إحضار حجبتهم على صحة أو صدق ادعائهم، ويدركون إدراكاً جازماً أن الأنبياء ﷺ صادقون فيما جاؤوا به، وأن الله وحده هو الإله الحق^(٢).

٢- يجب اتقاء الله ﷻ في جوارحنا وأعضائنا كلها، ولنعلم أنها ستنتطق علينا غداً أمام الله ﷻ، ونكون الفضيحة هناك، كم من نظرة محرمة أطلقتها، وكم من خطوة مشيتها أو قبضة يد حركتها في معصية الله ﷻ.

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٨١).

(٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥٧/٢٠).

المطلب الثاني

قصة قارون مضرب المثل في الغنى والثروة مع الظلم والعتو

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَحَسَنَّا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦-٨٤﴾ . [القصص: ٧٦-٨٤] .

أولاً: المناسبة

بعد ذكر حال المشركين وما آلوا إليه من جراء بطرهم وطمعهم في الدنيا، عرضت الآيات قصة قارون الرجل المتبطر على نعم الله ﷻ، والذي يعد مثلاً للمفتونين بمتاع الدنيا وغرورها، وذلك لأخذ العظة والموعظة.

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿فَبَغَى﴾ البغى: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، والبغى على ضربين^(١):

- بغى محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع.
- بغى مذموم، وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه.

(١) انظر: المفردات، للأصفهاني (ص: ١٣٦).

﴿الْكُنُوزِ﴾ جمع: الكنز، "وهو المال المدفون ويقال: اكتنز الشيء أي اجتمع وامتلأ"^(١)، وقال الأصفهاني: "الْكُنُزُ: جعل المال بعضه على بعض وحفظه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] أي: يدخرونها"^(٢).

﴿مَفَاتِحُ﴾ المفاتيح جمع مَفْتَح، وهو الذي يُفْتَحُ به الأبواب، وذكر ابن قتيبة في تفسيره عدة معاني للمفاتيح^(٣):

أ- الكنز نفسه.

ب- مكان الخزان.

ت- ما ملكتموه من المخزون، قال تعالى: ﴿مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ [النور: ٦١].

﴿لَتَنْوُءُ﴾ "نوأ: ناء بالحمل: أي نهض به متقللاً"^(٤)، وقوله: ﴿لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ أي "تميل بها العصبه إذا حملتها من ثقلها"^(٥).

﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ "هي الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضاً في الفعل ويتعصب بعضهم لبعض"^(٦).

واختلف في تحديد مقدار العصبه، فقال مجاهد: "العصبه: ما بين العشرة إلى خمسة عشر"، وقال الفراء: "والعصبه هاهنا أربعون رجلاً"، لكن الرازي جمع بين القولين حيث ذكر في كتابه "العصبه" من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين"^(٧).

﴿لَا تَفْرَحُ﴾، ﴿الْفَرِحِينَ﴾ "الْفَرِحُ: انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية"^(٨)، قال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٢٦]، وقوله: ﴿لَا تَفْرَحُ﴾: أي لا تأسر ولا تفرح ولا تبطر^(٩)، و﴿الْفَرِحِينَ﴾: أي "المتبذخين الأشريين البطرين الذين لا يشكرون

(١) مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٢٧٣).

(٢) المفردات (ص: ٧٢٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

(٤) مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٣٢١).

(٥) معاني القرآن، للفراء (٣١٠/٢)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٨٥).

(٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٥٥/٤).

(٧) تفسير مجاهد (ص: ٥٣١)، معاني القرآن، للفراء (٣١٠/٢)، مختار الصحاح (ص: ٢١٠).

(٨) المفردات، للأصفهاني (ص: ٦٢٨).

(٩) انظر: مجاز القرآن، لمعمر بن المثنى (١١١/٢)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٨٥).

الله فيما أعطاهم" (١).

﴿نَصِيْبًا﴾ "النصيب: الحظ من الشيء، يقال: هذا نصيبي، أي حظي" (٢).

﴿الْقُرُونِ﴾ جمع القرن، وهو مدة من الزمن تقدر بمائة عام، والمراد بها هنا الأمم المتبصرة والسابقة لقوم موسى ﷺ .

﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ جرم: كسب، أو جنى، (الْجُرْمُ) وَ (الْجَرِيْمَةُ) الذنب، وقوله: ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ أي المذنبين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧] (٣).

﴿حَظًّا﴾ الحَظُّ: النصيب المقدر والجُدُّ، ويقال للرجل يَحْظُ (حَظًّا) أي صار ذا حظٍّ من الرِّزْقِ فهو (حَظٌّ) وَ (حَظِيظٌ) وَ (مَحْظُوظٌ) وَ (حَظِيٌّ)، قال الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] (٤).

﴿وَيْلَكُمْ﴾ ويل: "كلمة عذاب، يقال: وَيْلُهُ وَوَيْلُكَ وَوَيْلِي وَوَيْلَاهُ، (الْوَيْلُ) وادي في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره" (٥)، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] ، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

﴿فَحَسَفْنَا﴾ خسف "الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموضٍ وَغُورٍ لظاهر الأرض" (٦).

﴿فِتْنَةٍ﴾ "هي الطائفة المقيمة وراء الجيش للالتجاء إليهم عند الهزيمة" (١)، ويراد بها هنا "الأعوان والظهراء" (٢).

(١) تفسير مجاهد (ص: ٥٣١).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٣٤/٥).

(٣) انظر: المفردات (ص: ١٩٣)، مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٥٦).

(٤) انظر: المفردات، للأصفهاني (ص: ٢٤٣)، مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٧٦) مقاييس اللغة، لابن فارس (١٤/٢).

(٥) مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٣٤٧).

(٦) مقاييس اللغة، لابن فارس (١٨٠/٢).

(١) التعريفات، للأصفهاني (ص: ١٦٤).

(٢) مجاز القرآن، لمعمر بن المثنى (١١١/٢).

﴿وَيَكَّأَنَّ﴾ قال الفراء: ذهب بعض النحويين إلى أنهما كلمتان لكن اختلف في تحديدهما على النحو التالي^(١):

▪ (ويك) (أنه)، أراد ويلك، فحذف اللام وجعل (أَنَّ) مفتوحة بفعل مضمر، واستدلوا بالشعر من قول عنترة بن شداد:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قول الفوارس ويك عنتر أقدم

▪ (وي)، (كأن)، (وي) "كلمة تُذكر للتحسر، والتندم، والتعجب، وقد تدخل (وي) على (كأن) المخففة والمشددة فتصبح ويكأن"^(٢)، ورجح الزجاج هذا القول قائلاً: أنه أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم، أي: متندمين على ما سلف منهم، وكل من تندم أو ندم فإظهار تندمه أن يقول (وي)^(٣).

ثالثاً: اللطائف البيانية^(٤)

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ ﴿الْفَرِحِينَ﴾ و﴿الْفَسَادَ﴾ ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ بين كل منهما جناس اشتقاق.

﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ تأكيد الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ و﴿اللام﴾ لأن السامع شاك ومتردد.

الكناية ﴿تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ كنى عن الزمن الماضي القريب بلفظ الأمس.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى﴾ بينهما مقابلة لطيفة.

قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَّأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ استعمل في الآية

أداة الشرط (لَوْلَا) تخبر الآية عن ندم أولئك الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما كان لقارون من النعم، في سياق جملة شرطية تقديرها لولا أن تفضل الله علينا بهدايته ولطفه لكننا الآن من المخسوفين مع قارون، حيث إن (لولا) تفيد امتناع لوجود أي لوجود منة الله ﷻ امتنع الخسف بنا.

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا

السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية تحتوى على جملتين شرطيتين ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ

(١) انظر: معاني القرآن (٣١٢/٢).

(٢) المفردات، للأصفهاني (ص: ٨٨٨)، مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (ص: ٣٤٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١٥٦/٤).

(٤) صفوة النفاسير، للصابوني (٤١٢/٢).

مِنْهَا» و«وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، استعمل في الجملتين أداة الشرط (من) حيث تبين حال السعداء والأشقياء يوم الحساب، في سياق جملتين شرطيتين تقديرهما من جاء يوم القيامة بحسنة من الحسنات فإن الله يضاعفها له أضعافاً مضاعفة، ومن جاء بسيئة من السيئات فإن الله يجزي بمثلها دون زيادة.

رابعاً: القراءات المتواترة

قال تعالى: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ فيها قراءتان^(١):

• قرأ يعقوب^(٢) وحفص^(٣) بفتح الخاء والسين ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾، وقرأ الباقر بضم الخاء وكسر السين ﴿لُخِسَفَ بِنَا﴾.

- التوجيه: قراءة الفتح ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ دلالة على الإخبار بذلك عن الله ﷻ أي لخسف الله بنا، وقراءة الضم ﴿لُخِسَفَ بِنَا﴾ دلالة على بناء ما لم يسم فاعله، فبنى الفعل للمفعول.

■ قال تعالى: ﴿وَيُكَانَهُ﴾ فيها وجهان^(٤):

- أهل البصرة يختارون الوقف على (وي)؛ لأنها عندهم كلمة حزن ثم يبتدون (كأنه).

- أهل الكوفة يختارون وصلها لأنها عندهم كلمة واحدة، أصلها (ويك أنه)، فحذفت اللام، ووصلت بقوله (أنه).

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، (٣٤٢/٢)، الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: ٢٧٩)،

حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: ٥٤٩)، الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي (٥/٤٢٥).

(٢) يعقوب: (١١٧-٢٠٥) أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مولاهم البصري، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها، أخذ القراءة عرضاً عن سلام الطويل ومهدي بن ميمون وغيرهم، سمع من حمزة الزيات، وشعبة، كان عالماً بالعربية ووجهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً نقياً تقياً، ورعاً زاهداً، أشهر من روى عنه رويس ورح، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٣٨٦/٢)، معرفة القراء للذهبي (ص: ٩٤).

(٣) حفص: (٩٠-١٨٠) هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وتلقيها عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ أيضاً بها، وكان ثقة ثبت ضابط للقراءة، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٥٤).

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه (ص: ٢٧٩).

خامساً: المعنى الإجمالي^(١)

وتضرب هذه الآيات مثلاً لكل من تبطر على نعم الله ﷻ، ورفض اتباع المرسلين، مغترراً بماله وسلطانه، وتمثل هذا المثال بشخص قارون الثري المتترف ابن عم موسى ﷺ، إذ كان له من الكنوز ما لا تحماه إلا العصبية القوية، قال تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحَهُ لَسَبُوءٌ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، لكنه بغى وتجبر وكفر بما جاء به موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾، فنهاه قومه بخمس مواعظ لعله يرجع عن بغيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ حيث كانت هذه النصيحة الأولى له أي: لا تبطر ولا تتبختر بمالك، ثم أوصوه بأن يطلب بماله رضا الله ﷻ وأخرته قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾، وثالث نصيحة كانت ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تترك حظك من لذات الدنيا المباحة، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن وغيرها، ثم أحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك باللين والمعاملة الحسنة وتحسين السمعة وحسن اللقاء، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وخامس النصائح قالوا له لا تقصد الإفساد في الأرض بالظلم والبغي والإساءة إلى الناس، فإن الله تعالى يعاقب المفسدين، ويحول بينهم وبين رحمته وعونه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، لكنه أبى وأخذته العزة بالإثم، فأعجب بنفسه، حيث قال لناصحيه: ﴿قَالَ إِنِّي أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، فاستبدّ البغي والغرور بقارون وسيطر عليه الكبرياء، فحسف الله به الأرض، ودمر دوره وممتلكاته، قال تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فكان هذا المصير المشؤوم نصيبه ونصيب كل من أراد البغي في الأرض، وختم الله ﷻ هذا المقطع بقوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: أن تلك الدار الخالدة العظيمة، ونعيمها الأبدي، يجعلها الله سبحانه وتعالى للذين لا يستعلون ولا يتجبرون، ولا يريدون أي لون من ألوان الفساد، والعاقبة الحسنة هي لأهل التقوى الملتزمين بأوامر الله ﷻ، المبتعدين عن نواهيهِ ومحظوراتهِ.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- وصف القرآن لغنى قارون

قارون هو أحد أغنياء قوم موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾، وكان رجلاً ثرياً ومترفاً، آتاه الله ﷻ مالا كثيراً حيث يحدثنا القرآن عن كنوزه بتصوير رائع لما

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٩/٦٢٥-٦٣٨)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٣٧-١٩٤٢).

كان عليه قارون من كثرة المال والغنى والثراء في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ أي: "أعطيناه من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح خزائنه لكثرتها وتقلها فضلاً عن حمل الخزائن والأموال"^(١)، ويقول الطبري في وصف مفاتيح كنوزه: "كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الأصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على سنتين بغلاً أغر محجل"^(٢).

٢- قيم هامة لا بد من التمسك بها والعمل بمقتضاها للنجاة من غرور الدنيا

حيث تُقرر هذه القصة مجموعة من القيم والمبادئ التي تبرز منهج القرآن الكريم في القصد والاعتدال وهي في النقاط الآتية:

أ- مقابلة الإساءة بالإحسان

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: تجاوز الحدود في ظلمهم وفي الاعتداء عليهم، وفي مقابلة بغيه وجد الناصحين له من قومه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾، فقد هموا يذكرونه بالله ﷻ وعدم الاغترار بالمال والسلطان، ويحاولون إرجاعه للنهج القويم، وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم ولا الاستمتاع بمتاعهم، ولكن يفرض عليهم القصد والاعتدال ومراقبة الله ﷻ دون بغي أو ظلم^(٣).

ب- النهي عن فرح الزهو والبطر

قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي: "لا تفرح بدنياك فرحاً مصحوباً بالبطر والأشر، والفتنة والغرور فالدنيا عرض زائل، وعارية مستردة يربح فيها من عرفها، ويخسر من اغتربها"^(٤)، قال تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، بل الفرح يكون بالقصد والاعتدال حتى لا ينسى المرء المنعم عليه ﷻ، قال التستري: "من فرح بغير مفروح استجلب حزناً لا انقطاع له، وليس للمؤمن راحة دون لقاء الحق ﷻ، والسعيد من الخلق من صرف بصره عن أحواله، وأفعاله سبيل الفضل والإفضال، ورؤية منة الله ﷻ في جميع الأفعال، والشقي من زين نفسه وأحواله وأفعاله حتى افتخر بها،

(١) صفوة التفاسير، للصابوني (٤٠٩/٢).

(٢) جامع البيان، للطبري، (٦١٧/١٩).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٢٧١١/٥).

(٤) التفسير الواضح، لمحمد حجازي، (٨٤٨/٢).

وادعى ذلك لنفسه، فشؤمه يهلكه يوماً ما وإن لم يهلكه في الوقت نفسه" (١).

ث- اعتدال المنهج القرآني في التعامل مع متاع الدنيا (٢)

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تنس أن تعمل لآخرتك، لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته، فالدنيا طريق الآخرة، وما يزرعه المرء فيها يحصده يوم القيامة، والطريق الوسط أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وتعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، ومعنى هذا أن لا يعيش الإنسان عالة على الناس، بل يُطالب بالعمل والجد والغنى من طريق الحلال، أخرج البخاري في صحيحه أن سلمان قال لأبي الدرداء: (إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِلْأَهْلِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: (صدق سلمان) (٣)، إذن فعلى الإنسان التمتع بالدنيا بلا إسراف ولا تقتير، فالله ﷻ خلق طبيات الحياة الدنيا ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، بشرط أن لا ينشغلوا بالمتاع عن تكاليف رب العالمين.

ج- المال إحسان من الله ﷻ يجب مقابله بالإحسان (٤)

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أحسن بطاعة الله ﷻ كما أحسن الله ﷻ إليك بنعمته، وأحسن إلى الناس فإن الإحسان لهم من إحسانك لله ﷻ، والإحسان الذي أمر الله ﷻ به هو إنفاق النعمة في وجوه الطاعة والخدمة، ولا تطلب الفساد في الأرض؛ لأن مقابلة الإحسان بالشكران لا بالكفران، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، كما فعل المفسد قارون، حيث استبد به الكبر والخيلاء فكان يخرج في موكب مهيب وزينة فاخرة باهرة، فافتتن بعض الناس بمظاهره، وما علموا أنه من الخاسرين.

ووجوه الإحسان بالمال كثيرة منها تفريج الكربات وتيسير الضرورات وقضاء الحاجات وحل المشكلات بالصدقة وقضاء الديون عن المدينين، وبناء المساجد ودور العلم وغيرها الكثير مما لا حصر لها، وأيما وجه سلك المرء فإنه أحسن إلى الله ﷻ بحسن استعماله للمال،

(١) تفسير التستري، (ص: ١١٩).

(٢) انظر: التفسير الواضح، لمحمد حجازي، (٢/٨٤٨-٨٤٩)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٥/٢٧١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، (٣/٣٨)، حديث (١٩٦٨).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٣/٥٤٤)، التفسير المنير، للزحيلي (٢٠/١٥٩).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)^(١).

٣- قارون نموذج مكرر للمفتونين بالمال والمتكبرين والباغين من زعماء العصر^(٢)

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: بما لديه من ذكاء وخبرة في شؤون التجارة، وقال الزمخشري: بما لديه من علم الكيمياء الذي اشتهر به، وأياً كان علمه فلا بد من التواضع والاستقامة على الطريق الصحيح، فهذا هو السّم القاتل الذي يُطفئ السراج المضيء وهو النظر إلى النفس بعين التكبر والتجبر، فبالرغم من نصيحة أهل الوعظ والإرشاد من قومه له إلا أنه أبى الامتنال لنصح الناصحين، وغفل عن بطش الله ﷻ بالمتجبرين المتكبرين من أمثاله في الأمم الغابرة مثل فرعون وهامان، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا﴾، ولم يكنف به الأمر إلى حد التكبر بل لحقه البغي بشتى أنواعه، وذكر المفسرون بعض مظاهر بغي قارون وكبريائه كالاتي:

- كفره بالله ﷻ، وبما جاء به موسى ﷺ واستخفافه به.
- مطالبته لموسى ﷺ بأن يجعل له شيئاً من المكانة والنفوذ والمشاركة في شؤون السلطة على الناس، قال الفراء^(٣): "إذ كانت النبوة لموسى ﷺ، وكان المذبح والقربان الذي يقرب في يد هارون، فكان يقول قارون وما لي أنا؟".
- محاولته التشهير بموسى ﷺ، بإرسال امرأة مومس فاجرة ذات جمال، تدّعي أمام الملأ من بني إسرائيل أن موسى ﷺ يتعرض لها في نفسها، ويكافئها على ذلك، وتستجد به، فلما وقفت بين الملأ، أحدث الله لها توبة، وفضحت قارون في محاولته تلك.
- ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم.
- تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده.
- وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً.

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (١٢٨/٣)، حديث (٢٤٤٢).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٣/٤٣١-٤٣٠)، لطائف الإشارات، للقشيري (٣/٨١)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٥).

(٣) معاني القرآن، للفراء (٢/٣١٠).

وترى الباحثة أن التاريخ يعيد نفسه، فشخصية قارون شخصية متجددة في كل عصر، وهو نموذج مكرر في البشرية، فكم من الناس من يظن أن ماله وسلطانه هما وحدهما سبب قوته وعزته، ونحن الآن نرى بشكل كبير أمثال هذا النموذج الطاغية، متمثلة في زعماء عصرنا من القيادات والزعامات التي تبحث عن المناصب والمراكز، غير مهتمة لحال رعاياها، كل ما يشغلها كيفية جمع المال، كأنهم في سباق من يجمع مالاً أكثر؟ ومن يتجبر ويتكبر أكثر؟

والأمثلة كثيرة على ذلك، يكفي ذكر رئيس دولة سوريا (بشار الأسد)، الذي طغى في البلاد وأكثر فيها الفساد، حيث قتل الأطفال والشيوخ والنساء، وهجر من تبقى منهم، مغترباً بماله ومنصبه الذي لم يعرف حقه، يظن أن ماله ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون، فالله ﷻ هو الذي منح المال والسلطان وأعز بالجاه والمكانة، فلا يجب استغلالهما في طريق غير مشروع، ومن يتعدى حدود الله ﷻ فهو حسيبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

٤- اختلاف معايير البشر أمام فتنة الحياة وإغرائها

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ ويُعد خروج قارون أمام قومه بأبهى حلته، وكامل زينته، مفرق الطريق، حيث اختلف أفراد قومه أمام هذه الإغراءات إلى قسمين^(١):

أولاً: المتطلعون لزينة الحياة الدنيا في شغف

وهم الذين تمنوا أن يعطيهم الله ﷻ مثل ما أعطى قارون من حب الدنيا ومتاعها، قال تعالى فيهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وهذا الفريق ينظر للدنيا نظرة سطحية، فأعمته زخارفها عن الوضع السليم والطريق المستقيم، ونسوا أن السعادة والخير ليس في المال الكثير، والجاه العريض؛ بل السعادة والخير يكونان في رضا الله ﷻ واتباع نهجه.

ثانياً: المتطلعون لثواب الله ﷻ في رضا واطمئنان

وهم من كانوا متيقظين بنور الإيمان، فكان موقفهم من الدنيا ما وصفهم به تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾، فهذا الفريق ينظر إلى الدنيا بعين العبرة والعظة، عين الرجل الفاهم للحقائق الذي لا تخدعه المظاهر الخلابية، فهؤلاء علموا مالم يعلمه الفريق الأول بأن السعادة في رضا الله ﷻ.

(١) انظر: التفسير الواضح، لمحمد حجازي (٢/٨٥٠-٨٥١).

٥- الجزء من جنس العمل

قال تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ فعندما تبلغ الفتنة ذروتها، وتتغلغل داخل النفوس، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حداً للاستبداد والبغي والغرور، فما هو قارون الثري المترف، والذي سيطر الكبرياء والعجب والتجبر على قلبه، فقد كان في نهايته عبء وعظة لمن كان يريد الآخرة، فقد خسف الله ﷻ به وبداره وماله وبجموعه الأرض جزاءً من عند الله ﷻ في الدنيا حيث ابتلعت الأرض، وغاب فيها، أما في الآخرة فالجزاء أصعب وأشد، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٨]، وبعد هذه الكارثة التي أطاحت بقارون تبيّن حقيقة الأمر، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ أي: "فئة يمنعون عنه بأس الله ﷻ وبطشه، حيث لم يعمل عملاً صالحاً يقربه إلى ربه، ولم يحصن ماله بالصدقة والزكاة، ولم يتقرب إلى الله ﷻ، وإلى الناس بترك الكبر والغرور والغطرسة، ولهذا كله كانت النتيجة أن ضاعت دنياه وآخرته"^(١)، وهذا إخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بقانونه العام في الدنيا، وهو أن الخسف والبلاء يكون نصيب الفاسدين ليتعظ من وراءهم كل من يحاول الاقتداء بهم، فلا يغرنك يا محمد إعراض المشركين عنك، فلو شئت لأطبق الله ﷻ عليهم الأخشبين رداً على فسادهم وغيهم، وانظر لحال من اغتر بقارون قال تعالى فيهم: ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ وَاللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ وَلَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكْفُرُوا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: "يقولون ندماً وأسفاً على ما صدر منهم من التمني، اعجبوا أيها القوم من صنع الله ﷻ، كيف أن الله ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه، وبضييق الرزق على من يشاء من عباده لحكمته وقضائه ابتلاءً لا لهوانه عليه"^(٢).

٦- العاقبة للمتقين بالدار الخالدة^(٣)

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بعدما بين الله ﷻ الدار الزائلة التي كان يتباهى بها قارون ويتعالى بها على قومه، ذكر هنا الدار الخالدة ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ للمقابلة بين الدارين، دار زائلة ودار خالدة، وابتدأت الآية ابتداءً مشوقاً باسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ ليستشرف السامع إلى معرفة المشار إليه، وهي الدار

(١) التفسير الواضح، لمحمد حجازي (٢/٨٥١).

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني (٢/٤١١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/١٨٩)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/٢٧١٤).

الآخرة التي تحدث عنها الذين أوتوا العلم واختاروها داراً لهم، فهي العالية الرتبة البعيدة الأفق، تكون نصيب أولئك الذين لا يقيمون لهذه الأرض وأشياءها وأعراضها وقيمها وموازينها حساباً، ويتركوا الحساب ليوم الحساب على يد رب الأرباب، ففي ذلك اليوم من جاء بالحسنة في الدنيا فله خير منها، وهو أن الله ﷻ يجازيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، أما من جاء بالسيئة فلا يُجزى إلا مثلها فقط جزاء لما عمل من السيئات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠]، وربك ذو فضل عظيم، إذ لا يجزى بالسيئة إلا مثلها، ويجزى بالحسنة عشر أمثالها، إن ربك واسع المغفرة، فهل من معتبر؟

سابعاً: العبر المستفادة من الآيات

- ١- يجب أن تُرخص من قيمة المال والزينة إلى جانب رفع قيمة الإيمان والصلاح مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد.
- ٢- ميزان الله ﷻ بالعدل عن السيئات، والإحسان مع الحسنات.
- ٣- الماديون موجودون في كل عصر، وهم الذين ينبهرون بسطحيات الأمور ويُعجبون بالمظاهر الخداعة.
- ٤- يجب الحذر، وتتوير البصيرة أمام زخارف الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وإدراك أن السعادة بالفوز في الآخرة.
- ٥- المنهج القرآني المتعادل والمتناسق لجميع شؤون الإنسان، يمكنه من الارتقاء الروحي الدائم، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.
- ٦- ثواب الآخرة لا يكون للذين يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، بل يكون نصيب المتقين لله ﷻ.
- ٧- يقول الزحيلي: "القانون الإلهي يتمثل بمضاعفة الحسنات، ومقابلة السيئات بمثلها دون زيادة، يختلف عن قانون البشر ويسمو عنه، فإن الإنسان يعطي إنساناً آخر جزاء مكافئاً لعمله، وقد ينقصه في الغالب بسببه ظلم الإنسان لأخيه، أما عطاء الله تعالى فلا يحده حدود، ولا يبخس منه شيء، سواء كان العمل قليلاً أو كثيراً بحسب تقدير الإنسان، لأن ربك هو الغني ذو الرحمة"^(١).

(١) التفسير الوسيط (٣/١٩٤٢).

المطلب الثالث

النبوة اختيار واصطفاء إلهي

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ * وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [التقصص: ٨٥-٨٨].

أولاً: المناسبة

لما انتهى الله ﷺ من عرض قصة قارون وبيان التعقيبات عليها، والتي كان من أهمها أنه ذكر الآخرة وأقر بأنها هي المرجع والمقر الأخير، وبيّن أن العاقبة للمتقين، أتبعه بما فيه بيان ذلك، فقال ﷺ مستأنفاً ومقرراً لما تقرر في أذهانهم من إنكار الآخرة بحال خروج النبي ﷺ من مكة المشرفة مهاجراً إلى ربه يبتغي الآخرة ونعيمها تاركاً خلفه الموطن والمسكن والأهل وذكرياته وكل ما يملك لوجه الله ﷻ، وموجهاً له الخطاب، ولمن خلفه من القلة المسلمة التي كانت يومها تتبعه بمجموعة من التكاليف والنواهي التي لا بد من أخذها بعين الاعتبار^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿فَرَضَ﴾ فَرَضَ يَفْرِضُ فَرَضًا، "والفَرَضُ: قطع الشيء الصَّلب والتأثير فيه، كفرض الحديد، وفرض الزَّند والقوس، والفَرَضُ كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتباراً بوقوعه وثباته، والفرض بقطع الحكم فيه، قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١] أي: أوجبنا العمل بها عليك"^(٢).

قال الزجاج: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ أي "أنزله عليك وألزمك، وفرض عليك العمل بما يوجبه القرآن"^(٣).

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣٧٤/١٤)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧١٥/٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: ٦٣٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، (١٥٧/٤).

﴿لَرَادُّكَ﴾ رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَزْدُهُ رَدًّا، وَالرَّدُّ: صَرْفُ الشَّيْءِ بَذَاتِهِ، أَوْ بِحَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَهُوَ رَجْعُ الشَّيْءِ ^(١).

وقوله: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أي: رادك إلى مكانك بمكة، وقيل إلى مكانك في الجنة، قيل إلى باعتك، ^(٢) وذكر الطبري أي: "لرادك إلى الموت" ^(٣).

﴿ظَهِيرًا﴾ قال ابن فارس: "ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ وَقْتُ الظُّهْرِ وَالظَّهِيرَةَ بِهَذَا الْاسْمِ، فَهُوَ أَظْهَرُ أَوْقَاتِ النَّهَارِ وَأَضْوَوُهَا، وَالظَّهِيرُ: الْمَعِينُ" ^(٤).

والمقصود بقوله تعالى: ﴿ظَهِيرًا﴾ أي: معيناً للكافرين.

﴿هَالِكٌ﴾ هَلَكَ يَهْلِكُ هَلَاكًا، وَيَقُولُ الْأَصْفَهَانِيُّ الْهَلَاكُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ ^(٥):

- أ- افتقاد الشيء عنك، وهو عند غيرك موجود، قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّتُهُ﴾ [الحاقة: ٢٩].
- ب- هلاك الشيء باستحالة وفساد، قال تعالى: ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].
- ت- الموت، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا﴾ [النساء: ١٧٦]، [الجاثية: ٢٤].
- ث- الفناء وهو بطلان الشيء من العالم وعدمه، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانياً: اللطائف البيانية

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ استثناء منقطع، يقول الشعراوي: ومعناه " ما كنت ترجو أن يُلقى إليك الكتاب إنما ألقيناه، وما ألقيناه إليك إلا رحمة لك من ربك" ^(٦).

﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ مجاز مرسل حيث أطلق الجزء وأراد الكل أي ذاته المقدسة ^(٧).

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٣٨٦/٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: ٣٤٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٥٨/٤).

(٣) جامع البيان (٦٤٠/١٩).

(٤) مقاييس اللغة (٤٧١/٣).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٤٤).

(٦) انظر: معاني القرآن، للفراء (٣١٣/٢)، تفسير الشعراوي (١١٠٤٧/١٨).

(٧) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٤١٢/٢)، التفسير المنير، للزحيلي (١٧٤/٢٠).

ثالثاً: سبب النزول

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة، وهي ما بين مكة والمدينة، اشتاق إلى مكة فأنزل الله ﷻ هذه الآية^(١).

رابعاً: المعنى الإجمالي

يخاطب الله ﷻ نبيه محمد ﷺ حين خرج من مكة إلى المدينة، وقد اغتم لمفارقتها؛ لأنها مولده وموطنه ومنشأه، فذكره الله ﷻ بأنه هو القادر المقنن هو من أعطاك القرآن، وألزمك العمل به، فلا شك مطلقاً بأنه سيردك لبلدك ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي فلتثق يا محمد بعودتك إلى مكة مظفراً، وفعلاً ما هي إلا بضعة سنين؛ حتى تحققت البشرية الإلهية بالعودة في فتح مهيب، وأصبح له الغلبة والسلطان وامتدت سفينة الدعوة لكل بقاع الجزيرة.

ويستمر الخطاب الرباني لنبيه الكريم بتذكيره بأن الله ﷻ هو الذي أقدرك يا محمد على الامتثال بعموم ما في القرآن الكريم من الأوامر والنواهي وكشف لك جميع ما فيه من الحقائق والمعارف، فعليك يا أكمل الرسل أن تفوض بعموم أمورك لله ﷻ وتلتزم بجميع نواهيه وتعلمها لأتباعك، فقد اختارك للرسالة وإنها لأمر عظيم، ومن جملة ما نهاك الله ﷻ عنه، أن لا تتخذ الكفار أعواناً، ولا تتأثر لمخالفتهم لك وصددهم الناس عنك، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا ترضى بالكفر طريقاً، واجعل ثقتك بالله ﷻ لا حدود لها فهو القادر على كل شيء ولا يبقى غير وجهه يوم تقنى الخلائق جميعاً، وله الحكم وإلى الله ﷻ ترجع يا محمد ويرجع الجميع^(٢).

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- بشرى إلهية للنبي ﷺ بالظهور والغلبة

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ابتداءً كلام الله ﷻ لنبيه هنا بحرف التوكيد (إن) لتثبيت قلبه، وتسليته فواده، إذ إن كلام الله ﷻ جميعه متحقق، فما بالك يا محمد وقد أكد الله

(١) لباب النقول، للسيوطي (ص: ١٥١).

(٢) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنخجواني (٢/٩٤ - ٩٥).

ﷺ كلامه بمؤكد، وإن قصدنا بقوله تعالى: ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ أي إلى مكة، فإن الكلام متضمن لبشرى عظيمة في وقت شديد الصعوبة، وهو مُخرج من مكة، ومطارد من أهلها، نزلت الآية الكريمة لتبشره بأن الله ﷻ سينعم عليه بالنصر والعودة إلى البلد الذي أخرجه منه المشركون، وسيعود آمناً ظافراً مؤيداً، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ مُجِيبُونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّف: ١٣] أي بشرى فتح مكة، يقول النسفي: "والمراد رده إليها يوم الفتح لأنها كانت في ذلك اليوم ميعاداً له شأن، ومرجعاً له، واعتداداً لغلبة رسول الله ﷺ وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه" (١).

٢- ترك الكفار وتوبيخهم

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ تعد هذه الآية رداً على المشركين لما قالوا للنبي ﷺ إنك لفي ضلال مبين، أي: قل يا محمد لمن خالفك وكذبك من قومك ومن تبعهم على كفرهم، ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني ومن جاء بالهدى وأعلم بمن هو في ضلال مبين، أنا أم أنتم، ومعناه هو أعلم بالفريقين، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار في الدنيا والآخرة (٢).

٣- النبوة اختيار واصطفاء إلهي (٣)

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾ تقرر هذه الآية تقريراً قاطعاً عن عدم تطلع الرسول ﷺ إلى الرسالة، بل هي اختيار الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، حيث كان كثيراً من العرب في الجزيرة يتطلع إلى منصب الرسالة المنتظرة في آخر الزمان كما أخبرت به كتب اليهود والنصارى وقتها، لكن ما علم أولئك بأن الرسالة رحمة توهب للمختارين لا للمتلعين، يقول الزحيلي: "النبوة أو الرسالة مسئولية عظيمة، وتكليف ثقيل، يقتدرن عادة بتخصيص النبي أو الرسول بخصائص متميزة، وإمداد بنعم إلهية سامية، لأن ما يتعرض له النبي والرسول من صدود قومه عن دعوته، وإعراضهم عن قبول رسالته يحتاج لصبر ومصابرة، وجهاد ومقاومة، لا يتحملها الإنسان العادي" (٤).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٦١/٢).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣٧٣/٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧١٥/٥).

(٤) التفسير الوسيط (١٩٤٣/٣).

٤- تكاليف ومناهي للنبي ﷺ^(١)

وختمت الآيات بعدة تكاليف ونواهي هامة كفاصل مهم بين طريقتين مختلفين أشد الاختلاف، في طريق هجرة الرسول ﷺ الفاصلة بين عهدين متميزين من عهود التاريخ، حيث نهى الله ﷻ رسوله الكريم عن عدة أمور، في الظاهر أنه هو المخاطب والمكلف بها، لكن في الحقيقة أنه حُوطب بها ظاهراً والمراد به أهل دينه وأتباعه، فالنبي ﷺ معصوم من الخطأ والنسيان في أمور الدين كلها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، ووجه الخطاب خصوصاً للنبي ﷺ لأجل التعظيم من أمر المنهي عنه، وتتضح هذه الأمور التي يجب أن نحصر عليها إذ هي دعائم الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، ولاستنباط هذه التكاليف الإلهية يمكن تقسيم الآيات السابقة إلى الآتي:

أ- عدم مظاهر الكفار

قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تتخذهم أعواناً، لكن فارقهم وناذهم وخالفهم في الأمر، ولا توافقهم، فلا تتاصر أو تعاون بين المؤمنين والكافرين، فطريق كل منهما مغاير تماماً للآخر، فالأول حزب الله ﷻ، قال تعالى، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، والثاني حزب الشيطان قال تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ب- دعوة للنبي محمد ﷺ بالثبات على طريق الحق

قال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تتأثر لمخالفتهم لك وصددهم الناس عن طريقك، لا تلوي على ذلك ولا تبالي؛ فإن الله معلي كلمتك، ومؤيد دينك، ومظهر ما أرسلت به على سائر الأديان^(٢)، وهذا يكون رداً على المشركين حين دعوه إلى دين آباءه؛ ليزوجوه ويقاسموه شطراً من مالهم، فثبته الله ﷻ بها، فلا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركز إلى قولهم فيصدوك عن اتباع آيات الله ﷻ.

ت- الدعوة لتوحيد الله ﷻ لا لقومية أو عصبية

قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: وادع إلى توحيد ربك بعد ما بعثك به إلى كافة البرايا وعامة الأمم بشيراً ونذيراً لكل من جبله الحق على صورة الإنسان وفطرة العرفان وكلفه

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/٣٧٤)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان،

(٢/٨/٣٣٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/٢٠)، تفسير ابن كثير (٦/٢٦١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/٢٦١).

بالمعرفة والإيمان^(١)، دعوة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، لا لأجل تحقيق مصلحة أو لرفع راية دنيوية.

ث - عدم الميل إلى المشركين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لأن من رضي بطريقتهم أو مال إليهم كان منهم.

ج - النهي عن الذنب الأعظم ألا وهو الشرك بالله ﷻ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ والمعنى على توجيه الخطاب للنبي ﷺ يكون، أي: لا تتخذ يا محمد غير الله ﷻ وكليلاً على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره، ولتثق بربك فإن من وثق بغير الله تعالى فكأنه لم يكمل طريقه في التوحيد، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، أما على توجيه الخطاب لعموم المسلمين يكون النهي عن الشرك بالله ﷻ، واتخاذ إله آخر مع الله، أي: لا تعبد مع الله إلهاً آخر لا بالدعاء ولا بالنذر والذبح ولا بتقديم أي قربان أو طاعة لغير الله سبحانه، فهذه القاعدة يقوم عليها بناء العقيدة السليمة.

٥ - صفات الألوهية التي تفرد بها ﷻ

بينت الآية الكريمة صفات الألوهية التي تفرد بها الله ﷻ وهي^(٢):

أ - الوجه من صفات الله ﷻ

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي كل من في الوجود فإن إلا ذات الله المقدسة، فهو الدائم الباقي، الحي القيوم، الذي يमित الخلائق ولا يموت، وكل شيء زائل، وذاهب، المال والجاه والسلطان وهذه الأرض ومن عليها، وتلك السماوات وما فيها، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، والمراد بالوجه الذات، وإنما جرى على عادة العرب في التعبير بالأشرف عن الجملة^(٣).

ب - الله ﷻ صاحب الحكم المطلق

قال تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: له الملك والتصرف والقضاء النافذ في الخلق، ولا معقب لحكمه، يقضي بما يشاء وكما يشاء، لا يشركه في حكمه أحد، ولا يرد قضاءه أحد.

(١) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، للنخجواني (٩٥/٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢٦١/٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٧٨/٢٠)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٧١٦/٥).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (٧٠١/٨).

ت - الله ﷻ إليه المرجع والمصير

قال تعالى: ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ أي: مصير جميع الخلائق إليه، فإليه ترجعون يوم معادكم، فيجزىكم بأعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا مناص يومئذ من حكمه، ولا مفر من قضائه.

سابعاً: العبر المستفادة من الآيات

١. يقول اسماعيل حقي^(١): "إن العاقل يختار الفراق عن الأحباب والأوطان ولا يجترئ على الفراق عن الملك الديان"^(٢).
٢. يستخدم القرآن فنون السياسة الرفيعة المستوى من اللين والحكمة وإثارة الانتباه والتفكير في حقيقة دعوة الإسلام، فلا يحسم الأمر ليترك سبيلاً للمناقشة والأخذ والرد، والتدبر في المعاني واستخلاص الحكم العبر^(٣).
٣. إن استمرار الرسول ﷺ في طريق دعوته بكل ثبات وصمود، تتبع من ثقته المطلقة بوعده الله ﷻ له بالنصر والتمكين.
٤. من حكمة الله ﷻ على عبده محمد ﷺ أن أنزل عليه آية البشرى بالعودة لموطنه في ذلك الظرف المكروب، ليمضي في طريقه آمناً واثقاً، مطمئناً إلى وعد الله ﷻ.
٥. اشتملت الآيات على أصول الدين الثلاثة التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء.
٦. حرمة التعاون مع الكفار ومناصرتهم ضد المسلمين.
٧. يجب أن نصف الحق سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به نبيه ﷺ في سنته، في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، دون تعطيل أو تشبيه أو تمثيل بالخلق.

(١) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي: متصوف ومفسر تركي مستعرب، كان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى (تكفور طاغ واوذي)، وعاد إلى (بروسة) فمات فيها عام ١١٢٧هـ الموافق لعام ١٧١٥م، له كتب عربية وتركية فمن أشهر كتبه العربية: روح البيان في تفسير القرآن، والرسالة الخليلية في التصوف، (انظر: مناهج المفسرين لمنيع محمود (ص: ٢٦٥).

(٢) روح البيان (٤٤٢/٦).

(٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٧٩ / ٢٠).

الفصل الثاني

مقاصد وأهداف النصف الأخير للحزب الأربعين

الآيات (١-٤٥) من سورة العنكبوت

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (١-١٨) من
سورة العنكبوت

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (١٩-٣٥) من
سورة العنكبوت

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٣٦-٤٥) من
سورة العنكبوت

المبحث الأول

مقاصد وأهداف الآيات (١-١٨)

من سورة العنكبوت

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفتنة درس من دروس التوحيد والإيمان

المطلب الثاني: الفتنة هي الامتحان الإلهي للمخلوقات

المطلب الثالث: دعوة نوح عليه السلام دروس وعبر

المطلب الرابع: قصة دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول

الفتنة درس من دروس التوحيد والإيمان

قال تعالى: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٧].

أولاً: المناسبة

لما افتتح الله ﷻ سورة القصص واختتمها بذكر الابتلاء في الخير والشر، حيث عرض في بداية السورة قصة موسى ﷺ وما مر به من ابتلاءات جسام في طريق دعوته، وختمها بذكر ابتلاء النبي ﷺ من مفارقة الوطن والأهل والديار، وما أعد الله ﷻ له من الأجر والبشارة بالعودة والظفر جزاء صبره على المحن حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] ، فأعقب سبحانه وتعالى ختام القصص بافتتاح العنكبوت معلماً للعباد ومنبهاً لهم أنها سنته فيهم فقال تعالى: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿الم﴾ اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور على عدة أقوال^(٢):

- ١- سر الله في القرآن، والله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله ﷻ بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها.
- ٢- حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها، كقول ابن عباس وغيره: الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد.
- ٣- أسماء للسور القرآنية.
- ٤- أقسام أقسم الله ﷻ بها لشرفها وفضلها وهي من أسمائه.

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٤/٣٨٧).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (١/٣٤-٣٨).

٥- إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله ﷻ بها العرب حين تحداهم بالقرآن على أنه مؤتلف من حروف، هي التي بناء كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم.

٦- اسم الله ﷻ الأعظم.

الراجح: وعلى اختلاف الأقوال وتعددتها فإن الباحثة ترى أن أرجح الأقوال ما ذهب إليه طنطاوي^(١) في تفسيره قائلاً: "ولعل أقرب الآراء إلى الصواب أن يقال: إن هذه الحروف المقطعة قد وردت في افتتاح بعض السور للإشعار بأن هذا القرآن الذي تحدى الله به المشركين، وهو من جنس الكلام المركب من هذه الحروف التي يعرفونها، ويقدرّون على تأليف الكلام منها، فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فذلك لبلوغه في الفصاحة"^(٢).

﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، وأصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، يقال: فتنّت أفتنّ فتنّاً، فهو مفتون وفتين، والفتان: الشيطان، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: لا يُختبرون فيميّز خبيثهم من طيبهم^(٣)، والفتنة: "ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر"^(٤).

﴿جَاهِدْ﴾ "الجيم والهاء والذال أصله المشقة، يقال جَهِدْتُ نفسي وَأَجْهَدْتُ وَالْجُهْدُ الطاقَة"^(٥)، وقال الأصفهاني: "الجَهَاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]"^(٦).

﴿لِنُكْفِرَنَّ﴾ الكاف والفاء والراء أصل يدل على الستر والتغطية، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزرّاع لستره البذر في الأرض^(٧).

(١) الشيخ محمد سيد الطنطاوي: عالم معاصر وهو شيخ الجامع الأزهر من عام ١٩٩٦ إلى ٢٠١٠ ميلادي، من أشهر مؤلفاته التفسير الوسيط للقرآن الكريم الذي يقع في أكثر من خمسة عشر مجلداً، توفي في الرياض عن عمر يناهز ٨١ عاماً سنة ٢٠١٠ ميلادي.

(٢) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٣٩/١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/٤٧٢)، المفردات، للأصفهاني (ص: ٦٢٤).

(٤) التعريفات، للأصفهاني (ص: ١٦٥).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (١/٤٨٦).

(٦) المفردات (ص: ٢٠٨).

(٧) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/١٩١)، المفردات، للأصفهاني (ص: ٧١٤).

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ استفهام إنكاري يفيد التقرير والتوبيخ، ومعناه أن الله تعالى لا بد من أن يبنتلي عباده المؤمنين، للتحقق من مدى صدق إيمانهم وقوة يقينهم^(١).

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (مَنْ) حيث تبين الآية تسلية المؤمنين ووعدهم بالفوز والسبق يوم لقاء الله ﷻ في سياق جملة شرطية تقديرها من كان يرجو ثواب الله ﷻ يوم لقائه وعمل لذلك اليوم، فإنه قريب الإتيان لا محالة، فهو يعلم ويسمع ما تكن صدورهم وما تخفي.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (مَنْ) حيث تشير الآية إلى جزاء من جاهد نفسه في سياق جملة شرطية تقديرها من جاهد نفسه بكبح جماحها أمام المعاصي والذنوب، وكفها عن الشهوات والملذات، فإنه سيقع له منفعة جهاده على نفسه، فالله غني عن عباده، فلا تتفعه طاعة الطائعين ولا يضره معصية العاصين.

❖ أثر اختلاف الإعراب على المعنى^(٢)

قال تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ لها ثلاثة أوجه إعرابية

▪ الوجه الأول: في محل جر بحرف الجر المقدر (بأن يقولوا).

معناه: أظنَّ الناس أن يتركوا بلا فتنة بمجرد قولهم آمنا بألسنتهم، بل الله يختبرهم ليميز بينهم.

▪ الوجه الثاني: في محل نصب على البدلية من (أن يتركوا).

معناه: أظنَّ الناس الذين قالوا بألسنتهم آمنا أن يتركوا بذلك غير متحنين، بل الله يمتحنهم بشتى ضروب المحن ليميز المخلص من غير المخلص.

▪ الوجه الثالث: في محل نصب حال من واو الجماعة في (يتركوا).

معناه: أظنَّ الناس أن يتركوا حال قولهم: آمنا بألسنتهم دون فتنة وابتلاء.

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٤٧).

(٢) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (٣/١٦٨)، إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٧/٣٩٨)، المحرر

الوجيز، لابن عطية (٤/٣٠٥-٣٠٦).

أثر الاختلاف: ويتجلى اختلاف الاعراب لجملة (أن يقولوا) في إثراء المعنى وتوضيحه بشكل جميل، وترسيخ المفهوم القائل أن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان بل حقيقة ذات تبعات وأمانة ذات تكاليف.

قال تعالى: ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ تحتل ﴿ما﴾ وجهين من الإعراب

▪ الوجه الأول: ﴿ما﴾ مصدرية.

التقدير: (قُبِحَ حُكْمُكُمْ)، والفاعل فيها حُكْمُكُمْ، أي بئس حُكْمُكُمْ الذي تحكمون.

▪ الوجه الثاني: ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي .

التقدير: (قُبِحَ الذي تحكمون)، والفاعل فيها الذي، أي بئس ظنكم، وساء الذي تحكمون.

أثر الاختلاف: ويتجلى اختلاف الاعراب في الوجهين في إثراء المعنى، وزيادة وضوحه وبيانه، أي: أیظن المشركون أنهم مفلتون من عذاب الله ﷻ، ومن يحسب ذلك فقد فسد تقديره، وبئس حكمه الذي به حكم.

رابعاً: سبب النزول

قال تعالى: ﴿الْم * أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال: أنها أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أفروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فردوهم فنزلت هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا نخرج فإن اتبعنا أحدًا، قاتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا^(١).

وفي رواية أخرى أخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد عن ابن عمير قال نزلت في عمار ابن ياسر إذ كان يعذب في الله ﷻ، وزاد الواحدي: "وقال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، فقال النبي ﷺ يومئذ سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع عليه أبواه وامراته، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله تعالى"^(٢).

(١) انظر: لباب النقول للسيوطي (ص: ١٥١)، أسباب النزول للواحدي ت الحميدان (ص: ٣٤٠).

(٢) أسباب النزول للواحدي ت الحميدان (ص: ٣٤٠).

خامساً: المعنى الإجمالي

سورة العنكبوت سورة عظيمة، ابتدأت بحروف هجائية مقطعة، تفرع الآذان وتتبه الأسماع لما سيرد بعدها، وتلفت الأنظار لأمرٍ خطير، أي تنبهوا لهذا الأمر، فكيف يظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء، بمجرد قولهم آما بالله ورسوله، دون أن يخوضوا عدة امتحانات إلهية ليميز الله ﷻ المؤمن من المنافق، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي لا يُبتلون في أنفسهم وأموالهم، وقل لهم يا محمد أن سنة الله ﷻ في كونه سارية على جميع خلقه، وأخبرهم بحال من سبقوهم كيف فتهم الله ﷻ، وحل بهم بلاءه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فابتلى موسى ﷺ وقومه بفرعون وابتلى عيسى ﷺ ببني إسرائيل إذ أرادوا قتله، وما كان هذا الابتلاء عبثاً؛ بل ليُظهرن الله ﷻ صدق الصادقين من كذب الكاذبين، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

والخطاب مستمر فلا يقتصر على المؤمنين؛ بل يتعدى للذين يشركون بالله ﷻ، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ أي: أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم، فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله، ومن كان يرجو عفو الله ويطمع في ثوابه، فإن أجل الله لآت قريباً، ومن يجاهد فإنما عاقبة جهاده لنفسه، فالله ﷻ غني عن جميع خلقه، له الملك والخلق والأمر.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - الحكمة من وجود الحروف المقطعة في بداية السورة

تأتي هذه الحروف في مقام التنبيه والإنذار لأهمية ما سيرد بعدها من آيات، كما أنها دليل قاطع على إعجاز القرآن الكريم، ومن هذا كان نظم القرآن وكلامه، أي اصنعوا إن قدرتم مثله، وهذه الحروف الهجائية هي بينكم، ولكن هيهات هيهات أن يفعل ذلك أحد أو أن يستطيع مجارة كلامه ﷻ، "والحكمة مرتبة يقف فصحاؤهم وبلغاؤهم دونها بمراحل شاسعة، وفضلاً عن ذلك فإن تصدير السور بمثل هذه الحروف المقطعة يجذب أنظار المعرضين عن استماع القرآن حين يتلى عليهم إلى الإنصات والتدبر، لأنه يطرق أسماعهم في أول التلاوة ألفاظ غير مألوفة في مجاري كلامهم، وذلك مما يلفت أنظارهم ليتبينوا ما يراد منها، فيستمعوا

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٩/٧-١٠).

حكماً وحججاً قد تكون سبباً في هدايتهم واستجابتهم للحق" (١)، ومعنى الآيات يتجلى في قوله: أي انتبهوا وافتحوا لما سيرد الآن من قول الله ﷻ، أظننتم أن تتركوا وقد قلتم آمنة دون ابتلاء أو اختبار، فهل الإيمان بالله ﷻ يكفي التلفظ به باللسان فقط؟؟؟

٢- الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل

الإيمان هو حياة القلوب والأبدان، ومناطق النجاة في الدنيا والآخرة، وكلما زاد منسوب الإيمان عند العبد، وجد حلاوته، وذاق طعم الطمأنينة والأمان الذي لا يكون إلا في وجه الله ﷻ، والإيمان هو: "تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية" (٢)، ومن التعريف السابق نخرج بحقيقة الإيمان التي جاء به رسولنا الكريم ﷺ، والتي تتمثل في ثلاثة خصال رئيسة، فمن أتى بجميعها؛ فقد اكتمل إيمانه (٣):

أ- **اعتقاد القلب:** وهو اعتراف القلب بأن ما أخبر الله ﷻ به ورسوله ﷺ حق، بشكل لا يخالطه شك ولا ريب، والعمل بما أوجبه الله ﷻ على العبد من أعمال القلوب قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

ب- **إقرار اللسان:** وهو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) (٤).

ت- **عمل الجوارح:** فعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

قال الشافعي رحمه الله: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر" (٥).

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (٣٩/١).

(٢) الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري (ص: ٢٦).

(٣) انظر: الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، (ص: ٢٧-٣٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]،

(١٤/١)، حديث (٢٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللاكائي (٩٥٦/٥).

٣ - اقتران الإيمان بالافتتان

الإيمان ليس مجرد كلمة نقال، بل هي حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات تبعات، قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُرَكَّبُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي: "أظن الناس بعد إيجادهم أنهم متروكون بغير اختبار بمجرد قولهم: آمنا بالله ورسله، وهم لا يمتحنون بالتكاليف الشرعية كالجهاد في سبيل الله، والهجرة من مكة إلى المدينة، وأداء الفرائض البدنية كالصلاة، والمالية كالزكاة، والتعرض للمصائب في الأنفس والأموال، ومجاهدة أهواء النفس والشيطان، بالامتناع عن المعاصي والموبقات؟!!"^(١)، ومن هنا تبرز العلاقة بين الإيمان والافتتان، فعلاقتهما تلازمية، بمعنى أنه لا يمكن أن يدعي عبد الإيمان بقلبه، ثم يظل دون ابتلاء من الله ﷻ، سواء أكان الابتلاء بسيطاً أو عظيماً، خيراً أو شراً قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فقد يُبتلى العبد بانهيال مصائب الدنيا عليه، أو يُبتلى بتدافع خيرات الله ﷻ من كل حدبٍ وصوب، فالأول هل سيصبر ويحتسب أمره إلى الله ﷻ، والثاني هل سيشكر ربه على نعمه ويعمل بحقها؟ وليعلم الجميع أن من صبر على الابتلاءات وعلى المحن فهو من يستحق أن يوصف بصادق الإيمان^(٢).

٤ - الفتنة سنة جارية في الأولين والآخرين

إن الحديث عن الفتنة والابتلاءات حديث موجه لعموم المؤمنين، لأنها أمرٌ قديم حديث، إذ لا يخلو قومٌ من الفتنة، ولنستشهد بالتاريخ على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي قد امتحنا الأنبياء ﷺ والمتقدمين بألوان الأذى والشدة والضّرر، فابتلينا آدم ﷺ بالأكل من الشجرة المنهي عنها، وكما ابتلينا إبراهيم ﷺ بإلقائه في النار، وابتلينا موسى ﷺ بمخالفة أقوامهم لهم، وابتلينا محمد ﷺ بجسده وولده واضطهاد قومه له، وابتلينا الصحابة الكرام ﷺ بشتى أنواع العذاب والأذى، فعن خباب بن الأرت^(٣)، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/١٩٤٧).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٨/١١٠٦٢).

(٣) خباب بن الأرت بن جندلة بن تميم بن مرة: صحابي فاضل من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ، بدري مهاجري أولي، يكنى: أبا عبد الله، وكان من المعذبين في الله، توفي في الكوفة سنة سبع وثلاثين للهجرة، وهو أول من قبر بظهر الكوفة من أصحاب النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة (انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/٩٠٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٤٣٨)).

رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُنْتَمَنُّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ^(١).

وفي وقتنا المعاصر قد نزلت الشدائد والبلايا بالمسلمين فاحتلت الأراضي، وقُتل العباد، ونُهبت الثروات، وحل القحط وضيق العيش وغلاء الأسعار بكثير من مجتمعاتهم، والسبب في ذلك بعد الناس عن دينهم وانتشار المنكرات بينهم، وغلبة الأهواء وكثرة الدعاة على طريق جهنم، والأخطر من ذلك كله الخلط بين الحق والباطل، فأصبح القابض على دينه والتمسك به كالقابض على الجمر، وأصبح المؤمن يشعر بغربة الإسلام وهو في بلاد المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)^(٢).

٥- الحكمة من ابتلاء المؤمنين

الحياة ميدان للعمل، ولا تستغني الحياة عن الامتحان والاختبار لهذا العمل، وذلك لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: "ليعرف المحسن من المسيء، والعامل والمقصر أو غير العامل، والمستقيم والفاجر، وهكذا حياة البشر أمام الله عز وجل، لا بد لهم من الاختبار، ل يتميز المؤمنون الصادقون والكاذِبون، ويعرف المجاهدون والمنقاعسون، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"^(٣).

كما واقتضت حكمة الله ﷻ اختصاص المؤمن غالباً بنزول البلاء تعجيلاً لعقوبته في الدنيا أو رفعاً لمنزلته، أو زيادة له في الأجر، أو تكفير للذنوب، عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ قال: (أَجَلٌ، إِنِّي أَوْعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا)^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢٠١/٤)، حديث (٣٦١٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام غريباً، (١٣٠/١)، حديث (٢٣٢).

(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (١٤٦/٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، (١١٥/٧)، حديث

٦- الجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه

لقد شرع الله ﷻ على المؤمنين الجهاد في سبيله ضد المشركين وأعداء الاسلام، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩]، ومشروعية الجهاد تأتي لتحقيق أهداف على صعيدين:

▪ **صلاح المجتمع:** حيث شرع الجهاد لحماية العقيدة والدفاع عن النفس والمال والعرض، ودفع العدو، وإعلاء كلمة الدين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

▪ **صلاح الفرد:** وهو المقصود به في الآية الكريمة، حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: ومن جاهد نفسه وهواه وعدوه فإن ناتج جهاده يعود على نفسه بالصلاح والسكينة يقول سيد قطب: "الجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه ويرفع من تصوراته وآفاته ويستعلي به على الشح بالنفس والمال، ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات، وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة المؤمنة، وما يعود عليها من صلاح حالها، واستقرار الحق بينها، وغلبة الخير فيها على الشر، والصلاح فيها على الفساد" (١).

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

١- الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه اللسان والعمل، وبدت ثماره واضحة في الجوارح بامتثال أوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه.

٢- على المسلم أن لا يندفع في ظل الفتن بالتحليلات السياسية والتوقعات البشرية، وقراءة الأحداث، وإنما يقف على النص القرآني، ويتمسك بكتاب الله ﷻ؛ لينجو في الدنيا والآخرة.

٣- الابتلاء إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض، وبه حصول الأجر ورفع الدرجات، كما ويُخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله ﷻ.

٤- الإسلام يحتاج إلى أقوياء الإيمان الذين يقدرّون على حمل مشاق الدعوة وأمانة تبليغها.

٥- يقول سيد قطب: "الله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر فيحاسب الناس إذن على ما يقع

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٢٢).

من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهذا فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب آخر^(١).

المطلب الثاني

الفتنة هي الامتحان الإلهي للمخلوقات

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ٨-١٣].

أولاً: المناسبة

بعدما بينت الآيات السابقة أن الفتنة درس من دروس إثبات مدى صدق إيمان العبد بالله ﷻ، جاءت هذه الآيات لتبين بعض مظاهر الفتن التي يمر بها العبد، وأن الإتيان بالتكاليف بها واجب ولو كان ذلك بمخالفة الوالدين اللذين يجب الإحسان إليهما والطاعة، فلا يكون ذلك مانعاً من الإيمان.

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وصى وأوصى توصيةً، "أصل يدل على وصل شيء بشيء" ^(٢)، "والوَصِيَّةُ: التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مَقْتَرِنًا بِوَعظ" ^(٣).

﴿أُوذِيَ﴾ "الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضرر إمّا في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أو أخروياً" ^(٤)، وقوله تعالى: ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ أي: "نالته أذى أو عذاب بسبب إيمانه

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٢٠).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/١١٦).

(٣) المفردات، للأصفهاني (ص: ٨٧٣).

(٤) المرجع السابق (ص: ٧١).

بِاللَّهِ وَرَبِّكَ" (١).

﴿وَلَنَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ﴾ الخطايا جمع خطية، واشتقت من الخطأ، ويقصد بها في الآية الذنوب والمعاصي.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أثقال جمع ثقل، والثقل ضد الخفة، وهو الحمل الثقيل الذي ينوء به الإنسان، وأثقال الأرض كنوزها قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] (٢)، والمقصود بالأثقال في الآية الأوزار والذنوب، وسميت بذلك لثقلها على المرء يوم الحساب.

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ تشبيه مرسل مجمل، حذف منه وجه الشبه (٣).

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ استعارة تصريحية، فقد صرح بالمشبه به وهي الذنوب بالأثقال لأنها تنقل الإنسان معنوياً (٤).

﴿وَلَنَحْمِلُ خَطَايَاكُمْ﴾، ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾، الحمل في الآيتين "مجاز تمثيلي لحال الملتزم بمشقة غيره؛ بحال من يحمل متاع غيره فيؤول إلى معنى الحملالة والضمان" (٥).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إن) حيث تبين الآية بر الوالدين والإحسان إليهما، فهما سبب وجود الإنسان، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب التوحيد والعقيدة، في سياق جملة شرطية تقديرها إن جاهدك لتشرك بالله ﷻ فليكن جواب الشرط منك أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إذا) وهي ظرف لما يستقبل من الزمان يفيد وقوع فعل الشرط (الإيذاء)؛ لأنه سنة ثابتة، حيث تتحدث الآية عن المنافقين الذين آمنوا بالله ﷻ بألسنتهم لا بقلوبهم، في سياق جملة شرطية تقديرها أنه إذا ما تعرض أحدهم للأذى لأجل الإيمان، فإنه ينصرف عن الإيمان للكفر لعدم

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤٠١/٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٢/١)، صفوة التفسير للصابوني (٤١٥/٢).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (١٩٧/٢٠).

(٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٥) التحرير والتوير لابن عاشور (٢٢٠/٢٠).

تمكن الإيمان من قلبه.

قال تعالى: ﴿وَلَيْتُنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إن) حيث تبين الآية حال المنافقين عند نصر المؤمنين، في سياق جملة شرطية تقديرها أنه لما يأتي نصر الله ﷻ للمؤمنين، فإن جواب المنافقين ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.

❖ أثر اختلاف الإعراب على المعنى^(١)

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (حُسْنًا) لها ثلاثة أوجه إعرابية

- الوجه الأول: في محل نصب مفعول به ثاني لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾.
 - الوجه الثاني: في محل نصب على الوصفية تقديره (ووصيناها إيصاءً حسناً).
 - الوجه الثالث: في محل نصب على المصدرية مكون من (ما يحسن).
- أثر الاختلاف: ويتجلى اختلاف الإعراب لجملة ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ في إثراء المعنى وتأكيده بشكل أقوى في المعنى، وترسيخ أمر الله ﷻ بوجوب البر بالوالدين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الذين) لها وجهان من الإعراب:

- الوجه الأول: في محل رفع مبتدأ للخبر (لندخلهم)، جاء اللفظ في سياق جملة اسمية ليفيد الثبات والاستمرار في خلود المؤمنين في نعيم الجنة.
- الوجه الثاني: في محل نصب مفعول به للفعل (لندخلن)، جاء اللفظ في سياق جملة فعلية ليفيد التجدد والاستمرار في استمتاع المؤمنين في نعيم الجنة.

رابعاً: سبب النزول

١ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

ذكر السيوطي والواحدي: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، حيث قالت أم سعد له: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الحر والريح، ولا أطمع طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أموت أو تكفر فنزلت الآية^(٢)، وأخرج مسلم في صحيحه أن مصعب بن سعد عن أبيه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: (حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصابك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (٧/ ٤٠٤)، إعراب القرآن للدعاس (٢/ ٤٤٧)

(٢) انظر: لباب النقول (ص: ١٥١)، أسباب النزول، ت الحميدان (ص: ٣٤٠).

بهذا، فقال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية^(١).

٢- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

قال مجاهد والضحاك: نزلت في أناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا، ورجعوا إلى الشرك^(٢).

خامساً: المعنى الإجمالي

تعرض الآيات الكريمة بعض صور الفتنة والابتلاءات التي قد يمر بها المؤمن، من الفتنة في الأهل، والتعرض للأذى صداً عن دين الله ﷻ، ومحاولات إغراء المؤمنين بشتى صنوف المغريات، لتبرز لنا صورة لأولئك الذين استحقوا فعلاً وصف الإيمان، كما وفضح القرآن الكريم المشركين والمنافقين؛ بوصفهم بالكاذبين والمفتريين، لادعائهم المقدرة على حمل ذنوب وأثقال غيرهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويقول كل امرئ اللهم نفسي نفسي.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- حقيقة الفتنة وأنواعها

الفتنة عبارة عن اختبار من الله ﷻ لعباده، تجيء فتتسف العباد نسفاً، لكن أوجدها الله ﷻ ليفرق بين صنفين من العباد، المؤمنين والمنافقين، إذ لامجال لصنف لثالث، قال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾، كما وجعل الله ﷻ منشأ الفتن كلها من فتنة الشيطان، الذي حذرنا منه قائلاً: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ومن أعظم أسباب الوقوع في الفتنة استعداد القلب لقبولها، يقول المناوي^(٣): الفتنة نوعان^(٤):

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، (١٨٧٧/٤)، حديث (١٧٤٨).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٥٣٤)، أسباب النزول، للواحي، ت الحميدان (ص: ٣٤٠).

(٣) المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، نسبة إلى قرية من أعمال الجيزة تسمى منية القائد الصدر محمد بن الشرف، وهو من كبار العلماء بالدين والفنون له نحو ثمانين مصنفاً منها: فيض القدير وشرح الشمائل للترمذي و الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨٩)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (١١/ ٢٢٨).

(٤) انظر: فيض القدير (٢/ ٣٧٨).

■ **فتنة الشبهات:** وهي العظمى، ومصدرها ضعف البصيرة وقلة العلم إذا ما قارنه نوع من الهوى، حيث اشتبهُ الحق بالباطل والهدى بالضلال، وهي مثل فتنة أهل البدع والمتكلمين، قال تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ومآلها إلى الكفر والنفاق ما لم تدفع بكمال البصيرة واليقين.

■ **فتنة الشهوات:** ومصدرها من النفس، وحب الدنيا، والتمتع بها بصورة غير شرعية، وإنما تدفع بكمال العقل والصبر والدين.

لكن أصحاب القلوب الضعيفة من الذين استهوتهم الدنيا بزینتها، سقطوا في مستنقع الفتن وظلموا أنفسهم، فعن النعمان بن بشير^(١)، قال: صحبنا النبي ﷺ وسمعناه يقول: (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتْنًا كَأَنَّهَا قِطْعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، ثُمَّ يُمَسِّي كَافِرًا، وَيُمَسِّي مُؤْمِنًا، ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامَ خَلْقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ، أَوْ بِعَرَضِ الدُّنْيَا)^(٢).

٢- بعض مظاهر فتنة المؤمنين عن دينهم

تعرض هذه الآيات بعض الصور والمظاهر لأنواع الفتن في زماننا اليوم، والتي منها:

■ الفتنة في الأهل والأحباء^(٣)

إن صلة الإنسان بأهله وأحبائه صلة قوية تربطها علاقة المحبة والكرامة والتعاطف بكل المشاعر والأحاسيس البشرية، لكن صلة العبد بربه يجب أن تكون أقوى وأمتن، فهي العروة الوثقى التي لا بد من التمسك بها، قال تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فإذا فُتِن المرء بأحب الناس على قلبه، مثل ما فُتِن سعد بن أبي وقاص ﷺ بأمه التي كانت مشركة، وحاولت صده عن الإسلام بتركها للطعام والشراب، ونعته بقاتل أمه، في محاولة منها للضغط عليه، فهنا يكمن الامتحان الإلهي، هل ستكون الاستجابة

(١) النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: ابن سعد من بني الحارث بن الخزرج، وأمه عمرة بنت ربيعة أخت عبد الله بن ربيعة، يكنى النعمان أبا عبد الله، وكان أول مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة، وقد تولى ولاية الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان وأقام بها، (انظر: الطبقات الكبرى ط العلمية لابن سعد (١٢٢/٦)، أسد الغابة ط العلمية (٣١٠/٥)).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة، باب حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، (٣٥٤/٣٠)، حديث (١٨٤٠٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: هذا حديث صحيح لغيره.

(٣) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٧٢٢/٥-٢٧٢٣).

لرابط الدم أم لرابط العبودية لله ﷻ؟

وقد حث القرآن الكريم على بر الوالدين بالإحسان والرعاية لا بالطاعة العمياء، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ أي عليك بحسن المجاهدة، فلا إفراط ولا تفريط في طاعتها، فأطعهما في الخير والصلاح وخالفهما في الشر والفساد.

■ فتنة الإيذاء في ساعة الشدة

إن الشدائد سنة إلهية قدرها الله ﷻ للأفراد والأمم، فالحياة لا تسير على وتيرة واحدة، والناس يغفلون عن هذه الحقيقة ساعة الرخاء، فتراهم في حال الشدة، وقد برزت معادن نفوسهم، فمنهم من يعبد الله ﷻ بحق في كل وقت وفي أي حال، منهم من يعبد نفاقاً وبهتاناً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ أي: يقول آمنا بالله بلسانه، فإذا آذاه الكفار وعذبه، جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الردة، والعياذ بالله، أو اضطر بسبب ضعف إيمانه، وفساد عقيدته، إلى الخوف من الناس، والتملق لهم، ^(١) حيث قال تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، أما في حال النصر والتمكين تراهم ولسان حالهم يقول، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، لكنهم نسوا أن الله ﷻ يعلم ما تخفي صدورهم من الكفر وما تعلن من الإيمان نفاقاً، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

■ فتنة الإغواء والإغراء لأجل ترك الدين ^(٢).

حاول الكفار صد المسلمين وفتنتهم عن دينهم بشتى الوسائل، ومنها محاولة ارتداد المسلمين عن دينهم بمحاولات فتنتهم بالشك والمغالطة إذ لم يستطيعوا صدهم بالأذى والعذاب، فدعوتهم بالرفق واللين إلى الشرك، ومساومتهم واستعدادهم تحمل تبعات ذنوبهم عنهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ أي: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا، وأما آثامكم إن كانت لكم آثام ووجد حساب فعلينا وفي رقابنا، وعلق سيد قطب على هذا قائلاً: "وقد كان الذين كفروا يقولون هذا تمشياً مع تصورهم القبلي في احتمال العشيرة للديات المشتركة والتبعات المشتركة، ويحسبون أنهم

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (١٥٦/٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٩/٢٠)، التفسير المنير للزحيلي (٢٠٤/٢٠).

قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله ﷻ عن سواهم وإعفائهم منها، ذلك إلى التهكم على قصة الجزاء في الآخرة^(١).

٣- وصايا إلهية لأهل الإيمان^(٢)

تحمل هذه الآيات في طياتها وصايا إلهية لأهل الإيمان والتوحيد، وهي كالآتي:

■ البر بالوالدين

جعل الله ﷻ للوالدين منزلة عظيمة لا تعادلها منزلة، فجعل برهما والإحسان إليهما والعمل على رضاها فرض عين على كل فرد، وذلك بحسن الطاعة لهما، ولين الجناح وبذل المال، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾، كما وقرن الإحسان لهما بعبادته ﷻ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي هذه الآيات تتجلى لنا عظمة الإسلام وحكمة منهج الله ﷻ في مجتمع المسلمين، في حين ننظر في حال الغرب مثلاً وكيف أنهم يتركون آبائهم دون رعاية، وربما أودعهم دار المسنين في حالة برهم بهم، وغالباً يتركونهم دون حتى السؤال عنهم، فالوالدان هما أحق الناس بالشكر والتقدير، لكثرة ما قدما من عطاء وتقاني وحب لأولادهما دون انتظار مقابل.

■ الصبر على الأذى

إن الصبر على أذى الخلق من علامات قوة الإيمان، يقول القشيري: "المؤمن هو من يتحمل من الخلق الأذى، ويتشرب ولا يترشح بغير شكوى ولا إظهار، فهو كالأرض يُلقى عليها كلّ خبيث فتتبت كلّ خضرة وكلّ نزهة"^(٣)، ومن الطبيعي أن يتعرض المؤمن للأذى من أهل الباطل، ثم لا يجد النصير الذي يسانده، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة التي يواجه بها الطغيان، فحينها لابد من الصبر والثبات على الحق.

■ تحمل مسؤولية التكليف وتبعاته

إن من عدل الله ﷻ بعباده، أن كلف عباده بالتشريعات والعبادات كلّ عبد على حدى من منطلق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧]، فالمكلفون إنما يجازون بأعمالهم، ولا يحمل أحد خطيئة أحد ولا جريرته، ليس كما ظن صناديد الكفر من حث

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٢٤).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٤٩-١٩٥١)، تفسير الشعراوي (١٨/١١٠٨٥).

(٣) لطائف الإشارات (٣/٨٩).

المؤمنين لترك دينهم، وإغرائهم بخلاف هذه القاعدة تماماً، فرد عليهم الله ﷻ: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فكل عبد يحمل وزره في عنقه يوم القيامة، لكن من دعا لفاحشة أو فساد فيحمل إثمها وإثم من تبعه، قال ابن قتيبة: "من دعا قوماً إلى ضلالة، فعليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" (١)، قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ، وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: إن دعاة الكفر والضلال هؤلاء ليحملن يوم القيامة أوزار أنفسهن وأوزار غيرهن الذين أضلوهم من الناس، من غير أن ينقص من أوزار أتباعهن شيئاً.

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- المبادرة بالأعمال الصالحة وتكثيف العبادة وقت وقوع الفتن، سبيل للنجاة من السقوط في وحل الضياع.
- ٢- إن الحالة الوحيدة التي يجوز فيها مخالفة الوالدين وعصيانهما؛ إذا أكرها ابنهما على ارتكاب المعصية أو الشرك بالله ﷻ.
- ٣- يقول ابن القيم: "لولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن، والابتلاء لطغوا، ويغوا وعتوا، وإذا أراد الله بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة؛ حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه" (٢).
- ٤- الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فالحال يتغير بين الشدة والرخاء، ويجب التعاطي مع كلا الحالين بما يرضي الله ﷻ.
- ٥- لا بد من التمسك بالتوحيد والإيمان ولو بمخالفة أمر الأبوين، مقرونًا بالإحسان إليهما ولو كانا مشركين.
- ٦- المحن والفتن تظهر معادن النفوس، وتدلل على قيم وأقدار البشر.

(١) غريب القرآن، ت سعيد اللحام (ص: ٢٨٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/١٧٩).

المطلب الثالث

دعوة نوح عليه السلام دروس وعبر

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ * فَانجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥].
أولاً: المناسبة

لما بين الله ﷻ التكليف وذكر أقسام المكلفين، وأن الابتلاء جزء من الإيمان، وإثبات قدرته على إنجاء الطائع وتعذيب العاصي، جاءت هذه الآيات تسليية لقلب النبي محمد ﷺ وتثبيتاً له، من باب ذكر من سبقه من الرسل الكرام ﷺ الذين طال صبرهم على البلاء، ولم تفتر عزائمهم عن نصيحة أقوامهم، و كان أولهم ذكراً قصة أطول الأنبياء عمراً نبي الله نوح ﷺ باعتباره أول رسول للبشرية، وأبي البشر الثاني بعد آدم ﷺ (١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿الطُّوفَانُ﴾ "طوف" الطاء والواو والفاء أصل يدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحف به، ثم يحمل عليه، ثم يقال لما يدور بالأشياء ويغشيها من الماء طوفان (٢).

وذكر الأصفهاني "الطوفان: كل حادثة تحيط بالإنسان، وعلى ذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وصار متعارفاً في الماء المتناهي في الكثرة لأجل أن الحادثة التي نالت قوم نوح ﷺ كانت ماء (٣).

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، لماذا جاء التمييز أولاً بالسنة وثانياً بالعام؟

- لأن العرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجذب بالسنة، فنوح ﷺ مكث في قومه مدة ألف عام، كان منها (٩٥٠) يدعوهم للتوحيد؛ لكن لم يستجب منهم أحد، فجاء تمييز (٩٥٠) بالسنة كناية عن جذب عقولهم وقلوبهم في الاستجابة للحق، وفي المقابل جاء تمييز الخمسين بالعام كناية عن مدة استراحة نوح ﷺ من قومه بعد حدوث الطوفان

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٤٠٣/١٤)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٢٤/١٥).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٤٣٢/٣).

(٣) المفردات (ص: ٥٣٢).

كانت رعداً واسعاً بإيمان المؤمنين وخصب الأرض^(١).

▪ تفنن في التعبير، بلفظين مختلفين لتلك المدة الزمنية؛ تحاشياً للتكرار المنافي للبلاغة^(٢).

ثالثاً: المعنى الإجمالي

تعد هذه الآيات عرضاً موجزاً جداً لقصة نوح مع قومه، في سياق تسلية قلب الرسول محمد ﷺ بعد إعراض المشركين عنه، ومحاولتهم الصد عن دين الله ﷻ، وكأن الله يقول له في هذه الآيات "لا يحزننك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى، فإني وإن أملت لهم فأطلت إملاءهم، فإن مصير أمرهم إلى البوار، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلو والظفر بهم، والنجاة مما يحل بهم من العقاب، كفعلنا ذلك بنوح"^(٣)، وأرشدهم إلى أن من قبلهم من الأمم والأنبياء قد فُتتوا، وابتلوا كنوح وإبراهيم وهود ولوط وشعيب ﷺ، وقد بدأ بذكر أبي الأنبياء نوح ﷺ، فذكر أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ﷻ ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، وما زادهم ذلك إلا فراراً من الحق، وإعراضاً عنه، وتكذيباً له، وما آمن معه إلا قليل منهم، فأنزل الله ﷻ عليهم الطوفان فأهلكهم وهم مستمرون في الظلم، فأنجى الله نوحاً ومن معه ممن ركب السفينة من أتباعه، فكانت تلك السفينة عبرة وموعظة للبشر في كل زمان ومكان.

رابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- نوح ﷺ والصبر المر على دعوته.

قال تعالى في وصف خلق نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، حيث كان يحمد الله على صغير الأمور وكبيرها، فاستحق أن يُلقى الله ﷻ على عاتقه هم دعوة قومه وهو أمر شاق لا تطيقه الجبال، والدليل على مشقة دعوته هو أنه بقي يدعو قومه تسعمائة وخمسون سنة فلم يزداهم ذلك إلا إعراضاً واستكباراً عن الحق، فكذبوه وأذوه وأفحشوا له بالقول ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

لكنه دعاهم وهو مستفيد من جميع الفرص في هذه المدة الطويلة (أي تسعمائة وخمسين سنة) يدعوهم إلى الله حيث لم يشعر بالتعب ولا بالنصب من هذا السعي المتتابع

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٢٥/١٥).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٤٦/٣)، التفسير المنير للزحيلي (٢٠٨/٢٠).

(٣) جامع البيان للطبري (١٦/٢٠).

ولم يظهر عليه الضعف والفتور، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَكُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ٥-١٠]، ولما يؤس نوح من إيمان قومه بعد أن أخبره الله بقوله تعالى، ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]، فدعا عليهم بوحي من الله تعالى بأن يهلكهم ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] فأهلكهم الله بطوفان جارف لم يبقى ولم يذر.

٢- ألف عام من مشقة الدعوة

عاش نوح عليه السلام ما يقرب من ألف عام، قضاه في عبادة ربه ودعوة قومه، حيث روي أنه بُعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان خمسين أو ستين عاماً، وأطلق القرآن لفظ الألف لما فيه من تخييل طول المدة إلى السامع، لأن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتنبيته على ما يكابده من كفر قريش وعنادهم، فعندما يقارن الرسول ﷺ بين عمر دعوة نوح عليه السلام وبين عمر دعوته، فإنه سيزداد ثباتاً وصبراً أمام هذا الطريق الشاق^(١)، يقول الشعراوي: "أي: اصبر يا محمد، فقد صبر زميل لك في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً، يعني مدة المشقة التي تحملتها مازالت بسيطة هيبة، وقد تحمّل أولو العزم من الرسل أكثر من ذلك"^(٢).

٣- سفينة النجاة دروس وعبر

إن الغوص في قصة سفينة نوح يعلمنا أروع الدروس والعبر من كثرة ما فيها من فوائد تملأ الفؤاد علماً و يقيناً وإيماناً بالحكمة الإلهية من صنع السفينة التي لم تكن لمجرد النجاة بالأجساد فقط بل لأجل الارتقاء بالأرواح والسمو بالهمم، قال تعالى، ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي: أبقاها الله آية وعبرة للناس أجمعين، ومن هذه العبر والدروس^(٣):

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٤/١٩٠)، الكشاف للزمخشري (٣/٤٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٣٠).

(٢) الخواطر (١٨/١١٠٩٧).

(٣) انظر بتصريف مقال عبد الشكور عبد الغفار العمدة، كُتِب [١٧محرم٤٣٤هـ-١٥:٠٨ مساءً]،

الدرس الأول: لا تدع المركب يفوتك

إن في كل زمان مركباً للحق تعالى يدعو إليه عباده فمنهم المستجيب ومنهم المفرط، ومن يفرط في ركوب ذلك المركب فقد خسر خسراناً مبيهاً وسيهلك مع الطوفان القادم لا محالة، وسفينة نوح هي مثال لمركب الحق في زمانه، فقد دعا سيدنا نوح ابنه بالركوب معه ولسان حاله يقول يا بني إنها سفينة المستغفرين فكن واحداً من ركابها، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، لكن قلبه المليء بالكفر أبي واستكبر، ظاناً بأن الجبل سيحميه من الطوفان، فخاب ظنه وابتلعه الطوفان وكان من المغرقين، قال تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ﴾ [هود: ٤٣] .

وترى الباحثة أن هذه دعوة صريحة لكل من أغفل قلبه عن طريق الحق وألتهه الدنيا عن ركوب سفينة الإنقاذ التي لا يخلو زمان منها ولا من روادها، فنقول لا تدع المركب يفوتك وكن أول المنقذين لأنفسهم من عذاب يوم أليم.

الدرس الثاني: تذكر أننا جميعاً على نفس المركب

عندما ركب أصحاب السفينة مركبهم علموا وقتها أنهم أصحاب قضية واحدة وهدف واحد، وأن ما يضر الواحد منهم يضر الجميع لذلك تألفت القلوب، وتعاضدت الأنفس على قلب رجل واحد.

الدرس الثالث: اختيار الرفيق الصالح

يجب على المرء أن يختار رفيق دربه اختياراً سليماً، فلربما سقط أثناء المسير أو تعثر في الطريق أو تكالبت عليه الدنيا، وقتها يجد الرفيق الصالح يسانده ويقف بجانبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)^(١)، وهذا ما أدركه سيدنا نوح بإلهام من الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، فركب معه السفينة كل من آمن بالحق واستحق النجاة.

(١) مسند أحمد مخرجاً، مسند أبي هريرة، (١٤٢/١٤)، حديث (٨٤١٧) حديث حسن غريب.

الدرس الرابع: الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله

إذا أقدم المرء على فعل أمر ما فلا بد من أن يضع خطة ليسير عليها، ويصل لبر الأمان، ولتكن هذه الخطة محكمة، مقرونة بالتوكل على الله ﷻ، مثل ما حدث مع نوح ﷺ عندما أمره الله ﷻ ببناء السفينة، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ، حيث لم يكن هناك مطر عندما بدأ سيدنا نوح وأتباعه في بناء السفينة، ولا يوجد بحر أو نهر لتبحر فيها، ورغم ذلك كله استجابوا للأمر الإلهي وبدؤوا تنفيذ المهمة المنوطة بهم، وأيقنوا أن بنصر الله ﷻ لهم، رغم استهزاء قومه منه أثناء بناء السفينة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فمن إحكام الخطة استوجب عليه بأن يحمل على سفينته من كل نوع من الحيوانات زوجين، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠] ، وذلك لاستكمال الحياة وابتدائها في دورة جديدة بعد هلاك الأرض ومن عليها بالطوفان.

٣ - رحلة نوح ﷺ رحلة تحديد مصير

تعد رحلة نوح ﷺ أول رحلة بحرية في التاريخ، لكن لم تكن للترفيه والتسلية ولا للبحث والاستكشاف؛ بل كانت محطة تاريخية هامة في عمر البشرية، فعند مجيء الأمر الإلهي بالإغراق بعد مدة طويلة من الصبر والإنذار، والدعوة للتوحيد والإيمان، حيث هطلت أمطار غزيرة، وانفجرت عيون الأرض، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١-١٢] ، فغمرت المياه الأرض حتى غطت الجبال، و أبحرت سفينة الموحدين بقيادة نوح ﷺ تشق طريقها بين الأمواج العاتية، ووسط الرياح العاصفة، فسارت بركابها بإذن الله ورعايته حتى استقرت على جبل الجودي، فابتلع الطوفان جميع الكفار وأنجى الله ﷻ عباده المخلصين، قال تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾ ، فبعد هذا الحدث الرهيب أمر الله ﷻ الأرض أن تبتلع مائها والسماء أن تكف مطرها، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءِ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

خامساً: العبر المستفادة من الآية:

١- الدعوة للحق تحتاج للصبر وقوة العزيمة، وأن لا يصاب الداعي بالملل والضجر، ولنا في نبي الله نوح ﷺ نموذج يُحتذى به.

- ٢- الانتساب الحقيقي ليس بالدم فقط، بل الانتساب يكون إلى الله تعالى ودينه.
- ٣- إنَّ نجاح الدعوة والرسالة لا يتم بالجهد القليل بل يحتاج إلى الوقت والتعب والصبر المرّ.
- ٤- اشتهر قوم نوح عليه السلام بغواية التكذيب ورفض الحق.
- ٥- الظلم عاقبة الهلاك، فقوم نوح ظلموا أنفسهم بعد اتباعه.

المطلب الرابع

قصة دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تَكذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٨].

أولاً: المناسبة

"بعد الانتهاء من بيان قصة نوح عليه السلام أبي البشر الثاني، أورد الله تعالى قصة ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وإمام الحنفاء، بقصد عرض نماذج من سيرة الأنبياء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتأسى بهم، ويسلو عما أهمه من إعراض قومه عن دعوته" (١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿أَوْثَانًا﴾ واحدها وثن، والوثن ما كان من حجارة أو من جصّ، (٢) والأوثان: "جمع وثن بفتحتين، وهو صورة من حجر أو خشب مجسمة على صورة إنسان أو حيوان، والوثن أخص من الصنم لأن الصنم يطلق على حجارة غير مصورة مثل أكثر أصنام العرب كصنم ذي الخلصة لختعم، وكانت أصنام قوم ابراهيم صوراً، قال تعالى: ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] " (٣).

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تخلقون: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، ومن الباب رجل مخلق أي تام الخلق، والخلق: خلق الكذب، وهو اختلاقه واختراعه

(١) التفسير المنير للزحيلي (٢٠/٢١٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (٢/١١٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٨٧).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠/٢٢٥).

وتقديره في النفس" (١).

﴿إِفْكَ﴾: "الإفك في الأصل الكذب وقيل الإثم، والجمع الأفائك، ورجل أفاك وأفيك وأفوك: كذاب" (٢).

واختلف في معنى تَخْلُقُونَ فقال ابن عباس رضي الله عنه: هو نحت الأصنام وخلقها، وسماها إفكاً توسعاً من حيث يفترون بها الإفك في أنها آلهة، وقال مجاهد: هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان وغير ذلك (٣)، وقال الطبري: "تحتون تصورون إفكاً، وقيل تصنعون أصناماً، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وتصنعون كذاباً" (٤)، "وتخلقون إفكاً معناه: تخلقون الإفك، أي الكذب والباطل، بتسمية الأوثان آلهة، وشركاء الله، أو شفعاء إليه" (٥).

ثالثاً: اللطائف البيانية

قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ اعبدوا الله واتقوه إشارة إلى التوحيد؛ لأن التوحيد إثبات الإله ونفي غيره، أي اعبدوا الله إشارة إلى الإتيان بالواجبات، وقوله: واتقوه إشارة إلى الامتناع عن المحرمات، ويدخل في الأول الاعتراف بالله، وفي الثاني الامتناع من الشرك (٦).

قوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ "في الآية تقديم لابتغاء الرزق على الأمر بالعبادة؛ لأنه لا يمكنه القيام بالعبادة إلا بعد كفاية الأمر فبالقوة يمكنه أداء العبادة، وبالرزق يجد القوة" (٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ ذكر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة لفظ ﴿أُمَّمٌ﴾ فكيف يفهم مع أن إبراهيم عليه السلام لم يسبقه إلا قوم نوح عليه السلام وهم أمة واحدة، والجواب عنه وجهين أحدهما: أن قبل نوح عليه السلام كان أقوام كقوم إدريس وقوم شيث وآدم عليهم السلام، والثاني: أن نوحاً عاش ألفاً وأكثر وكان القرن يموت ويجيء أولاده، والآباء يوصون الأبناء بالامتناع عن الاتباع فكفى بقوم نوح أمماً (٨).

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢١٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٠/٣٩٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/٣١١).

(٤) جامع البيان (٢٠/١٩).

(٥) التفسير المنير للزحيلي (٢٠/٢١٤).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/٣٨).

(٧) لطائف الإشارات (٣/٩٢).

(٨) مفاتيح الغيب للرازي (٢٥/٣٩).

قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إن) وهو حرف شرط جازم والذي يفيد بيان نصح إبراهيم ﷺ لقومه في سياق جملة شرطية تقديرها: إن كنتم تعلمون الخير من الشر وتفرقون بينهما، فذلك خير لكم، وجيء بحرف الشرط (إن) الذي يُشعر بعدم الجزم بوقوع الشرط غالباً، ومن ثم أفاد التشكيك بعلم قوم إبراهيم ﷺ بأن عبادة الله ﷻ خير لهم مما يعبدون.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إن) وهو حرف شرط جازم، والذي يفيد بيان تهديد إبراهيم ﷺ للمعاندين والمكذبين في سياق جملة شرطية تقديرها: إن تكذبوا بما جئكم به، فقد كذب قبلكم لأقوام كثيرة، فانظروا ما حل بهم من عذاب، وجيء بحرف الشرط (إن) الذي يُشعر بعدم الجزم بوقوع الشرط غالباً، ومن ثم أفاد الإشعار باحتمال وقوع فعل الشرط، وهو التكذيب لما جاء به إبراهيم ﷺ.

❖ أثر اختلاف الإعراب على المعنى

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ فيها ثلاث أوجه إعرابية^(١)

الوجه الأول: منصوب بالعطف على قوله: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.

معناه: أي أرسلنا نوحاً لدعوة قومه إلى عبادة الله ﷻ وتوحيده وكذلك أرسلنا إبراهيم ﷺ لدعوة قومه إلى التوحيد.

الوجه الثاني: منصوب بالعطف على الهاء في قوله: ﴿أَنْجَيْنَاهُ﴾ .

معناه: أي كما أنجينا نوحاً ﷺ وأتباعه المؤمنين من الغرق بالطوفان، كذلك أنجى الله ﷻ إبراهيم من الحرق بالنار عندما تأمر عليه قومه.

الوجه الثالث: منصوب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره (واذكر).

معناه: أي واذكر يا محمد إبراهيم الذي حاول قدر المستطاع هداية قومه؛ لكنهم قابلوا دعوته بأن ألقوه في النار، وفي هذا تسليية لقلب النبي ﷺ.

أثر الاختلاف:

ترى الباحثة أن اختلاف أوجه الإعراب في هذا الموضع يزيد المعنى قوةً وتوضيحاً، حيث إن قصص المرسلين متشابهة تماماً في حقيقة الدعوة وإعراض الأقوام عنها، وأغلب الأنبياء والرسل تعرضوا للفتن والابتلاءات على يد أقوامهم، كما أن الغاية العظمى من سرد قصص الأنبياء في القرآن الكريم لأجل تثبيت الرسول ﷺ في مواجهة قومه وتحمل إعراضهم عنه.

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٧١)، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٢/٥٥١).

رابعاً: المعنى الإجمالي

وتتوالى الآيات تفرغ الأذان في سرد قصص السابقين لدعوة النبي ﷺ وذكر ما واجههم من مصاعب وعقبات، فما هو نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو قومه لعبادة رب الأرباب وخالق العباد ومسبب الأسباب، "فقد أقام على قومه الحجّة، وأرشدهم إلى سواء المحجة، ولكنهم أصروا على ما جحدوا، وتعصبوا لما من الأصنام عبدوا، وكادوا لإبراهيم كيداً، ولكن انقلب ذلك عليهم من الله ﷻ مكرّاً بهم واستدرجاً، ولم ينجع فيهم نصحه، ولا وجد منهم مساعاً وعظه"^(١)، ثم أقام إبراهيم عليه السلام لقومه الأدلة على التوحيد وإثبات فساد ما هم به، وشر ما يسيرون عليه.

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - بيان حقيقة دعوة إبراهيم عليه السلام

﴿وإبراهيم إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، نشأ إبراهيم عليه السلام في أسرة كان ربها من أعظم نحاتي التماثيل والأصنام التي تعبد كآلهة، وهي في الحقيقة لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع حماية نفسها، ومن هذا الباب نشأ العبد الصالح كارهاً لتلك الآلهة، فقد كان يعيش على فطرته التي فطره الله عليها، ألا وهي فطرة التوحيد، وتام الاقتناع بأنه لا يوجد إلا إله واحد خالق وقادر وبيده ملكوت السموات والأرض.

يقول الإمام سيد قطب: " لقد دعاهم دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوات، فلقد بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ ثم ثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تتضمنه من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾"^(٢).

٢ - أدلة بطلان عبادة الأوثان

العقل جوهرة ربانية أودعها الله في الإنسان ليكون خليفته في الأرض، ويحمل لواء العبادة الخالصة لله ﷻ، وبأبسط تفكير بعقولنا نتوصل إلى بطلان عبادة الأصنام، يكفي أنّها لا تنفع ولا تضر، حيث لم تخل الأرض من الأصنام وعبادتها، وكانت منذ عصر نوح عليه السلام إلى عصر الجاهلية قبل الإسلام فمنها يغوث ونصر ويعوق وود، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ

(١) لطائف الإشارات للقسيري (٩١/٣).

(٢) في ظلال القرآن (٢٧٢٨/٥).

أَهْتِكُمْ وَلَا تَدْرَنْ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿ [نوح: ٢٣] ، وزيادة فوق إقرار العقل ببطانها، فقد أورد الله على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام دليلاً على بطلان عبادة الأصنام: **الدليل الأول:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي "إن ما تعبدون من غير الله من الأصنام، ما هي إلا أوثان، وأشياء مصنوعة من الأحجار، فلا تضر ولا تنفع، وإنما اخترقتم لها أسماء، فسميتموها آلهة، وادّعيتم أن لها شفاعة لكم عند ربكم، وإنما هي مخلوقة أمثالكم، فأنتم تخلقون الكذب بوصفها آلهة"^(١).

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي "إن تلك الأوثان التي تعبدونها من غير الله، لا تستطيع أن تجلب لكم رزقا، فكيف تعبدونها؟ فاطلبوا الرزق من عند الله تعالى، لا من عند غيره من الأوثان ونحوها، واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم من الفضل والنعمة، فإنما إليه مرجعكم يوم القيامة، ليحاسبكم على أعمالكم"^(٢).

فبعد سماع كلام الله ﷻ في الآيات السابقة يتضح مدى جهل المشركين الذين جعلوا لله عدلاً ومساوياً من الأصنام والأنداد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣]، ويبين الله تعالى أن الأصنام والأوثان التي عبدها من دون الله ﷻ لو اجتمعوا وتعاونوا لن يخلقوا ذبابةً واحدة في صغرها وضعفها وحقارة ذاتها، فإن كانت عاجزة عن ذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها من دون الله تعالى.

٣- إيراد قصة ابراهيم عليه السلام إرادة للتنفيس عن النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ويقول الزمخشري في تفسيره: "إيراد قصة ابراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ، وأن تكون مسلاة له ومُتفرجاً بأن أباه ابراهيم خليل الله كان قد مُني بنحو ما مُني به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان"^(٣)، وهذا دليل صدق رسالة ابراهيم عليه السلام ومقتضى الخطاب يقول "وإن تكذبوني في رسالتي، فلا تضروني أبداً، فقد كذبت الرسل أمم سابقة، وقد بلغكم ما حلّ بهم، من العذاب والانتقام، ولا يكلف الرسول إلا بتبليغ ما أمره الله تعالى به من الرسالة، تبليغاً

(١) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/١٩٥٥).

(٢) المرجع السابق (٣/١٩٥٥).

(٣) الكشاف (٣/٤٤٨).

واضحاً كاملاً، فاحرصوا على إسعاد أنفسكم بالإيمان بالله تعالى" (١).

٤ - طرق ابتغاء الرزق من الله ﷻ (٢)

قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إن الرزق من الله ﷻ وحده، ولقد عطف العبادة على ذلك مما يدل على أنه عبادة، كما ويدل على وجوب ابتغاء الرزق عند الله ﷻ فقط، ولا يجوز أن يُطلب من غيره؛ لأنه جلّ وعلا هو رب العباد، وهو الذي يتولى أرزاقهم وحده، وطلب الرزق فِطْرَةً فطَّرَ اللهُ ﷻ عليها الخلق، ولقد يسَّرَ اللهُ ﷻ وكثَّرَ أسباب الرزق، وحثَّ على التماسها قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] كما ولا شك أن همَّ الرزق قد أكل قلوباً، وأشغل عقولاً، فبعض الناس في هلعٍ وجزعٍ حينما يسمع بالتغيرات الاقتصادية، والتقلبات المالية، والمشكلات في أمور المعاش، وكأنهم لا يعلمون أن الله ﷻ قد تكفل بالرزق لجميع خلقه إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، قويهم وضعيفهم، كبيرهم وصغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، فمن أسباب وطرق ابتغاء الرزق الحلال ما يأتي:

أ - تقوى الله ﷻ

عرف الجرجاني التقوى: "في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحدز" (٣)، فمن اتقى الله ولزِمَ مرضاته رزقه من حيث لا يحتسب أي أخلص له بالعبادة والنية في الظاهر والباطن، وهذا وعدٌ من الله حقٌّ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣]، أي يرزقه من جهة لا تخطر له على بال، ومن حيث لا يرجو ولا يُؤمل، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فعلى المرء أن يتَّقِيَ اللهُ ﷻ في نفسه وأهله وماله وعمله وفي شأنه كله.

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/١٩٥٥).

(٢) انظر: مقال بعنوان: "الحض على طلب الرزق وتعاطي أسبابه" الشيخ عبدالله بن صالح القصير، تاريخ الإضافة: ٢٠/١١/٢٠١٣ ميلادي - ١٦/١/١٤٣٥ هجري، <http://www.alukah.net>، ومقال بعنوان: "اتباع أسباب الرزق من محاسن الإسلام" الشيخ الدكتور/صالح بن حميد، ٢٢ فبراير، ٢٠١٤، <http://www.assakina.com>.

(٣) التعريفات (ص: ٦٥).

ب- كثرة الاستغفار والإخلاص لله تعالى فيه

حيث يتواطأ القلب واللسان والجوارح على ترك الذنوب، والندم على فعلها خجلاً من علّام الغيوب، والإلحاح على الله تعالى بطلب محو إثمها، وصرف عقوبتها دنيا وآخرة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَكْثَرَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)^(١)، ولا ننسى قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

ت- حسن التوكل على الله تعالى

وذلك بتفويض الأمر إليه، وصدق الاعتماد عليه، مع الثقة به، وتعاطي ما شرعه الله - سبحانه - لتحصيل المطلوب وإتقاء المرهوب فهذا من أكرم الخصال التي يُستجلب بها الرزق، فعن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بَطَانًا)^(٢)، ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أن التوكل لا يُعارض الأخذ بالأسباب، والاجتهاد في الطلب؛ بل قال أهل العلم إن السعي في الجوارح واقتفاء الأسباب طاعة لله عز وجل، والتوكل بالقلب إيمان به.

ث- صلة الأرحام

لصلة الرحم أثر مبارك في تيسير الرزق وكثرتة، وحلول البركة فيه، ودفع النقمة عنه، وثماره مشهودة من بسط الرزق، وزيادة العمر، ودفع السوء، وغرس المحبة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)^(٣).

ج- الصلاح في الدين

يُعد صلاح الدين من أعظم القربات إلى الله عز وجل، وسبباً في حفظ النعم والأرزاق وتمثل ذلك في قصة الغلامين اليتيمين في سورة الكهف، وكيف تكفل الله بحفظ رزقهما لحين اشتداد

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری، کتاب التوبة والإنباء، (٢٩١/٤)، حدیث (٧٦٧٧)، وقال هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرقائق، (٣٨٩/١٠)، حدیث (١١٨٠٥)، وقوله: (تغدو خماصاً وتروح بطاناً): أي تغدو بكرة وهي جياح، وتروح عشاء وهي ممثلة الأجواف (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٨٠/٢)).

(٣) صحیح البخاری، کتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق من صلة الرحم، (٥/٨) حدیث (٥٩٨٦).

عودهما، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

سادساً: العبر المستفادة من الآيات

١- لقد قرر القرآن الكريم أن الأساس الذي قامت عليه دعوة الرسل هو تقرير وحدانية الله ﷻ، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد والأبناء والآباء، وصرف وجوه العباد له وحده، في العبادة والطاعة، والذكر والدعاء، والاستعانة والاستغاثة، والتوكل والرجاء، ونحو ذلك من كل ما لا يليق إلا به ﷻ^(١).

٢- لا بد من وجود عقبات في طريق الدعوة وذلك ليمتحن الله ﷻ صبرهم وقدرتهم على المسير.

٣- الوجدانية هي صفة الله ﷻ، وهي حقيقة قائمة بذاته جل شأنه، سواء اعترف الناس بذلك أم لم يعترفوا، فالوجدانية قائمة بذاته جل شأنه.

٤- الرزق الذي يُنعم الله ﷻ به على عباده يجب أن يكون عوناً على الطاعة، فإن لم يستعمل لذلك فإن الإنسان مستحق لعذاب الله ﷻ.

(١) التفسير الموضوعي، مناهج جامعة المدينة العالمية ماليزيا (ص: ١٣).

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف الآيات (١٩-٣٥)

من سورة العنكبوت

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: خطاب الله ﷻ لمنكري الخلق والبعث

المطلب الثاني: وجوب الفرار إلى الله ﷻ عند المحن

المطلب الثالث: الرذيلة والفساد الخلفي في قوم لوط عليه السلام

المطلب الرابع: دور الملائكة في تنفيذ وعد الله ﷻ ووعيده

المطلب الأول

خطاب الله ﷻ لمنكري الخلق والبعث

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ *﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٥].

أولاً: المناسبة

لما عرض الله ﷻ قصة دعوة ابراهيم عليه السلام لقومه في الآيات السابقة، والذين أنكروا قضيتي البعث والخلق، أورد الله عز وجل على لسان نبيه الخليل الأدلة على البعث والمعاد وذلك بإبطال إلهية معبوداتهم، وسبق هذا العرض من باب تسليية الرسول ﷺ وإقامة الحجة على قريش وسائر العرب^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿يُبْدِئُ﴾، ﴿بَدَأُ﴾: الباء والبدال والهمزة من افتتاح الشيء، يقال: بدأت بالأمر وابتدأت، من الابتداء، والله تعالى المبدئ والبادئ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣].^(٢)

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي ولا من في السماء بمعجز^(٣).

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٤١٥ / ١٤).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢١٢/١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢٣٢/٤)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٨٨).

ثالثاً: اللطائف البيانية

قوله تعالى: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُهُ﴾، ﴿يُعَذِّبُ وَيَرْحِمُ﴾، ﴿الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ﴾ فيها طباق^(١).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أسلوب استفهام يفيد استنكار ما ينكرونه من قدرة الله ﷻ في البعث والإحياء فأنت الآية الأولى بصيغة الاستفهام، ثم قال: سيروا في الأرض بصيغة الأمر؛ لأن الآية الأولى إشارة إلى العلم الحدسي وهو الحاصل من غير طلب، والآية الثانية إشارة إلى العلم الفكري الحاصل بالتفكير والطلب، أي سيروا فركم في الأرض، وأجبلوا ذهنكم في الحوادث الخارجة عن أنفسكم، لتعلموا بدء الخلق^(٢).

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ابتدئ الآية بذكر العقاب لأن الخطاب جار مع منكري البعث الذين حظهم فيه هو التعذيب^(٣)، ويقول التستري: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بمتابعة البدعة، ﴿وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بملازمة السنة، وزاد ابن عطية: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بالانقطاع إلى الدنيا وقيل بسوء الخلق^(٤).

رابعاً: القراءات المتواترة^(٥)

أ- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ فيها قراءتان:

■ قرأ حمزة والكسائي وخلف^(٦) وشعبة بالخطاب (ألم تروا).

■ قرأ الباقون بالغيبية (أولم يروا).

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢٠/٢١٢).

(٢) التفسير المنير (٢٠/٢١٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/٢٣٢).

(٤) انظر: تفسير التستري (ص: ١٢٠)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٣١٢).

(٥) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣٤٣)، الحجة للقراء السبعة لأبو علي الفارسي

(٥/٤٢٦-٤٢٨)، حجة القراءات لابن زنجلة (ص: ٥٤٩)، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه

(ص: ٢٧٩).

(٦) خلف: (١٥٠-٢٢٩هـ) هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البزار البغدادي، أحد القراء

العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وابتدأ في الطلب وهو ابن

ثلاث عشرة وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٧٢)، معرفة

القراء للذهبي (ص: ١٢٣).

■ **التوجيه:** قراءة الخطاب تفيد توجيه الخطاب مباشرة للكافرين بسبب إنكارهم لمسألتي البعث والخلق أي قل لهم يا محمد ألم تروا كيف يُبدئ الله الخلق ثم يُعيدُه، وقراءة الغيبية تفيد ابلاغ الكافرين أي أو لم يروا ير الذين اقتصصنا عليهم قصص سالف الأمم الماضية كيف يخلق الله ﷻ من خلال النظر في الكون والتدبر فيه، ويقول ابن عاشور: "الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لنكتة إبعادهم عن شرف الحضور بعد الإخبار عنهم بأنهم مكذبون"^(١).

ب- (يُنشئُ النَّشْأَةَ) فيها قراءتان:

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الشين (النشأة) وفتح الشين.
- وقرأ الباقر بإسكان الشين من غير ألف فيها (النشأة).
- **التوجيه:** هما لغتان وفي القياس كالرأفة والرأفة، والكأبة، والكأبة، وعلى ذلك فقراءة (النشأة) اسم المصدر من أنشأته إنشاءً مثل أعطيته إعطاءً، وقراءة (النشأة) على أنها مصدرًا صدر عن غير لفظ ينشئ أي أن الله ينشئ يوم القيامة خلقه الأموات فينشؤون النشأة الآخرة.

ت- (مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ) فيها ثلاث قراءات:

- قرأ ابن كثير^(٢) وأبو عمرو والكسائي ورويس وشعبة برفع مودة من غير تنوين وخفض بينكم (مودةً بينكم).
- وقرأ حمزة وحفص وروح^(٣) بنصب مودة وخفض بينكم (مودةً بينكم).
- وقرأ الباقر بنصب مودة منونة، ونصب بينكم (مودةً بينكم).

(١) التحرير والتنوير (٢٠/٢٢٧).

(٢) ابن كثير: (٤٥-١٢٠هـ) أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب المكي، أصله فارسي، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن وإمام المكيين في القراءة، من أشهر رواته البزي وقنبل (انظر: معرفة القراء للذهبي (ص: ٤٩)، غاية النهاية لابن الجزري (١/٤٤٣)).

(٣) روح: (المتوفى ٢٣٥هـ) هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن الهذلي مولاهم البصري النحوي، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور، وكان متقناً مجوداً، عرض قراءته على يعقوب الحضرمي وهو من جلة أصحابه، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٨٥)، معرفة القراء للذهبي (ص: ١٢٦)).

• التوجيه: اختلاف القراءات يرجع لاختلاف الإعراب على النحو الآتي:

١. توجيه قراءة الرفع: أنه جعل (إنما) كلمتين منفصلتين (إنّ) الناصبة و(ما) بمعنى الذي أي اعراب مودة خبر إن والتقدير: إن الذي اتخذتموه أوثاناً مودةً بينكم، أو رفع (مودة) بالابتداء وقوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خبر المبتدأ.
٢. توجيه قراءة النصب: أنه جعل (إنما) كلمة واحدة، و(المودة) مفعول به للفعل ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾، أو بدلاً من ﴿أَوْثَانًا﴾، و نصب (بينكم) على أنه ظرفاً.

خامساً: المعنى الإجمالي

وكان لا بد من وقفة خطابٍ، خطابٍ إلهي لكل منكر بالله ﷻ ولقائه ومع ﷻ مكذب بالحق ودعوته عموماً، ولقوم ابراهيم ﷺ ضمناً، حيث استعرضت الآيات الأدلة الكونية الحسية والمشاهدة في فسحات الكون العظيم لعلمهم يتفكرون أو يتعظون، فيسألهم الله ﷻ في دعوة منه لهم للنظر في مخلوقات الكون قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي أن الله ﷻ خلق الخلق في المرة الأولى من الأولى أن يقدر إعادة الخلق ثانية وبكل يسر، أفلم ينظروا للنبتة النامية كيف نمت من حبة ميتة، ولينظر الإنسان إلى نفسه كيف خلق من ماء مهين، قال الطبري: "أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلاً صغيراً، ثم غلاماً يافعا، ثم رجلاً مجتمعاً، ثم كهلاً"^(١)، فعجباً لأمرهم بل سحراً لحالهم أفتبعوا هذا ينكرون، أولم يعلموا أن إليه المنقلب وأن كل البشر ليس بمعجز لله ﷻ في الأرض ولا في السماء.^(٢)

ثم تعود الآيات بعد انتهاء الخطاب المعترض لثنايا قصة ابراهيم ﷻ مع قومه، حيث كان ردهم عليه أن ﴿أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وما علموا أن الله ﷻ لا يترك عباده ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ فكانت الصاعقة الكبرى، وللأسف لم يؤمن منهم سوى لوط ﷻ، وبقي حالهم كما هو يعبدون أصنامهم محبة بينهم من دون الله ﷻ.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - طريقة القرآن في اتخاذ مظاهر الكون معرضاً لدلائل الإيمان

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ كانت دعوى الكافرين منذ القدم وماتزال، هي محاولة إنكار قضيتي الخلق والبعث

(١) جامع البيان (٢٠/٢٠).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٦٢٩) تفسير القرطبي (٣٣٥/١٣)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٢٧١).

بعد الإفناء، فنزلت الآيات تباعاً وضربت الأمثال سراعاً، لعلاج هذه المسألة والقضاء عليها، فالإيمان بالبعث دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله ﷻ عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل والحجة عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن وذلك أن الأنبياء ﷺ كلهم متفقون على الإيمان بالله ﷻ وبأنه القادر على كل شيء، ونلاحظ أن أغلب الآيات القرآنية تتخذ من الكون معرضاً للاستدلال والاستشهاد على قدرة الله ﷻ على الخلق والبعث والإحياء، يقول سيد قطب: "إنه خطاب لكل منكر لله ولقائه، خطاب دليله هذا الكون ومجاله السماء والأرض على طريقة القرآن في اتخاذ الكون كله معرضاً لآيات الإيمان ودلائله وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب، تبحث فيها عن آيات الله، وترى دلائل وجوده ووحدانيته، وصدق وعده ووعيده، ومشاهد الكون وظواهره حاضرة أبداً لا تغيب عن إنسان، ولكنها تفقد جدتها في نفوس الناس بطول الألفة ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار" (١)، "فلذلك أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعوهم إلى السير في الأرض ليشاهدوا آثار خلق الله ﷻ الأشياء من عدم فيوقنوا أن إعادتها بعد زوالها ليس بأعجب من ابتداء صنعها ، وجيء في هذا الاستدلال بفعل النظر لأن إدراك ما خلقه الله حاصل بطريق البصر وهو بفعل النظر أولى وأشهر لينتقل منه إلى إدراك أنه ينشئ النشأة الآخرة" (٢).

وفى ذلك تشجيع للإنسان على التفكير والتدبر في خلق السماوات والأرض يقول ربنا ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، والتفكير عبادة من أجل وأعظم العبادات لله ﷻ، ووسيلة من أعظم الوسائل للتعرف على حقيقة الخلق، وحتمية الإفناء وضرورة البعث، وللتأكيد على عظمة الخالق وعلى تفرده بالألوهية، والربوبية، والوحدانية.

٢- أجناس ما يعذب به المرء وما يرحم لأجله

قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ﴾ أي يعذب من يشاء ويرحم

من يشاء، والله هو الحاكم المتصرف يعذب من يشاء منكم من الكفار والعصاة، ويرحم من يشاء من عباده فضلا منه ورحمة (٣).

(١) في ظلال القرآن (٢٧٢٩/٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٠/٢٠ - ٢٣٧).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٢١٧/٢٠).

وذكر القشيري في تفسيره أجناس ما يعذب الله ﷻ به عباده وأنواع ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر فمن ذلك^(١):

- أنه يعذب من يشاء بالخذلان، ويرحم من يشاء بالإيمان.
- يعذب من يشاء بالجحود والعنود، ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود.
- يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقناعة.
- يعذب من يشاء بتفرقة الهمة، ويرحم من يشاء بجمع الهمة.
- يعذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير، ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التقدير.
- يعذب من يشاء بالاختيار من نفسه، ويرحم من يشاء برضاه بحكم ربّه.
- يعذب من يشاء بإعراضه عنه، ويرحم من يشاء بإقباله عليه.
- يعذب من يشاء بأن يكله ونفسه، ويرحم من يشاء بأن يقوم بحسن تولّيه.
- يعذب من يشاء بحبّ الدنيا ويمنعها عنه، ويرحم من يشاء بتزهيده فيها وبسطها عليه.
- يعذب من يشاء بأن يثبته في أوطان العادة، ويرحم من يشاء بأن يقيمه بأداء العبادة .

وأخيراً نذكر بأن العذاب والرحمة يتبعان مشيئة الله ﷻ من حيث تبينه طريقى الهدى والضلال فقد خلق الله ﷻ للإنسان الاستعداد لما يختار به هذا أو ذاك، ويسر له الطريقين سواء، وهو بعد ذلك يختار طريق الله ﷻ أو الإعراض عنه، ومن ثم تكون الرحمة ويكون العذاب.^(٢)

٣- من هم اليائسون من رحمة الله ﷻ^(٣)

﴿أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يسؤوا أي قطعوا رجاءهم من رحمة الله ﷻ بسبب جحودهم واستنكارهم للحق.

وفي هذه الآية صورة صادقة لليائسين من رحمة الله ﷻ والذين استحقوا العذاب والهلاك، فمن يا ترى هؤلاء الذين يستحقون هذا العذاب الأليم، ولماذا استحقوا العذاب؟ بداية نقول: لا تكونوا من القانطين من رحمة الله ﷻ، ولا من اليائسين مما عند الله ﷻ، فالقنوط هزيمة للعزائم، واليأس محبط للهمم، وسببهما فقد الأمن وانعدام الرجاء، وهذه من

(١) لطائف الإشارات (٩٣/٣).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٢٧٣١/٥).

(٣) انظر: خطبة بعنوان أيها الناس! لا تكونوا من القانطين ولا من اليائسين، للشيخ فؤاد أبو سعيد، مسجد الزعفران المغازي الوسطى غزة، ٤ رجب ١٤٣٣ هـ، ٢٥ مايو أيار ٢٠١٢ شمسية، الساعة ٠٣:٥٨ PM، موقع الألوكة على الشبكة العنكبوتية.

صفات المشركين والمنافقين، ومن ضَعُفَ إيمانهم بالله ﷻ، واضمحَلَّ توحيدهم برَبِّهم، وقل إخالصهم في صالح أعمالهم، فالكفار قنطوا من الآخرة؛ لأنهم بها لا يؤمنون، وبآيات الله هم كافرون، ولرحمة الله لا يرجون فاستحقوا العذاب والهلاك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: ١٣] والمشركون يئسوا من الجنة؛ لأنهم جعلوا مع الله آلهة أخرى، أشركوها في عبادته، يرجونها وعليها يتوكلون، وإليها بالحلف والذبائح والتعظيم يتقربون، ويخافون منها ويخشونها أكثر من خوفهم من الله، ويرفعون أكفَّ الضراعة عندها داعين، وإليها راغبين، وحول القبور والأضرحة طائفين، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٦].

وتنبه لضعاف الإيمان من هذه الأمة، إذا ابتعدوا عن ذكر الله ﷻ، وغفلوا عن طاعة الله ﷻ، أو وقعوا في معاصي تغضب الله ﷻ، أو إذا ابتلاههم الله ﷻ ببعض المصائب الدنيوية من مرضٍ أو فقدٍ ولد، أو مالٍ ونحو ذلك، تسرَّب القنوط إلى صدورهم، وتسأل اليأس إلى نفوسهم، فحذار حذار من اليأس والقنوط فإنه مهلكة ومفسدة عظيمة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ [الرُّم: ٥٣-٥٤].

٤ - الله ﷻ لا يترك عباده المخلصين في وجه العاصفة

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أن بعد تعب شديد في دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه التي بائت بالفشل، فما كان منهم إلا أن أجمعوا على كلمة رجل واحد بوجوب قتله واختاروا له القتل حرقاً، فجمعوا حطبهم وأوقدوا نارهم، ظناً منهم أنها النهاية، وما علم أولئك المغفلون بأن الله ﷻ ناصر عبده وقاهر عدوه، قال الزحيلي: "حيث حشد قوم إبراهيم الجموع العظيمة، وجمعوا الأحطاب الكبيرة، ثم أضرموها فيها النار، فارتفع لهبها إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم، فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوه فيها، فأنجاه الله وسلمه" (١)، فكانت الصدمة التي لامثيل لها والتي جعلتهم يكونوا في حال لا يحسدون عليه، حيث أمر الله ﷻ النار فكانت برداً وسلاماً على نبيه الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿

[الأنبياء: ٦٨-٧٠].

(١) التفسير المنير (٢٠/٢٢٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي لعبرات لقوم يصدقون بتوحيد الله ﷻ وهذه الآيات هي كما ذكرها سيد قطب^(١) :

- الآية الأولى هي تلك النجاة من النار.
- الآية الثانية هي عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة.
- الآية الثالثة هي أن الخارقة لا تهدي القلوب الجاحدة، ذلك لمن يريد أن يتدبر تاريخ الدعوات، وتصريف القلوب، وعوامل الهدى والضلال.

والتاريخ مليء بهذه القصص فعلى سبيل الذكر لا الحصر، نتذكر قصة سيدنا نوح ﷺ مع قومه، وكيف أنجاهم الله من الطوفان بعد شدة تكذيب وعناد قومه له، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، كذلك الحال مع سيدنا موسى ﷺ عندما فرق الله ﷻ له البحر نصفين، فأناه قومه من فرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- حثت الآيات على ضرورة التفكير في خلق الله ﷻ والسير في الأرض؛ لأنه يفتح العقول وينير القلوب إلى قدرة الله ﷻ، وهذا دليل واضح على وحدانية الله ﷻ وكمال قدرته .
- ٢- هذه الآيات الصريحة دلت على أن الله ﷻ وحده هو الخالق، وهو المحيي وهو المميت، وهو الباعث ووعده حق، وهذا من أدلة إثبات البعث الذي ينكره المشركون والملحون الذين يرون بأن الدنيا خلقت بالصدفة وأن الحياة الدنيا لا حياة بعدها.
- ٣- إن رسل الله وأنبياءه، من أولهم إلى آخرهم بُعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله ﷻ، فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾، وهذا هو الذي تضمنه قول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).
- ٤- إن قوم إبراهيم ﷺ يعبدون الأوثان مودة بينهم لا اعتقاداً أو اقتناعاً بأحقيتها بالعبادة، وعلى ذلك فإنهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضاً ويتلاعنون لأن توادهم كان على غير تقوى، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٣١).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص: ٤٩).

المطلب الثاني

وجوب الفرار إلى الله ﷻ عند المحن

قال تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٦-٢٧].

أولاً: المناسبة

لما كان سياق الآيات ذكر ما طال الأنبياء من محن وابتلاءات، ليتضح لهم أنه لا ناصر لهم إلا الله ﷻ، في هذه الحالة وجب عليهم الفرار والهروب إليه، فالله ﷻ لا يترك عباده المؤمنين.

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿مُهَاجِرٌ﴾ هجر، الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه، فالأول الهجر ضد الوصل، وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار أي تركوا الأولى للثانية، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة^(١)، وعرفها الجرجاني: الهجرة هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام^(٢)، "والمهاجر هو النازع عن الأمر وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضا الله تعالى، وقد ذهب بهذا الاسم أصحاب رسول الله ﷺ قبل الفتح^(٣)."

﴿وَوَهَبْنَا﴾ الواو والهاء والباء: كلمات لا ينقاس بعضها على بعض تقول: وهبت الشيء أهبه هبة وموهباً^(٤)، والهبة: في اللغة التبرع، وفي الشرع: تمليك العين بلا عوض^(٥).

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ حرف الجر (إلى) جاء بمعنى لام التعليل، وعلى هذا الوجه يفيد معنى الاستعارة التبعية، أي أن حرف الجر إلى يفيد الانتهاء المجازي إذ جعل هجرته إلى الأرض

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٤/٦).

(٢) التعريفات (ص: ٢٥٦).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٤/٤).

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس (١٤٧/٦).

(٥) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٥٦).

التي أمره الله بأن يهاجر إليها كأنها هجرة إلى ذات الله تعالى؛ فتكون (إلى) تخيلاً لاستعارة مكنية، أو جعل هجرته من المكان الذي لا يعبد أهلها الله ﷻ لطلب مكان ليس فيه مشركون بالله ﷻ كأنها هجرة إلى الله ﷻ^(١).

﴿الْكِتَابَ﴾ اللام فيه للجنس أي قصد به جنس الكتاب، حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب، والمراد التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن^(٢).

رابعاً: المعنى الإجمالي

وانتهت دعوة ابراهيم ﷺ لقومه فاراً بدينه مع ابن أخيه لوط ﷻ، وهو أول من آمن به إن لم يكن الوحيد، تاركاً الأهل والديار إلى غربة لا يعلمها إلا الله ﷻ، وما هذا إلا لأجل رب العالمين فهو نعم المولى ونعم النصير، فخرجوا من موطن الكفر والضلال باحثين عن موطن يسوده الهدى والإيمان، ويتجلى كرم الله ﷻ جلياً بأن من على إبراهيم ﷻ بالعرض الكبير فأبدله موطناً خيراً من موطنه حيث "هاجر من كوئي^(٣) إلى حران^(٤)، ثم إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة"^(٥)، ووهب له من الذرية الصالحة، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ فهو فيض من العطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد من قبله ولا من بعده، حيث أن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم ﷻ إلا كان من نسله، وكان آخرهم المصطفى محمد ﷺ الذي هو من نسل اسماعيل ﷻ ولد ابراهيم ﷻ.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٨/٢٠).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٥١/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٠/٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٧/٧).

(٣) كوئي: وهي قرية من سواد الكوفة، وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم ﷻ، (انظر: لسان العرب، (١٨١/٢).

(٤) حران: بلد بالجزيرة العربية، ومنهم فرقة الحرورية من الخوارج الذين قاتلهم علي ﷺ، وكان عندهم من التشدد في الدين ما هو معروف، (انظر: لسان العرب، (١٨٥/٤).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٣١٦/٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٦٧/٤)، الوجيز للواحي (ص: ٨٣٢)، تفسير البغوي (٥٥٤/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٠/٤)، الكشاف للزمخشري (٤٥١/٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٤/٤).

خامساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - الهجرة ليست وسيلة للراحة بل أسلوب من أساليب نشر الدعوة والمحافظة عليها

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ الهجرة شرعاً هي ترك الوطن رغبة في رضى الله ﷻ، "الهجرة في عرف الدعاة والمصلحين ليست وسيلة راحة، ولا حيلة للاستجمام من عناء طال صبرهم عليه، ولا هي فرصة للترويح عن النفس بالسير في الأرض، والاطلاع على عوالم جديدة لم تتح لهم فرصة الاطلاع عليها، ولكنها في الحقيقة عناء يضاف إلى عنائهم وجهد يتحملونه فوق طاقتهم، ووحشة تضاف إلى ما هم فيه من غربة في بلادهم" (١).

فإبراهيم عليه السلام لم يتوانى لحظة عن دعوة قومه بالإرشاد والهداية فلما وصل لمرحلة اليأس الكلي من إيمانهم وجبت المهاجرة، يقول الرازي: "لأن الهادي إذا هدى قومه ولم ينتفعوا ببقاؤه فيهم مفسدة؛ لأنه إن دام على الإرشاد كان اشتغالاً بما لا ينتفع به مع علمه فيصير كمن يقول للحجر صدق وهو عبث أو يسكت والسكوت دليل الرضا، فيقال بأنه صار منا ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجبت عليه المهاجرة" (٢)، والهجرة نوعان (٣):

أ- **هجرة بالبدن:** هي الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإيمان بالجسد، وهو شريعة قائمة وسنة ثابتة عند استعلاء المنكر وعدم القدرة على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أمثلة هذا النوع هجرة نوح عليه السلام عندما أمره الله ﷻ بالخروج مع من تبعه من قومه المؤمنين، وهجرة إبراهيم عليه السلام إلى الشام، وهجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وهجرة النبي ﷺ وصحبه من مكة إلى المدينة، والهدف من هجرة البدن هو المحافظة على الدعوة ومحاولة زرعها في تربة خصبة لنشرها على جميع الناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

ب- **هجرة القلب:** وهي هجران الكافر وأصحاب المنكر والهوى والشهوات، وذلك بترك التودد والتعاون والتناصر بينهم، لا سيما وإن كان الكافر معادياً حريباً، ولم يشرع هجرانه بالكلام لأن ذلك لا يردعه عن كفره، بخلاف المسلم العاصي فإنه قد يرتدع بهجران كلامه زجراً

(١) الهجرة النبوية دراسة وتحليل للدكتور محمد السيد الوكيل (ص: ١٦٩).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٤٧/٢٥).

(٣) انظر: رسالة ماجستير بعنوان: (الهجر في القرآن الكريم) للباحث: عمر بن عبد الحي بن شراب،

الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص (١٦-١٩).

له، مع الإشارة بأن هجرانهم لا يمنع من نصحتهم ودعوتهم للطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأمر في حق كل من الكافر والمسلم العاصي، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] أي أعرض عنهم وعن سفههم ولا تبالي.

وترى الباحثة بأنه من الجدير بالذكر القول بأن الأنبياء الذين هاجروا وتركوا ديارهم فارين بدينهم قد جمعوا بين النوعين الهجرة بالبدن والقلب، حيث أنهم بدؤوا بالهجرة القلبية، وتبعها هجرة أبدانهم فارين إلى الله ﷻ.

٢- فروا إلى الله ﷻ عند المحن والكربات

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وما أعظم هذا المعنى فروا، أي اهربوا والجنوا إلى من ملك السماوات والأرض إلى العزيز الجبار، فالفرار يكون إلى الله ﷻ بالعمل والعبادة والطاعة، نفر إليه ﷻ من كدر الدنيا وضيقها إلى صفاء الدين وسعته، ومن ذل الشهوة ومرارتها إلى عز الطاعة وحلاوتها، الفرار إلى الله فراراً إلى جنة رب العالمين. ونفر إلى الله ﷻ بعدة طرق منها الهجرة والدعاء والاستغفار، فهما وصال بين العبد وربيه في أي وقت وفي أي مكان، وخاصة في وقت المحن يلجأ العبد لربه ويستعين به، فيكون له عوناً وسنداً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

٣- التعويض الإلهي

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وفي الآية لطيفة جميلة ذكرها الرازي في تفسيره، وهي أن الله بدل جميع أحوال إبراهيم عليه السلام في الدنيا بأضدادها على النحو التالي^(١):

- لما أراد القوم تعذيبه بالنار وكان وحيداً فريداً فبدل وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته.
- ولما كان قومه وأقاربه المقربين ضالين مضلين من جملتهم آزر، أبدلهم الله ﷻ بأقارب مهتدين هادين، وهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب.

(١) انظر: مفاتيح الغيب (٤٨/٢٥).

▪ ولما كان لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية آتاه الله أجره من المال والجاه، فكثرت ماله وزاد جاهه، فأصبح يقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الأنبياء إلى يوم القيامة، فصار معروفاً بأبو الأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ فما هو هذا الأجر وهل ينقص من أجره في الآخرة؟

وذكرت كتب التفسير عدداً من الأقوال في معرفة الأجر كآلاتي: (١)

أ- قال الفراء: النبوة والكتاب في ذريته.

ب- قال ابن قتيبة والواحدي: الولد الطيب، وحسن الثناء عليه.

ت- قال الزجاج: أنه ليس من أمة من المسلمين واليهود والمجوس والنصارى إلا وهم يعظمون إبراهيم.

ث- قال محمد الطاهر بن عاشور: بنصره على أعدائه وبحسن السمعة وبث التوحيد ووفرة النسل.

ج- قال الطبري: وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا.

ح- وقيل: هو أنه رأى مكانه في الجنة.

وترى الباحثة بأن جميع الأقوال السابقة الذكر، يمكن الجمع بينها حيث لا يوجد

تعارض فكلها حاصلة في حق إبراهيم عليه السلام، وهذا الأجر الدنيوي لا ينقص من أجره في الآخرة شيئاً بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ أي مع من كمل من الصالحين في الجنة من الأنبياء، غير منتقص حظه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله.

سادساً: العبر المستفادة من الآية

١- الهجرة في سبيل الله ﷻ هي أسلوب من أساليب نشر الدعوة، وطريقة للمحافظة عليها من بغي الباغين وعدوان الطغاة.

٢- من أعظم دروس الهجرة وأجلّ عبرها أنها تعلم المؤمنين فن صناعة الأمل، الأمل في موعود الله ﷻ ونصره لعباده المؤمنين اللاجئين له وحده فقط، والأمل في مستقبل مشرق، وفي الفرج بعد الشدة، والعزة بعد الذلة، والنصر بعد الهزيمة، فما بعد اشتداد ألم المخاض إلا الولادة، وليس بعد ظلمة الليل إلا انبثاق الفجر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٣١٦/٢)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٨٨)، الوجيز للواحدي (ص: ٨٣٢)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٦٧/٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٩/٢٠)، جامع البيان للطبري (٢٧/٢٠).

مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ الشرح: ٥-٦.]

٣- السعداء يكون فرارهم إلى الله ﷻ وإلى جنته، أما الأشقياء ففرارهم منه لا إليه، لانشغالهم بأمر دنياهم الملهية وارتيكابهم المعاصي والذنوب، فالسعداء يفرون صعوداً إلى السماء، والأشقياء يفرون سقوطاً إلى الأرض.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ قال مهاجر إلى ربي ولم يقل مهاجر إلى حيث أمرني ربي، مع أن المهاجرة إلى الرب توهم الجهة فالمعنى مهاجر إلى حيث أمرني ربي ليس في الإخلاص كقوله إلى ربي (١).

٤- من خلال النظر في الآيات نستنتج أن الله ﷻ أيد رسله بالمعجزات لكي يؤمن أقوامهم، ولم يؤمن منهم سوى النذر اليسير، في المقابل نرى أن أصحاب رسول الله ﷺ، وبالأخص أبو بكر الصديق رضي الله عنه آمنوا بالنبى ﷺ من غير سماع تكلم الحصى، ولا رؤية انشقاق القمر، فله درهم ما أنور بصائرهم.

المطلب الثالث

الردية والفساد الخلقى في قوم لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿ العنكبوت: ٢٨-٣٠.]

أولاً: المناسبة

ولما كان السياق يتحدث عن الابتلاء والمحن، وخص بالذكر نماذج من الفتن التي اعترضت دعوة الإيمان في تاريخ البشرية الطويل، من لدن نوح وإبراهيم عليه السلام، تعرضت الآيات هنا لعرض التبجح بالردية والاستعلاء في قوم لوط عليه السلام، وبيان درجة الانحدار والشذوذ الجنسي مع الاستهتار بالرسول الذي اشتهروا بها (٢).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿الْفَاحِشَةُ﴾ هي الفعلة البالغة في القبح، والمقصود بها اللواط، وسمي اللواط فاحشة؛ لأنه لم يقدم عليها قبلهم من أحدٍ اشمئزاً منها في طباعهم لإفراط قبحها، حتى أقدم عليها قوم لوط

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٤٧/٢٥).

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٤٢٧/١٤)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٧٢٦).

لخبث طينتهم وقذر طباعهم^(١).

﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ أي لتأتون الرجال شهوة من دون اتیان النساء.

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ السبيل: الطريق، أي أنهم كانوا يعترضون الناس من الطرق بعملهم الخبيث، يعني اللواط ويُقال: تقطعون سبيل الولد بتعطيلكم، وقيل: يأخذون الناس من الطرق لطلب الفاحشة، ويقال: تأخذون أموالهم، وكانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم، ويتناولوا من ثمارهم ويقال: تقطعون السبيل يعني النسل^(٢).

﴿نَادِيكُمْ﴾ النادي هو "المجلس الذي يجتمع فيه الناس وهو اسم جنس لأن الأندية في المدن كثيرة"، فكانه قال وتأتون الفاحشة حيث اجتمعتم^(٣)، وزاد الزمخشري: "ولا يقال للمجلس نادٍ إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق نادياً"^(٤).

﴿النُّكْرُ﴾ هو "ما ليس فيه رضا الله ﷻ من قول أو فعل، والمعروف ضده"^(٥)، واختلف العلماء في المقصود بالمنكر الذي كانوا يأتونه على أقوال عدة منها^(٦):

- كان بعضهم يُجامع بعضاً في مجالسهم.
- وقيل الحذف^(٧).
- وقيل الصفير^(٨).
- وقيل مضغ العلك، وحلّ أزرار الأقبية والقُمص.

(١) الكشاف للزمخشري (٤٥١/٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣١٦/٢)، الوجيز للواحدى (ص: ٨٣٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٦٣١/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٥/٤).

(٤) الكشاف (٤٥٢/٣).

(٥) التعريفات، للجرجاني، (ص: ٢٣٤).

(٦) انظر: الوجيز للواحدى (ص: ٨٣٢)، معاني القرآن للفراء (٣١٦/٢)، تفسير البغوي (٥٥٥/٣)، الكشاف

للزمخشري (٤٥٢/٣)، فتح القدير للشوكاني (٢٣٢/٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٦٣١/٢)، المحرر

الوجيز لابن عطية (٣١٥/٤).

(٧) الحذف أو الخذف هو: (الرمي بحصاة أو نوى أو نحوهما، تأخذ بين سبابتك تحذف به أو بمخذفة من

خشب) وقد نهى النبي ﷺ عنه، عن ابن مَعْلٍ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وقال: (إِنَّهُ لَا يَنْكَأُ

عَدُوًّا، وَلَا يَصِيدُ صَيْدًا، وَلَكِنَّهُ يَكْسِرُ السِّنَّ، وَيَقْفَأُ الْعَيْنَ)، انظر: مسند أحمد مخرجاً (١٦٤/٣٤).

(٨) الصفير هو تصويت بالفم والشفقتين، انظر: فيض القدير للمناوي (٣١٦/٤).

- وقيل الرمي بالبندق^(١).
- وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولى به.
- وقيل إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغزمه ثلاثة دراهم.
- وقيل كان يبيزق بعضهم على بعض.
- وقيل تطريف الأصابع بالحناء واللوطية، والفرقة والسباب، والفحش في المزاح.
- وقيل كانوا يلعبون بالحمام.
- وقيل كانوا يناقرون بين الديكة، ويناطحون بين الكباش.
- وقيل: يلعبون بالنرد، والشطرنج، ويلبسون المصبغات.
- قال الطبري: "بأن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: وتحذفون في مجالسكم المارة بكم، وتسخرون منهم^(٢)."
- وترى الباحثة أنه لا مانع من أنهم كانوا يفعلون جميع هذه المنكرات أو بعضها، فكلها مقدمات للمنكر الغالب عليهم وهو اللواط، الذي انتشر بشكل فظيع بينهم، واشتهروا به بدليل قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ أي اللواط.

ثالثاً: اللطائف البيانية

- قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ " اللفظ لفظ استفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ^(٣).
- قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ﴾، ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ تأكيد الفعل باللواط بعد مؤكدات (إن واللام وتكرار الفعل تأتون) للزيادة في إبانة فُبح عملهم وتوبيخهم على فعلهم^(٤).
- قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ استعمل في الآية أداة الشرط (إن) حيث تخبر الآية بجواب قوم لوط عليه السلام على دعوته لهم على سبيل السخرية في سياق جملة شرطية تقديرها إن كنت صادقاً في دعواك، فاعتنا بعذاب الله ، للدلالة على صدق نبوتك ودعوتك.

(١) البندق: كرة بحجم البندق يرمى بها في القتال والصيد والبندقية واحدة البندق وهو ثمر شجرة تسمى كذلك كما كره أكل المقتولة بالبندقية في المدن المعمورة وكره ذلك فيها تحرزاً من إصابة الناس بخلاف الصحراء، (انظر: صحيح البخاري (٨٦/٧)).

(٢) جامع البيان (٢٨/٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٦٨/٤).

(٤) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٢٩/٢٠).

رابعاً: القراءات المتواترة

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ فيها قراءتان: (١)

• قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (٢) وحفص عن عاصم (٣) ويعقوب وأبو جعفر الآية الأولى بالإخبار والآية الثانية بالاستفهام.

▪ قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي الآيتان بالاستفهام.

▪ التوجيه: قراءة الإخبار بمعنى (إنكم تفعلون)، وتكون على وجه التعبير، حيث تفيد التقرير والتوبيخ، أما على قراءة الاستفهام بمعنى (أأنتم الذين تأتون؟)، والمعنى هنا يفيد التوبيخ والتقرير لكن بشكل أكبر ومع مزيد من الإنكار عليهم (٤).

خامساً: المعنى الإجمالي

للقرآن الكريم طريقة رائعة في عرض القصص القرآني بشكل يصور الأحداث صورة حية، ليرسخ فيها مبادئ التوحيد والإيمان، ويوضح الفضائل ومكارم الأخلاق التي يفترق إليها كثير من البشر، وكانت قصة قوم لوط عليهم السلام إحدى هذه القصص؛ لأنها تتعرض لقضية هامة جداً ألا وهي رذيلة الفحش واللواط، فقد اشتهروا بها، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ حيث لم يمارس هذه الرذيلة أحدٌ من العالمين قبلهم، فكانوا الأوائل في تفشي هذا المرض القاتل، فألقت بهم في الدرك الأسفل من الانحراف والشذوذ الجنسي، ولم يكتفوا بهذا فقط؛ بل كذبوا لوط عليه السلام في دعوته لهم للحق والتوحيد، فما كان منه إلا أن دعا ربه ليخلصه منهم قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

(١) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: ٢٨٠)، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي (٤٣١/٥).

(٢) ابن عامر: (٨-١١٨هـ) هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان بن عفان (انظر: معرفة القراء للذهبي (ص: ١٠)، غاية النهاية لابن الجزري (٤٢٣/١).

(٣) عاصم: (المتوفى ١٢٧هـ) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي الحناني، أحد القراء السبعة، وشيخ الإقراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، ومن أشهر رواته شعبة وحفص، (انظر: غاية النهاية لابن الجزري (٣٤٦/١)، معرفة القراء الكبار للذهبي (ص: ٥١).

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٦٣١/٢).

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - نفسي الرذيلة في قوم لوط عليه السلام

هاجر سيدنا لوط عليه السلام إلى بلاد سدوم التي تطل على البحر الميت في غور الأردن، بأمر الله إياه، واستوطن ديار قوم لم يكن بينه وبينهم قرابة، حيث كانوا خليطاً من الكنعانيين وممن نزل حولهم، فلما نزل بقريتهم أمره الله ﷻ بدعوتهم للتوحيد، ونهيهم عن الرذيلة والفاحشة، ومحاربة الفساد، وقطع الطريق على المازة، وإتيان المنكر، إذ كانوا قد أحدثوا من الفواحش ما لم يسبقهم إليه أحد، وابتدعوا جريمة نكراء اشتهروا بها وهي إتيان الذكور شهوة من دون النساء، قال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥] ﴿ وَتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٦] ، فكانوا أكفر الناس وأفجرهم وأخبثهم طوية وأقبحهم سيرة، حيث لا يستحون من منكر ولا يتعففون عن معصية فعلوها، فلامهم لوط عليه السلام على ما كانوا يتعاطونه من الاجتزاء على الله ﷻ، من قلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبائح أعمالهم، وارتكاب المعاصي جهاراً بين الناس، وتفاخرهم بالزلات^(١).

وترى الباحثة: أن الدعوة في قوم بهذا الوصف شبه مستحيل إن لم يكن مستحيلاً، فمن يدرك فحشهم يدرك صعوبة طريق دعوة لوط عليه السلام لهم، فهو طريق محفوف بالأشواك والعقبات الجسام، التي لا يقوى عليها بشري أياً كان إلا بقدره الله ﷻ وعونه، ولكن الله تعالى أراد أن يقيم الحجة عليهم قبل أن يهلكهم فأرسل إليهم نبيه لوط عليه السلام.

٢ - اللواط قلب لفطرة البشر

لقد اختلت المقاييس عند قوم لوط، فصار الرجال أهدافاً مرغوبة بدلاً من النساء، قال تعالى: ﴿ أَتَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ أي اللواط، فكانت هذه الفاحشة أشهر فاحشة ابتدعها قوم لوط عليه السلام، فلم يقع الشذوذ والانحراف إلى الجنس المماثل قبل قوم لوط أبداً، يقول سيد قطب: "إن الميل الجنسي المنحرف إلى الذكور بدلاً من الإناث اللاتي خلقهن الله للرجال، دليل على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها، وفساد في التركيب النفسي والتركيب العضوي سواء، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط الحياة الأكبر، وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن هذه المباشرة"^(٢)، وللتعرف أكثر على مصطلح اللواط يجب التطرق للنقاط الآتية:

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢٩/٨)، لطائف الإشارات للقشيري (٩٦/٣).

(٢) في ظلال القرآن (٢٧٣٣/٥).

أ- تعريف فاحشة اللواط

- لغة: اللواط لفظ عربي تصريفه "لَاطَ الشيء بقلبي يَلُوطُ لُوطاً وَلِيْطاً، أي: التصق بقلبي، وقولهم لُوطَ فلان إذا تعاطى فعل قوم لوط" (١)، أما اسم لوط عليه السلام فهم اسم أعجمي مثل نوح وعازر، فلا يصح أن نقول بأن اسم لوط مشتق من اللواط إذ لا يليق بمنصب الأنبياء أن يكون اسم أحدهم مشتقاً من لفظ معناه خبيث (٢).
- شرعاً: "إيلاج الحشفة أو قدرها في دبر ذكر ولو كان عبده" (٣)، أو وطء الرجل للرجل في دبره.

ب- أضرار فاحشة اللواط

- إن هذه المباشرة الشاذة التي تخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه الناس عليها، والتي لا هدف لها يُذكر، فقد شدد الإسلام في عقوبة مرتكبها لما تسببه من أضرار اجتماعية ونفسية وجسمية وأخلاقية جسيمة على الفرد والجماعة منها (٤):
- **الضرر الاجتماعي:** وهو الرغبة عن المرأة وذلك بالانصراف عنها للجنس المماثل له، وبالتالي تتعطل وظيفة الزواج التي تهدف لإيجاد النسل والتكاثر، كما تتقطع الروابط الأسرية بانقطاع المحبة والانسجام بين الزوجين بهذا المرض القاتل.
 - **الضرر النفسي:** التأثير على الأعصاب والتسبب بعدد من الأمراض النفسية، فعندما يغزو هذا الفحش نفس الرجل، فإنه يؤثر على الأعصاب تأثيراً خاصاً، ويقتل الرجولة لديه، فيقلب مزاجه للميل إلى بنى جنسه، لذلك نرى كثيراً من الشباب الساقطين يحاولون التزين وتقليد النساء في وضع المساحيق المختلفة على وجوههم، ومحاولتهم الظهور بمظهر الجمال والتنعم مثلهن، ويرجع ذلك لعدم كفاية اللواط لإشباع العاطفة الجنسية وذلك لأنها بعيدة الأصل وعن الملامسة الطبيعية للفطرة.
 - **الضرر الجسدي:** وذلك بالتأثير في المخ فيصاب اللاتط بالبله والعبط وشروذ الفكر وضياح العقل والرشاد، نتيجة لقلة الإفرازات الداخلية التي تفرزها الغدة الدرقية، والغدد فوق الكلى، وغيرها مما يتأثر باللواط تأثيراً مباشراً، فيضطرب عملها وتختل وظائفها، كما ويصاب اللاتط بعدد من الأمراض مثل ارتخاء عضلات المستقيم وتمزقه، وفقد السيطرة

(١) المفردات للأصفهاني (ص: ٧٥٠).

(٢) انظر: تاج العروس للزبيدي (٨٤/٢٠).

(٣) حاشية البجيرمي على الخطيب (١٧٦/٤).

(٤) انظر: فقه السنة لسيد سابق (٤٢٨/٢-٤٣٢) نقلاً عن كتاب "الاسلام والطب" لمحمد وصفي.

على المواد البرازية وعدم استطاعة القبض عليها، والتأثير على أعضاء التناسل حيث يعمل على القضاء على الحيوية المنوية للرجل، ويسبب مرض التيفود والدوسنتاريا، كما ويسبب مرض فقد المناعة المكتسب المعروف بالإيدز.

■ **الضرر الأخلاقي:** اللواط لوثة أخلاقية، لذلك تجد جميع من يتصفون به سيئي الخلق فاسدي الطباع، لا يكادون يميزون بين الفضائل والرذائل، ضعيفي الإرادة ليس لهم وجدان يؤنبهم ولا ضمير يردعهم، حيث لا يتحرج أحدهم عن السطو على الأطفال والصغار واستعمال العنف والشدة لإشباع عاطفته الفاسدة.

ت- حكم فاحشة اللواط

يقول الرازي: "إذا كان الزنا فاحشة مع أنه يفضي إلى وجود الولد ولكن لا يفضي إلى بقاءه، فاللواط التي لا تفضي إلى وجوده أولى بأن تكون فاحشة، والآية دالة على وجوب الحد في اللواط، لأنها مع الزنا اشتركت في كونهما فاحشة حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] ^(١)، ومن هذا القول نصل إلى حرمة هذه الجريمة، ووجوب وقوع الحد فيها كالزنا، لكن اختلف العلماء في عقوبة مرتكبها ما بين التعزير والجلد والقتل.

والراجع في المسألة هو وجوب القتل؛ لأن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول ^(٢)، واستدلوا بحديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ) ^(٣).

٣- تبجح قوم لوط في وجه إنذاره لهم

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: أنزل يا لوط علينا غضباً من ربك، وعجل لنا بعذابه إن كنت صادقاً في دعواك، وهذا القول من باب السخرية والاستهزاء بدعوة لوط ﷺ، حيث كانت دعوته قوية وجريئة، فلم يفتأ ولم يفتأ أمامهم، واستمر في نصحه وإرشاده لعلهم يستجيبوا له، لكنهم كانوا قوماً فاسدين غلب عليهم الفاحشة والمنكر، فكان تبجحهم مصحوباً بالتكذيب، فما تبقى أمام سيدنا لوط ﷺ إلا اللجوء لربه بالدعاء طالباً نصره الأخير قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ فاستجاب

(١) مفاتيح الغيب (٤٩/٢٥).

(٢) انظر: نيل الأوطار للشوكاني (١٤٠/٧)، أضواء البيان للشنقيطي، (١٩٤/٢).

(٣) سنن الترمذي، ت شاكر، باب ما جاء في حد اللوطي، (٥٧/٤)، حديث (١٤٥٦)، صححه الألباني.

له الحق تعالى، وأسدل الستار على دعائه بالنصر المبين^(١).

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله ﷻ وپرضاه.
- ٢- إن جميع الأنبياء والرسل جاءوا بكلمة واحدة وقضية واحدة وهي التوحيد الخالص لله ﷻ.
- ٣- فاحشة اللواط تحمل بين طياتها كثيراً من الخبث للروح والعقل والجسم، فليحذر المرء من خطرهما.
- ٤- يحاول الغرب بث سمومه حول العلاقات الجنسية الشاذة المختلفة مثل الزنا واللواط والسحاق والوطء في دبر المرأة، بدعوى الحرية الشخصية.
- ٥- انتشار الرذائل والفواحش والفساد الأخلاقي بين الأقوام، سبب في أن يحل بالعباد غضب الله ﷻ وسخطه.
- ٦- حذر النبي ﷺ من تشبه كلا الجنسين بالآخر، من باب الوقاية من أخطار انتشار العلاقات المحرمة لقول ابن عباس ؓ: (لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ)^(٢).
- ٧- اللواط لوثة أخلاقية، تدمر النفسيات وتهلك الشعوب وتفسد المجتمع، وتنتشر فيه أناساً مُخَنَّثِينَ بفعل أنفسهم.

المطلب الرابع

دور الملائكة في تنفيذ وعد الله ﷻ ووعيده

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٥].

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، (٣/١٩٦٠)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٥/٢٧٣٣).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة، باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ؓ (٥/٢٤٣)، حديث (٣١٥١)

حسن صحيح.

أولاً: المناسبة

تأتي هذه الآيات الكريمة استكمالاً لعرض سياق قصة قوم لوط عليهم السلام، وبيان جزاء الانحدار والشذوذ الجنسي والاستهتار بالرسول، حيث رسمت مشهد التدمير الذي أصاب القرية وأهلها بالخسف وقلب القرى رأساً على عقب.

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿بِالْبَشْرَى﴾ البشارة: "كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب"^(١).

﴿الْغَابِرِينَ﴾ أي من الباقين الذين طالت أعمارهم فبقيت ثم أهلكت، أو من الباقين في الهلاك^(٢).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي: "اغتم بقدمهم، فلا يدري أيأمرهم بالخروج أم بالنزول، ويقال: ضاق بهم القلب"^(٣)، وقال أبو السعود: "أي ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم زرعه أي طاقته، كقولهم ضاقت يده وبإزائه رَحَبَ ذَرْعُهُ بكذا إذا كان مطيقاً به قادراً عليه، وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع"^(٤).

﴿رَجْزًا﴾ أي: هلاكاً وعذاباً عظيماً شديداً من الله عز وجل عقاباً لأفعالهم الشنيعة.

ثالثاً: اللطائف البيانية:

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ "كناية عن العجز في تدبيرهم"^(٥).

﴿رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ التكرير في قوله ﴿رَجْزًا﴾ يفيد التهويل من أمر العذاب النازل بهم، أي عذاباً عظيماً شديداً^(٦).

(١) التعريفات للجرجاني (ص: ٤٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (١١٥/٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (٦٣٢/٢)، والمحزر الوجيز لابن عطية (٣١٦/٤).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٦٣٢/٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣٩/٧).

(٥) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٣٤٨/١٥).

(٦) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٢٩/٢٠).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ استعمل

في الآية أداة الشرط (لَمَّا) بمعنى حين، حيث تخبر الآية باستجابة الحق تعالى لدعوة لوط عليه السلام في سياق جملة شرطية تقديرها حينما جاءت رسلنا لتبشر إبراهيم بالولد الصالح، كان جواب الشرط أن الملائكة جاءت أيضاً لتهلك قوم لوط الفسقة بسبب غرقهم في الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ استعمل في الآية أداة

الشرط (لَمَّا) بمعنى حين، حيث تخبر الآية بمجيء الملائكة لمقابلة لوط عليه السلام في سياق جملة شرطية تقديرها حينما جاءت رسلنا لتبشر لوط بنصر الله ﷻ له وإهلاك قومه، كان جواب الشرط أن ضاق صدره خوفاً على ضيفه من قومه؛ لأنهم حسان الوجوه، فأخبره الله ﷻ أنه سيُنزل بهم بأسه وعذابه.

رابعاً: القراءات القرآنية

قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾، ﴿وَأَنَا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ﴾ فيهما قراءتان^(١):

- ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ قرأ حمزة وخلف والكسائي ويعقوب بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد.
- ﴿مُنْجِيكَ﴾ قرأ السوسي وابن عامر ونافع وحفص وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.
- التوجيه: نجى وأنجى لغتان من لغات العرب، وهما بمعن واحد، لكن قراءة التشديد من لغة (نجى)، والتخفيف من لغة (أنجى)، والعرب تقول كل زيادة في المبنى يصحبه زيادة في المعنى، وعلى ذلك فقراءة التشديد تزيد في المعنى تأكيداً وقوة على قدرة الله ﷻ في إنجاء لوط عليه السلام.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ فيها قراءتان^(٢):

- قرأ ابن عامر وحده (إنا منزلون) بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.
- التوجيه: نزل وأنزل لغتان من لغات العرب، وهما بمعنى واحد، لكن قراءة التشديد من لغة (أنزل)، والتخفيف من لغة (نزل)، وعلى ذلك فقراءة التشديد تزيد في المعنى تأكيداً لشدة إنكارهم وتضعيف عقابهم، بينما قراءة التخفيف تدل على بداية نزول

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٥٩)، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: ٢٨٠)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٥/٤٣٢).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣٤٣)، الحجة للقراء السبعة للفارسي (٥/٤٣٣).

العذاب بهم، أو يدل على أنه عذاب خفيف عليكم مقارنة بأفعالهم فأنتم تستحقون المزيد من العذاب.

خامساً: المعنى الإجمالي

وتستكمل الآيات عرضها لقصة قوم لوط عليه السلام، لتقر حقيقة هامة وهي أن الله ﷻ لا ينسى عباده المخلصين، الذين يحاربون لأجل رفع رايته، وأن لطفه وحكمته بالغة، إذ إنه بشر إبراهيم عليه السلام على لسان ملائكته الكرام ببشارتين قبل إبلاغه بإهلاك قري لوط، إذ بشره بالولد الصالح وبإنجاء لوط وأهله الصالحين، ثم أخبره بخسف القرى بمن فسق من قوم لوط عليه السلام، وذلك ليستأنس إبراهيم لقبول هذا الخبر المحزن، ولكن لم يشغله الخبر السار من جدال ربه في قوم لوط معللاً ذلك بوجود لوط فيها واحتمالية رجوع قومه عن غيهم وفسقهم، لكن الله ﷻ يعلم ما جُبلت به نفوسهم من الفساد وما تلوثت به فطرتهم من الشهوة الحيوانية، فأنزل عقابه بهم ونجا لوطاً ومن اتبعه.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١- بيان حقيقة تشكل الملائكة على هيئة البشر

الملائكة خلق من مخلوقات الله ﷻ، خلقهم من نور وسخرهم للعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦]، حيث لا يملون ولا يتعبون فهم عباد الله المكرمون، والإيمان بهم واجب وهو ركن من أركان الإيمان الستة، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ فقال رسول الله ﷺ: (الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ)^(١)، ومن ضمن الإيمان بهذه الأركان، وجوب الإيمان بأن للملائكة صفات وقدرات وهبها الله ﷻ لهم ومقصورة عليهم فقط، منها أنهم لا يوصفون بالذكر أو الأنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، وقادرون على التشكل على هيئة البشر بعدة صور مختلفة.

والآيات الكريمة تعرض لموقفين لتشكل الملائكة على هيئة البشر:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، (١٩/١)، حديث (٥٠).

الموقف الأول: مجيء الملائكة لسيدنا ابراهيم عليه السلام على هيئة أضياف

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ يقول القشيري: "حيث التبس على إبراهيم عليه السلام أمرهم فظنهم أضيافاً فتكفّف لهم تقديم العجل الحنيذ جرياً على سنته في إكرام الضيف" (١)، ولما قدم لهم الطعام أبوا ذلك؛ لأنهم لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٦٩-٧٠]، وسبب خيفة إبراهيم عليه السلام منهم؛ أنه قد اشتهر بين العرب في عدم قبول الضيوف طعام مستضيفهم دليل على إرادة الشر بصاحب البيت، لذلك أخبروه أنهم ملائكة رب العالمين وليسوا بشراً كما ظن.

الموقف الثاني: مجيء الملائكة لسيدنا لوط عليه السلام في صورة شباب حسان الوجوه

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ حيث خرجت الملائكة من عند نبي الله إبراهيم عليه السلام متوجهين نحو قرية سدوم لمقابلة لوط عليه السلام، فدخلوا عليه بصورة شبان مُرد حسان تُشرق وجوههم بنضارة الشباب والجمال، وقد اختار الله ﷻ لهم هذه الصورة لإقامة الحجة على قوم لوط، فقد اشتهروا بخبث النفوس، واتيان الرجال دون النساء.

٢ - مجيء الملائكة بالبشرى والهلاك في آن واحد

لقد تحدثنا سابقاً عن مجيء الملائكة لسيدنا ابراهيم ولوط عليه السلام على هيئة البشر، وسيكون الحديث في هذا الموضع عن سبب هذا المجيء والغرض منه حيث قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾، أي أن الملائكة جاءت بخبرين متضادين في آن واحد؛ لتبشر أشخاصاً وتهلك آخرين، يقول الرازي في ذلك: "أن الله ﷻ جعلهم مُبشرين ومُنذرين، لكن البشارة أثر الرحمة والإنذار بالإهلاك أثر الغضب، ورحمته سبقت غضبه، فقدم البشارة على الإنذار" (٢).

إذا فالغرض من هذا المجيء لسببين هما:

أ- البشرى: حيث نزلت الملائكة على أنبياء الله ﷻ تحمل لهم البشرى والخير والبركة، في ظل تلك الظروف العصيبة التي يمرون بها أثناء دعوة أقوامهم للحق، وفي وقت كان يغلب

(١) لطائف الإشارات للقشيري (٩٦/٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٥١/٢٥).

عليه الخوف حيث جاءت البشارة لهم في المواقف الآتية^(١):

■ تبشير ابراهيم عليه السلام وزوجه بالولد

بعدهما بلغ الخوف والروع مبلغه من نفس ابراهيم عليه السلام لعدم قبول أضيافه للطعام، جاءت البشارة تهزه وزوجه هزاً عميقاً، حيث بشرته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمَنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ، ولكن لم تكن هذه البشرى في مغيب العمر شيئاً بسيطاً في حياة الزوجين الشيخين، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] ، لكن إرادة الله تعالى ولطفه بعباده.

■ تبشير لوط عليه السلام بنصرته

لقد استنصر لوط ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: بإنزال العذاب على من كانوا يفسدون الناس بحملهم على فعل المعاصي والفواحش، فاستجاب له الحق تعالى، فأيده بنصره على القوم الظالمين، وذلك بإنجائه وأهله من العذاب النازل باللوطيين من قومه، إذ لم يُجدي نصحه وإرشاده لهم شيئاً، قال تعالى: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجِّوكَ وَأَهْلَكَ﴾.

ب- الإهلاك: وكما نزلت الملائكة تحمل البشرى حملت أيضاً الإنذار بالهلاك، والعذاب لقوم لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ ومعللاً ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾، فكان هلاكهم بسبب ذنوبهم، وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي^(٢).

٣- إظهار المسلم الشفقة والتحزن لأخيه المسلم

عندما أخبرت الملائكة ابراهيم عليه السلام بنيتها اهلاك قوم لوط عليه السلام أسفق لأمرهم واعترض على الملائكة قائلاً: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وهذا القول ليس إخباراً لهم لأن الملائكة تعلم ذلك ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾، بل كان جدالاً في أمرهم ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿ [هود: ٧٤-٧٥]، حيث قصد من جداله لهم نجاة سيدنا لوط من العذاب، وبراعته مما كان يفعل قومه، فكأنه يقول: كيف تهلكون أهل القرية وفيها لوط؟

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣١/٢٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٥/٤)، مدارك التنزيل وحقائق

التأويل للنسفي (٦٧٤/٢).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١٩٣/٤).

فأخبرته الملائكة بأن الأمر قد قُضي، وإن مشيئة الله تعالى قد اقتضت نفاذ الأمر وهلاك الفاسدين من قومه ونجاة عبده ونبيه لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾^(١).

يقول الزمخشري: "وإنما هو جدال في شأنه، لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم، اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم، وأراد بالجدال إظهار الشفقة عليهم، وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه، والتشمر في نصرته وحياطته، والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر"^(٢).

٤ - امرأة لوط عليه السلام مثال للزوجة الفاسدة

قال تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي من الباقين في العذاب، حيث كانت ثاني الزوجتين الخائنتين اللتين ضرب بهما المثل في الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠]، وعلى ذلك فإن الزوجة الفاسدة تتعب زوجها وتزيده هماً فوق همه، فقد ابتلى الله تعالى نبيه لوط بهذه الزوجة الفاسدة التي أرهقته طغياناً وكفراً، فلم تستجب لدعوته رغم قربها من النبي المرسل، فاستحقت عذاب الله المهين، حيث كان من الأجدر بها أن تقف بجانب زوجها أمام القوم الطغاة الفجرة، لكنها كانت عيناً لهم، وتحالفت معهم ضد لوط عليه السلام.

وترى الباحثة: وجوب حُسن اختيار الزوجة الصالحة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تَنْكُحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ)^(٣)، لأن الزوجة رأس مال الرجل، فإذا أن تكون خير معين ورفيق لزوجها على ما يكابده من هموم الدنيا، وتصل معه إلى السعادة الأبدية في الجنة، أو تكون مثل امرأة لوط عليه السلام التي أبت السعادة بجانب زوجها واختارت الكفر طريقاً ومسلماً لها.

٥ - إفراط الشهوة الحيوانية لدى اللوطيين

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ تصور هذه الآيات حال سيدنا لوط عليه السلام عندما زاره الضيوف الحسان، حيث خاف عليهم من قومه المسرفين

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٢٥/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١٩٣/٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٥/٤).

(٢) الكشاف (٤٥٢/٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكَفَاءِ فِي الدِّينِ، (٧/٧)، حديث (٥٠٩٠).

والمفرطين في إطاعة القوة الشهوية في إتيان الرجال دون النساء، فضاقت بشأنهم ويتدبير أمرهم ذرعه، وهذا وصف رائع يطلق لبيان فقدته الطاقة من احتمال هذا الأمر، فالأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلاً في العجز وعدم المقدرة؛ لأنه يعلم حُبث نفوسهم، وفساد طويتهم، وبالفعل جاء القوم يهرولون لبيت النبي طمعاً في الأضياف بلا خجل أو حياء، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٧٨]، ففاوضهم لوط للإعراض عن هذا الفُبح وهو يدافع عن ضيفه قائلاً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]، أي الجنوا للحلال، فهو أظهر وأزكى لكم، لكنهم أصروا على الفحش والبذاءة المستقرة في نفوسهم المريضة، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] (١).

٦- يشرق الفرج حال اشتداد البلاء

يقول القشيري: "إن أقرب ما يكون العبد في البلاء من الفرج إذا اشتد عليه البلاء، فعند ذلك يكون زوال البلاء؛ لأنه يصير مضطراً، والله سبحانه وعد المضطرين وشيك الاجابة" (٢)، فعندما اشتد البلاء على لوط عليه السلام في مرادته على ضيفه، أمره الله ﷻ بمغادرة هذه القرية مباشرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، فخرج لوط و معه الصالح من أهله، فارين بدينهم، ليحل بقومه انتقام الله ﷻ ولينزل العذاب الدنيوي بهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]، فكانت سنة الله في الذين ظلموا "أن أرسل جبريل عليه السلام فاقطلع فُراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، وقلبها عليهم، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبدة إلى يوم التناد" (٣)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥] أي وجعلناها علامة ودليل لكل من تسول له نفسه فعل أولئك القوم الفاسقين، ولاين الجوزي قولان في بيان الآية يُجمل فيه أقوال أغلب المفسرون (٤):

-
- (١) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٥٣/٣)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦٧٥/٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٥٢/٢٥).
- (٢) لطائف الإشارات (٩٧/٣).
- (٣) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٦).
- (٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٦/٣)، تفسير القرطبي (٣٤٣/١٣)، الكشاف للزمخشري (٤٥٣/٣)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٢٧٨/٧)، تفسير البغوي (٥٥٦/٣).

القول الأول: الآية هي الفعلة التي فعلت بهم وتحتمل ثلاث وجوه

- أنها الحجارة التي أدركتها أوائل هذه الأمة.
- الماء الأسود على وجه الأرض.
- الخبر عما صنع بهم.

القول الثاني: الآية هي القرية وتحتمل وجهان

- أنها آثار منازلهم الخربة.
- أن الآية في قريتهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقوفها أسفلها.

وترى الباحثة: أن الآية هي البحر الميت نفسه، حيث أن أوصافه لا توجد في أي بحار العالم فمذاقه مر، ولا حياة فيه للأسماك، كما ومياهه حارقة للأعين، وهو أعمق منخفض في العالم، وهذه الآية البينة حكاية شائعة لكل الناس حتى إن العلم الحديث اكتشف هذه الآية عبر الأقمار الصناعية والمعدات الحديثة للتقيب، فأثبت العلم أن هناك قرى مقلوبة على عقبها تحت البحر الميت، ليكونوا عبرة وتذكرة لمن بعدهم ممن يكتشفوا أمرهم.

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- لا يطلب الأنبياء هلاك أقوامهم إلا إذا علموا أن عدمهم خير من وجودهم، وأن المصلحة إما أن تكون فيهم حالاً، أو بسببهم مآلاً، أما هم فلا مصلحة فيهم مطلقاً، فهم ضالون في الحال وفي المآل^(١).
- ٢- إن اتباع الهوى والبعد عن الحق، وهجر الأخلاق الحميدة التي أوصانا بها اسلامنا الحنيف، من شأنه أن يقود المرء للهلاك والخسران.
- ٣- المرأة الصالحة رأس مال الرجل، فليحسن كل شخص اختيار شريكه؛ لأنه إما أن يكون سنداً له على الحق أو أن يكون معولاً يهدم به القيم والأخلاق.
- ٤- الجزاء من جنس العمل، فليحسن المرء اختيار جزاءه مسبقاً.
- ٥- يقول سيد قطب: "الخسف والإمطار بالحجارة البركانية هي المصير الطبيعي لهذه الشجرة الخبيثة التي فسدت وأنتنت، فلم تعد صالحة للإثمار ولا للحياة"^(٢).

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٥/٣٤٦).

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٧٣٤).

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف الآيات (٣٦-٤٥)

من سورة العنكبوت

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقاب الإلهي للمستكبرين من الأقسام
والقيادات

المطلب الثاني: بيت العنكبوت مثال للبيوت الواهنة

المطلب الثالث: عظمة العبرة في الخلق والعبادة

المطلب الأول

العقاب الإلهي للمستكبرين من الأقبام والقيادات

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ * وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦-٤٠].

أولاً: المناسبة

" لما ذكر تعالى قصة نوح وإبراهيم، وما فيهما من مواطن العظة والعبرة، ذكر هنا قصص الأنبياء لوط، شعيب، هود، صالح عليهم السلام على سبيل الاختصار لبيان عاقبة الله في المكذبين، وكل ذلك لتأكيد ما ورد في صدر السورة الكريمة من أن الابتلاء سنة الحياة، وأنه من السنن الكونية على مر العصور والدهور"^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿مَدْيَنَ﴾ اسم القبيلة التي بُغث إليها شعيب عليه السلام، وتقع المدينة شرق خليج العقبة، تجاه تبوك بين المدينة والشام، وكان أهلها يتاجرون مع أهل مصر ولبنان وفلسطين، بها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، لسائمة شعيب عليه السلام، قال بعضهم: أنها اسم لرجل نسبوا إليه وهو مدين بن إبراهيم عليه السلام^(٢).

﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا، والعَيْثُ أكثر ما يقال في الفساد الذي يدرك حساً^(٣).

﴿الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة العظيمة، وهي ميد الأرض بهم وتداعيتها عليهم^(٤).

﴿جَائِمِينَ﴾ "الجيم والثاء والميم أصل يدل على تجمع الشيء، والجثمان شخص الإنسان"^(٥).

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/٤٢١).

(٢) انظر: معجم البلدان للحموي (٥/٧٧).

(٣) انظر: المفردات للأصفهاني (ص: ٥٤٦).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٤/١٨٠)، الكشاف، للزمخشري (٣/٤٥٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/٣١٦).

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (١/٥٠٥).

وقوله **﴿جَائِمِينَ﴾** أي: ميتين، فأصبحوا جثوماً، بعضهم على بعض^(١).
﴿سَابِقِينَ﴾ سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقًا، والسَّبَقُ: التقدم في السير^(٢)، والمقصود بقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾** أي: "وما كانوا سابقينا بأنفسهم، فيفوتوننا، بل كنا مقتدرين عليهم"^(٣).
﴿حَاصِبًا﴾ وهي الرياح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد^(٤).
﴿الصَّيْحَةُ﴾ نوع من العذاب وهو "الصوت وسببه تموج الهواء ووصوله إلى الغشاء الذي على منفذ الأذن وهو الصماخ فيقرعه فيحس"^(٥)، ويقصد بها هنا صيحة جبريل عليه السلام.

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ ورد التعبير القرآني بلفظ كلمة **﴿أَخَاهُمْ﴾** كناية ودلالة لبيان منتهى المحبة من قبل الأنبياء لقومهم، فالعلاقة التي تجمعهم ليست مجرد أنهم أفراد قبيلة واحدة؛ بل علاقة الأخ الودود الذي يتحرق لأجل أخيه.
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ أصل الأخذ باليد، ويُستعار به في مواضع منها^(٦):

- القبول: قال تعالى: **﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾** [آل عمران: ٨١] أي قبلتم عهدي.
- التعذيب: قال تعالى: **﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾** [غافر: ٥] أي ليعذبوه، وهو المقصود به في هذا الموضع.

رابعاً: القراءات القرآنية

قوله تعالى: **﴿وَتَمُودًا﴾** فيها قراءتان:

- قرأ حمزة ويعقوب وحفص بغير تنوين **﴿وَتَمُودًا﴾** وقرأ الباقون بالتنوين **﴿وَتَمُودًا﴾**^(٧).
- التوجيه: من قرأ بدون تنوين حجته "أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، على إرادة القبيلة، ويقفون على الدال بلا ألف، ومن قرأ بالتنوين فحجته أنه مصروفاً على أنه اسم

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٤/٢٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٩/٣)، المفردات للأصفهاني (ص: ٣٩٥).

(٣) جامع البيان للطبري (٣٥/٢٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن لمعمر بن المثنى (١١٦/٢)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٨٨)، جامع البيان للطبري (٣٦/٢٠).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (٥٦/٢٥).

(٦) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٦٣٣/٢).

(٧) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢٨٩/٢).

للحي الذي نزل به العذاب"^(١).

خامساً: المعنى الإجمالي

ويستمر الخطاب الإلهي للنبي محمد ﷺ تسليّةً وتثبيتاً له على الحق، أي واذكر يا محمد الأقوام السابقة من قوم مديم وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، كيف وقد جاء لجميعهم رسل من الله ﷻ بالبينات من الآيات، حيث تضرب الآيات مثلاً للنبي ﷺ قصة سيدنا شعيب عليه السلام، وقد أرسله الله ﷻ إلى مدين قائلاً لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: اخضعوا له بالعبادة وذلوا له بالطاعة، وارجوا بعبادتكم إياه جزاء اليوم الآخر، ولا تكثرُوا في الأرض معصيةً وجحوداً به، واذكر يا محمد أيضاً كيف كان مصيرهم نتيجة كفرهم واستكبارهم، فمنهم من قال تعالى فيه: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾ أي قوم شعيب، وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي قوم عاد، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ أي قوم ثمود، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي قارون وملئه، وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ أي قوم نوح وفرعون وملئه، واعلم أن الله ﷻ لم يظلمهم، وإنهم ظلموا أنفسهم؛ لأنه قد بين لهم الحق، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي ذو بصائر فهم عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، يقول الزمخشري: "كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على أسنة الرسل عليهم السلام، ولكنهم لجوا حتى هلكوا"^(٢)، فإله ﷻ لم يظلمهم مثقال ذرة، بل هم من ظلموا أنفسهم بجحودهم واستكبارهم للحق^(٣).

وهذا التنكير بإهلاك الأمم والجبابرة لأهل مكة ولغيرهم من الكفرة؛ ليرتدعوا عما هم عليه، ولكي لا يعاملوا رسولهم محمد ﷺ كما عامل السابقون لهم رسلهم فيُعذبون كما عذبوا، فقد كان أهل مكة يمرون على مساكن المهلكين من قوم عاد وثمود خلال أسفارهم بين الحجاز واليمن فيبصرونها.

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - جميع الرسل بعقيدة واحدة

إذا تأملنا قصص الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم جميعاً، فإننا نجد أنهم أرسلوا دعاة لدعوة واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الشرك، وإن اختلفت

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد محيسن (١/٢٧٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/٤٥٤).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠/٣٤ - ٣٨).

شرائعهم، فكان قولهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، فكانت الأصل الأول في دعوة المرسلين، والغاية العظمى التي يريدون تحقيقها من لدن نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام، وإلى جانب ذلك، اهتموا بالنصح والإرشاد لأقوامهم، وإصلاح الفساد الذي اشتهر به كل قوم، ودعوتهم للتخلي بالأخلاق والفضائل، لكن كثير منهم أعرض واستكبر عن هذه الدعوة الخالدة، وما علموا أنها هي المنجية من سخط الله وعقابه.

٢- دعوة شعيب عليه السلام لقومه من أهل مدين

قال تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

وهذه الآية تدل على أن دعوة شعيب عليه السلام جمعت خصلاً ثلاثاً^(١):

أولها: الدعاء إلى التوحيد في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

ثانيها: دعاهم إلى الإيمان بالبعث بقوله تعالى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

آخرها: الدعوة إلى ترك جميع المعاصي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

ويبدو للباحثة أن هذه الخصال الثلاث للدعوة التي جاء بها شعيب عليه السلام، جاء بها

جميع المرسلين إلى أقوامهم، لكن كان لكل قوم معصية أو جرم اشتهروا به عن بقية الأقسام، مثل ما اشتهر قوم لوط عليه السلام بجريمة اللواط والفحش الأخلاقي كما أسلفنا سابقاً، كذلك اشتهر قوم شعيب عليه السلام بجريمة الفساد الاقتصادي ولعل اشتهارهم بهذه الجريمة كان سبباً في زيادة العذاب عليهم.

■ علة هلاك مدين: الفساد الاقتصادي

حاد أهل مدين عن طريق التوحيد وهاموا على وجوههم في الشرك وعبادة الأصنام،

وليس ذلك فحسب، بل عبدوا الدرهم والدينار والثروة والمال، ولو ثوا تجارتهم الرابحة وكسبهم

الوفير بالغش والبخس والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: "لا تعملوا في

الأرض بالمعاصي في نقصان الكيل والوزن فكذبوه فأوعدهم بالعذاب على نقصانهم الكيل

والوزن"^(٢)، والإفساد في الأرض قول مجمل يوضحه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥]،

لذلك حق عليهم عذاب من الله عز وجل جزاءً بما كانوا يفسدون في الأرض.

(١) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢٦/٨).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٦٣٣/٢).

٣- عقاب الأتوام المستكبرة عن عبادة الله ﷻ من جنس أفعالها

لقد حرم الله ﷻ على نفسه الظلم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، ومن ظلم الناس أنفسهم استكبارهم عن الحق واعراضهم عنه، حينها يحل بالعباد غضب الله وسخطه؛ لأنهم لم يدركوا أن الدنيا دار ابتلاء وتكليف وعمل وليست دار جزاء وتشريف وركود، وهذا ما حدث مع الأتوام الغابرة التي حل بها سخط الله ﷻ، فقد هلك قوم شعيب ولوط عليهم السلام، كما هلك قوم عاد وثمود وكذلك قارون وفرعون وهامان، ولبيان أنواع العقاب الإلهي الذي وقع على الأتوام الغابرة إليكم التفصيل الآتي:

أ- العقاب الإلهي لأهل مدين (الرجفة والصيحة)

عندما قابل أهل مدين نبيهم بالهزة والتكذيب، والإصرار على الكفر والعصيان، أهلكهم الله بالرجفة وهي الزلزلة العظيمة، التي دمرت ديارهم على من فيها من العصاة والمتجبرين، ونجا الله صالحاً ومن معه من المؤمنين، لكن نجد أن القرآن الكريم ذكر عقاب أهل مدين في موضعين:

الموضع الأول: الرجفة، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.
الموضع الثاني: الصيحة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

وللتوفيق بين الآيتين أذكر قول ابن كثير في ذلك: "جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات وصنوفاً من المثلات، وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخدمت الأصوات"^(١)، أي في العنكبوت ذكر الرجفة وهي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود ذكر الصيحة أي صيحة جبريل ﷺ فإن الصيحة هي الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها.^(٢)

ب- العقاب الإلهي لقوم عاد (الريح العاتية)

بعث الله ﷻ هوداً ﷺ لدعوة قوم عاد، حيث تمثلت دعوته في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]، وقوم عاد كانوا عرباً يسكنون الأحقاف^(٣)، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤٣٧/١).

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٩/٧)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦٧٦/٢).

(٣) الأحقاف: واد بين عمان وأرض مهرة، وهي جبال من الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر، واسم واديهم مغيث (انظر: معجم البلدان، للحموي، (١١٥/١)).

الضخام" (١)، فلما طغوا واستكبروا عن عبادة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]، وجب عليهم ما قد أوعدهم به الله من العذاب فأرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أي ريح عاتية شديدة الهبوب جداً، تحمل الحصباء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَایِةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٧]، لذلك كان نبينا محمد ﷺ إذا رأى ريحاً خاف وظهر ذلك في وجهه، أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة ؓ، قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ) (٢).

ت- العقاب الإلهي لقوم ثمود (الصيحة)

أرسل الله سيدنا صالح ﷺ إلى قوم ثمود وهم عرب من العاربة يسكنون الحجر (٣) الذي بين الحجاز وتبوك، فدعاهم مثل ما دعا هود ﷺ إلى عبادة الله وحده، فلم يستجيبوا، وزين لهم الشيطان أعمالاً سيئة، قال تعالى: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، فهموا بقتله، وقتل الناقة التي جعلها الله ﷻ حجة عليهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأهلكهم بالصيحة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ أي قوم ثمود (٤).

وتعقيباً على قصة هلاك قوم عاد وثمود، قال تعالى: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾ أي جعل الله ﷻ آثار مساكنهم وديارهم باقية حتى الآن لمن مر بتلك المنطقة ما بين الحجاز واليمن، حيث ظهر لكم يا معاشر الكفار مساكنهم بالحجر، والأحقاف تذكرة وعبرة لكل من أعرض عن عبادة ربه لعلكم تتعظون بها، وتنفكرون فيها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفْلاً تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] (٥).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٨٢/١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، (٦١٦/٢)، حديث (٨٩٩).

(٣) الحجر: اسم ديار ثمود وهي بوادي القرى بين المدينة والشام، وهي قرية صغيرة قليلة السكان، نحت أهلها بيوتهم في الجبال المحيطة، قال تعالى: ﴿وَتَتَّحِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩]، وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. (انظر: معجم البلدان، للحموي، (٢٢١/٢).

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٤/١).

(٥) انظر: فتح القدير للشوكاني (٢٣٤/٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦٧٦/٢).

ث- العقاب الإلهي لقوم لوط عليه السلام (الريح الحاصب)

وأرسل الله ﷻ لوط عليه السلام إلى قرية سدوم^(١) المظلة على البحر الميت كما أسلفنا فيما سبق، التي اشتهر أهلها بجريمة اللواط والفحش الأخلاقي فكان عقابهم كما قال تعالى فيهم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: "ريحا تأتي بالحصباء، وهي الحصى الصغار فترجمهم بها، وهم قوم لوط"^(٢)، إضافة إلى خسف الأرض بهم وجعل عاليها سافلها.

ج- العقاب الإلهي لقوم نوح عليه السلام (الغرق بالطوفان)

بعث الله تعالى نوح عليه السلام لدعوة قومه عبدة الأصنام والطواغيت، فأبوا واستكبروا عن الحق فنزل بهم عذاب الله جزاء كفرهم وكان نصيبهم الغرق بالطوفان العارم الذي أهلك ﷻ ظالم وكافر منهم قال تعالى، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ أي قوم نوح.

ويبدو للباحثة أن عقاب الله ﷻ لهؤلاء الأقسام جاء بما يناسبهم من ألوان كفرهم، حيث تعدد أسباب هلاكهم لكن كان مصيرهم واحد، ما بين الريح العاصفة كقوم عاد التي دمرتهم، إذ كانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، فعصفت بهم الرياح العاتية واقتلعت بيوتهم من جذورها كما يُقتلع النبات، ومن كان مصيره الصيحة أو الرّجفة كقوم ثمود وقوم مدين، فكان هذا مقابل زلزلتهم بموازين الحياة والتجارة واضطراب نفوسهم وتعلقها بمصالحهم فقط، وأما الريح الحاصب مع القلب من نصيب قوم لوط؛ لأنهم قلبوا الفطرة البشرية عن موازينها الأصلية بفاحشة اللواط، ورجموا بحجارة السجيل كناية عن حد الرجم في جريمة الزنا، وإن تحدثنا عن الغرق لقوم نوح، فهذا جزاء من غرق بذنوبه واعترض دعوة نبي بلغت مئات السنين، إذن كل عقوبة تطابق ألوان الظلم الصادرة من أصحابها.

٤- العقاب الإلهي للقيادات الضالة (قارون وفرعون وهامان)

حذر القرآن من اتباع من فسدت فطرتهم وتلوثت طباعهم، وانتهجوا نهج الفساد والظلم والاستكبار في الأرض أمثال قارون الغني المترف وفي نفس الوقت الظالم الجاحد للحق: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ، وأمثال فرعون ووزيره هامان فكانا طواغيت الأرض في زمن موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

(١) سدوم: هي مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم. (انظر: معجم البلدان (٣/٢٠٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٣٤).

حيث قال تعالى في رؤوس الطغيان والبغي في مصر: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ أي: أرسل الله ﷺ موسى بالمعجزات والآيات الواضحة، كالعصا التي تتقلب حيّة عظيمة، واليد التي يدخلها في فتحة قميصه، فتصير ذات إشعاع كالشمس أو القمر، لكن استكبروا وجحدوا وأصروا على كفرهم، فلم يكونوا مفلتين من عذاب الله وأخذه، ولا قادرين على الهرب من عقابه الذي حل بهم، بل أدركهم بطشه، وصاروا عبرة لغيرهم، حيث كان مصير قارون الخسف قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي شققنا الأرض فابتلعتهم ولم يُبقَ منهم أحداً، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ أي أغرقنا الطاغية فرعون ووزيره الماكر هامان في البحر الأحمر، وأبقى جثة فرعون ليكون عبرة وتذكرة لمن طغى وتجبر.^(١)

وترى الباحثة أن خلاصة هذا المطلب يتمثل في القول الدارج (من أعمالكم سُلط عليكم)، فانتشار البلايا والمصائب بالأمم والشعوب، ناتج عن أعمالهم السيئة والبذينة وارتكابهم المعاصي والذنوب بأنواعها، فمن الاستحالة بمكان أن نشاهد بلية في هذا العصر في قوم أو أمة ما، إلا وكان من سوء عملها، فمثلاً أكثر ما تكون الزلازل والبراكين إلا في بلاد عُباد البقر والفئران والنار وهي بلاد شرق آسيا اليابان والصين، فأغلب سكانها من البوذيين والمعتقدين بالديانة الكنفوشيوسية، الذين لا يوحدون الله ﷻ قيد أنملة، وأضرب مثلاً آخر ما حدث من زلزال تسونامي في أندونيسيا عام ٢٠٠٤ للميلاد، فقد يقول البعض أنها بلد اسلامي، لكن للأسف أنهم متأسلمون لا مسلمون، فقد كانوا يرتكبون المعاصي على الشواطئ من الإباحية وانتشار الزنا والخمر والمحرمات، حيث فقد الآلاف من سكان تلك البلاد حياتهم إضافة إلى الآلاف من السياح الأجانب الذين كانوا يحتفلون بأعياد رأس السنة الميلادية، وهم من أَرادوا بتلك البلاد فساداً، فكان لهم ذات المصير من الهلاك الدنيوي.

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- الدنيا دار ابتلاء وتكليف وعمل وليست دار جزاء وتشريف وركود.
- ٢- ذكر قصص الأنبياء متتالية، دليل على أنها منسوجة بعضها على منوال بعض، حيث أنهم سلكوا ذات المسلك في الكفر والطغيان، ولم يقبلوا النصح والإرشاد، فكان هلاكهم نتيجة حتمية مترتبة على كفرهم، كما في ذلك إمضاء لسنة الله ﷻ في نصره الضعفاء وقهر الظالمين.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٧/٢٠)، التفسير الوسيط للزحيلي (١٩٦٤/٣).

٣- لقد حصل العذاب بالعناصر الأربعة التي رُكب منها الإنسان، وكان بها قوامه وبسببها بقاءه ودوامه وهي الإغراق بالماء والخسف بالتراب، والصيحة بالهواء والحاصب بحجارة من نار^(١).

٤- ترك الله ﷻ لآثار منازل عاد وثمود الخرية حتى الآن للعبرة والعظة لمن يتأمل من العقلاء بمصير الظالمين ومآل الكافرين في الدنيا.

المطلب الثاني

بيت العنكبوت مثال للبيوت الواهنة

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣].

أولاً: المناسبة

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة، أحوال الأمم الغابرة والقيادات الضالة الفاسدة وما حل بهم من شتى ألوان العذاب، حيث إن الله ﷻ أهلك من أشرك به عاجلاً وعذب من كذب آجلاً، حيث لم ينفعهم في معبودهم الذي عبدوه من دون الله تعالى، ولم يدفع عنهم العذاب ولم ينصرهم، فضرب مثل اتخاذهم الأصنام معبودات ونصراء، كمثل اتخاذ العنكبوت بيتاً لا يجير أويماً ولا يريح ثاويماً^(٢).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿أَوْلِيَاءَ﴾ الولاية: تولي الأمر والنصرة، " ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد"^(٣).

﴿الْعَنْكَبُوتِ﴾ العنكبوت هي " الدويبة المعروفة التي تَنْسُجُ نَسْجًا رَقِيقًا مَهْلَهلاً بَيْنَ الْهَوَاءِ، ويجمع عناكيب وعناكب وَعَكَابٌ وَعَكُوبٌ وَأَعْكَبٌ، وتصغيرها عُنَيْكِبٌ"^(٤).

﴿أَوْهَنَ﴾ الوهن: "الضعف في العمل والأمر"^(٥).

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٧/٢٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٧/٢٥).

(٣) المفردات للأصفهاني (ص: ٨٨٥).

(٤) تفسير القرطبي (٣٤٦/١٣).

(٥) لسان العرب لابن منظور (٤٥٣/١٣).

ثالثاً: اللطائف البيانية

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ تشبيه تمثيلي، حيث شبه حال الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم جميع أمورهم واتخاذهم أولياء من دون الله ﷻ، بحال العنكبوت الذي اتخذ بيتاً ليحميه، ووجه الشبه الضعف والوهن، "حيث إن بيت العنكبوت أو هن البيوت؛ لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف ولا يمسك على أهون دفع، كذلك الكافر لا أصل لشأنه، ولا أساس لبنياته"^(١).

﴿مَا يَدْعُونَ﴾ ما استفهامية، "تفيد التقرير على جهة التوبيخ على هذا المعبود الذي يدعون من دون الله ﷻ"^(٢).

رابعاً: القراءات القرآنية

﴿مَا يَدْعُونَ﴾ فيها قراءتان^(٣):

- قرأ أبو عمرو وعاصم بالياء، وقرأ الباقون بالتاء.
- التوجيه: قراءة الياء تفيد المغايبية، وقراءة التاء تفيد المخاطبة، يعني: قل لهم يا محمد أن الله يعلم ما تدعون من دونه.

خامساً: المعنى الإجمالي

تصور الآيات حقيقة القوى في هذا الوجود تصويراً عجبياً، حيث تتمثل هذه الحقيقة في انخداع الناس لقوة المال أو الحكم والسلطان، فيجرون وراءها ويتهافتون عليها كما يتهافت الفراش على المصباح، وينسون أن هناك قوة واحدة تملك الكون بما فيه، يجب الالتجاء إليه والتمسك به، ألا وهي قوة الملك الجبار فلا حماية إلا حمايته^(٤)، حيث ضرب الله ﷻ مثلاً لهؤلاء المتهافتين على القوى البشرية في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ أي مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت يحتمي ببيته الواهن الضعيف الذي لا ينفعه من شدة ضعفه،

(١) لطائف الإشارات للقشيري (٩٧/٣).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٨/٤).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٦٣٤/٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٨/٤)، تفسير القرطبي (٣٤٦/١٣).

(٤) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٧٣٦/٥).

وقلة حمايته لنفسه، ويضرب الله هذا المثل وغيره من الأمثال الكثيرة في كتابه العزيز؛ لكي يتعقل ويتدبر أصحاب العقول النيرة، ويصلوا إلى الصواب والحق^(١).

سادساً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - المثل في القرآن الكريم

إن ضرب المثل في القرآن له أثر بالغ حيث يؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل، مما يُصور الأحداث والأحوال بصور وحقائق قريبة للأذهان تجعل السامع لها يدرك حقيقة الأمر ومبتغاه، وللتعرف أكثر على المثل القرآني من خلال النقاط التالية:

أ- تعريفه: المثل والنظير "وهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره"^(٢).

ب- أنواع المثل القرآني^(٣).

■ الأمثال المصراحة: ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

■ الأمثال الكامنة: هي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] ، للدلالة على معنى (خير الأمور الوسط).

■ الأمثال المرسلة: هي جمل أرسلت إرسالاً من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، مثل قوله تعالى: ﴿ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣].

وتبين الباحثة من خلال التفصيل السابق أن ضرب المثل ببيت العنكبوت في الآية الكريمة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ من قبيل الأمثال الصريحة التي صُرح فيها بلفظ المثل.

٢ - تشبيه حال عبدة الأصنام بحال بيت العنكبوت

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ والعنكبوت هي دويبة

كثيرة القوائم، تغزل بيتها، وفي الحقيقة هي عبارة عن حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٩/٢٠-٤٠).

(٢) المفردات للأصفهاني (ص: ٧٥٩).

(٣) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٩٣-٢٩٦).

من تكوينها الرخو ولا وقاية لها من بيتها الواهن، حيث إن بيتها لا بيت أضعف منه، فلا يقي من حر الصيف ولا برد الشتاء، ولا يستر ولا يحجب، والآية تضمنت تشبيه حال الكفار بحال العنكبوت، فإن أكثر مكان تتواجد فيه بيوت العنكبوت هي الزوايا من الجدران كي تختبأ عن الأنظار، كذلك الكافر بنى أمره على الفساد والكتمان وعبادة الشياطين والأهواء، فلما أن وقعت الحاجة إليهم لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم إياها واتخاذهم آلهة؛ بل في بيت العنكبوت للعنكبوت شيء من المنفعة، وليس لهم من أولئك الأولياء شيء مما كانوا يأملون، فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة، فأولياءهم لم ينفعوهم، ولم يرزقوهم ولم يدفعوا عنهم ضرراً أو بلاء^(١)، ويقول الرازي في الحكمة من ضرب هذا المثل على وجه الخصوص من بين سائر الأمثال التالي^(٢):

أ- أن من صفات البيت على أقل تقدير أن يكون له حائط حائل يمنع من البرد و سقف مظل يدفع عنه الحر، إن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء، وبيت العنكبوت أشبه بذلك، وكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء شيئاً من معاني الولاية والنصرة.

ب- بيت العنكبوت يوصف بعدم الثبات، فلو دام في زاوية من زوايا البيت ونسج على نفسه متخذاً هذه الزاوية بيتاً له، فما يلبث أن يتبعه صاحب البيت بتطهير الزاوية بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت، وكذلك الكافر عند اتخاذه للأولياء فإنه يستحق بسبب ذلك العذاب الأليم.

ت- بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثوراً، وكذلك أعمالهم للأوثان، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وتضيف الباحثة: أن أنثى العنكبوت عندما يُلْقِحها ذكرها تنقض عليه وتأكله، وبذلك يضعف البيت وينهار بمقتل سيده القائم عليه وتخلي زوجته عنه، وكذلك الكفار تتخلى عنهم آلهتهم ولا تنفعهم في شيء؛ بل ضرر عبادتها يلازمهم دنيا وآخرة.

٣- بيان فضيلة التعقل بضرب المثل

ضرب الله ﷻ الأمثال للناس عامة؛ لتقريب ما يبعد عن الأوهام، ولكشف ما استتر من الأشياء على الأفهام وتجليها عما خفيت، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى

(١) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢٩/٨)، معاني القرآن وإعرايه للزجاج (١٦٩/٤)، معاني القرآن

للغراء (٣١٧/٢)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٢٧٩/٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٧/٢٥).

المعاني المحتجبة في الأستار، و تؤثر في النفس تأثيراً مثل تأثير الدليل، فيشترك الجميع في سماعها؛ لكن لا يصغى إليها من كان في قلبه نفور، أو كان كنود الحال، لذلك قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: ما ينتفع بما يعقل إلا العالم، فأما من لم ينتفع فلا يعقل أبداً، وما يعقلها إلا خاصته^(١)، وقد كان الجهلة من قريش يهزؤون من ضرب القرآن المثل بالذباب والبعوض والعنكبوت، فذلك قال وما يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا العاقلون منكم^(٢).

سابعاً: العبر المستفادة من الآية

- ١- "الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم".^(٣)
- ٢- إن عبادة الأصنام والأوثان فارغة المحتوى، لا مضمون فيها، ولا هدف لها، وهي مثل بيت العنكبوت في عدم نفعها.
- ٣- الأمثال القرآنية عظيمة التأثير، وذات مدلولات تربوية عميقة.
- ٤- لا يجب الاستحقار من أي مخلوق خلقه تعالى، فقد يكون خيراً من كثير من البشر.
- ٥- قد يلتصق ببيت العنكبوت عددٌ من الحشرات الضارة فيُعد منفعة منه ولو كانت بسيطة، مقارنة بأولئك الكفرة الذين لا تجد لهم أدنى منفعة.

المطلب الثالث

عظمة العبرة في الخلق والعبادة

قال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ * ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٤-٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٤-٤٥].

أولاً: المناسبة

في الآيات السابقة تجلّى الأسلوب القرآني بضرب المثل لتقريب الصورة للأذهان في صورة الحس والمشاهد، وفي هذه الآيات يتجلّى الأسلوب القرآني بعقد المقارنة والموازنة بين

(١) انظر: لطائف الإشارات للقشيري (٩٨/٣)، تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٠/٨).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٥٥/٣).

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٩٧).

الأشياء ليظهر الحق، ويبطل الباطل ومنها خلق السموات والأرض وما فيها من جمال وعظمة، مما يرشد إلى حقارة الأوثان المعبودة من دون الله ﷻ^(١).

ثانياً: المفردات القرآنية

﴿الصَّلَاةُ﴾ هي الدعاء، وفي الشرع "عبارة عن أركان مخصوصة، وأذكار معلومة، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة"^(٢)، وهي ذكر الله بأقوال وأفعال مخصوصة تبدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم.

﴿الْفَحْشَاءُ﴾ "هو ما ينفر عنه الطبع السليم، ويستنقصه العقل المستقيم"^(٣).

﴿الْمُنْكَرُ﴾ "كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة"^(٤).

ثالثاً: المعنى الإجمالي

يحث الله ﷻ عباده على التفكير والتدبر في مخلوقاته وبالأخص خلق السموات والأرض؛ لأن في خلقهما مدلولات عظيمة وآيات جليلة لا تخفى على المتفكرين، مما ترشد الإنسان الحائر إلى العقيدة الحقة والإيمان الصائب، وإلى العبادة الصحيحة، ثم يخاطب نبيه محمد ﷺ ويخص بهذا الخطاب أمته، حيث أمره تعالى بالنفوذ لأمره في تنفيذ عباداته التي شرعها لهم وذلك بتلاوة القرآن الكريم الموحى على نبيه، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، وإقامة الصلاة أي إدامتها والقيام بحدودها لما لها من أهمية عظيمة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ لأنها تنهى المسلم عن الفحشاء والمنكر، والفحشاء كل قبيح من الأفعال، والمنكر كل ما ينكره الشرع، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: لذكر الله إياكم بالثواب خير من ذكركم إياه إذا انتهيتم^(٥).

(١) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (١٩٦٨/٣).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ١٣٤).

(٣) المرجع السابق (ص: ١٦٥).

(٤) المفردات للأصفهاني (ص: ٨٢٣).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (١٨٣/٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣١٩/٤).

رابعاً: تحقيق الهدف والمقصد من الآيات

١ - عظمة العبرة من خلق السموات والأرض

إن التأمل في هذا الكون الرحب، وما فيه من مخلوقات الله ﷻ العظيمة لعبرة وآية؛ لأن من بديع صنع الله ﷻ، وجليل قدرته، وتفردته بالإيجاد، الذي يوجب على العباد توحيده وعبادته، أنه خلق السموات والأرض بنظام في غاية الدقة والاتقان، لا يتخلف ولا يصدم بعضه بعضاً، لا اعوجاج فيه يُذكر فهو على نسق واحد، قال تعالى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أن في خلقهما دلالة على الحق والوحدانية النامة لله تعالى، فتزداد العقيدة تأصلاً وتألّفاً وثباتاً بهذا النظام البديع، وبالتالي يكون خلق السموات والأرض معرضاً للابتلاء، أي ليبتلى الله ﷻ عباده بالاعتبار والتفكير والاستدلال على كمال قدرته ، وعلى البعث والجزاء ، فيرى أيهم أحسن عملاً فيما أمر به ونهي عنه ، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته^(١) .

٢ - عظمة البيان التشريعي

إن الدين الإسلامي دين شامل وكامل، جاء بما يخدم العباد ويَعْمُرُ البلاد، ويهدي إلى الحق، ومن عظمة هذا الدين تشريع عدداً من العبادات والقربات والصلوات بين العبد وربه والتي منها تلاوة القرآن، والصلوة وذكر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ولتفصيل الآية إليكم الآتي:

أ - فضل تلاوة القرآن الكريم

جعل الله ﷻ القرآن إماماً ونوراً، وهدى ورحمة، وشفاء لما في الصدور، كما وحثنا ديننا الحنيف على تلاوته آناء الليل والنهار، ولقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي^(٢) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)^(٣)؛ ولأن تلاوة القرآن من أجل العبادات وأعظم القربات إلى الله ﷻ أمر الله ﷻ نبيه

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/٥٥٨)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/٢٧٣٧).

(٢) أبو أمامة الباهلي: هو الصدي بن عجلان بن الحارث وهو سهم من باهلة، لذلك غلبت عليه كنيته، سكن حمص من الشام، كان من المكثرين في الرواية عن الرسول، توفي سنة إحدى وثمانين للهجرة، وكان من آخر من مات بالشام من الصحابة (انظر: أسد الغابة لابن الجزري (٣/١٥)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤١١)).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (١/٥٥٣)، حديث (٨٠٤).

المصطفى بتلاوته ومن فالأمر يكون تبعاً لأتباع النبي قال تعالى: ﴿وَأْتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

ب- الصلاة هي الترجمة العملية للإيمان بالله ﷻ

الصلاة صلة بين العبد وربّه، وهي عماد الإسلام وأحد أركانه العظام، وآخر ما يُفقد من هذا الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، لذلك أمرنا بها ﷻ في أكثر من موضع في كتابنا الحنيف، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فالصلاة تنهى وتزجر عن معاصي الله ﷻ، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً، وفي هذه الآية تزيين للانصراف عن أعمال الفحشاء والمنكر، وذلك بالإخلاص في الصلاة؛ لأنها تشتمل على أفعال وأذكار خاصة، تجعل المرء يعيش واقعاً آخر إن صح إخلاصه، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: أد صلاة الفريضة في مواقيتها بركوعها وسجودها والتضرع بعدها^(١)، ويصف الزمخشري الصلاة الخاشعة الناهية عن فواحش الأعمال بقوله: "كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقى، وأصلى بين الخوف والرجاء، ثم يحوطها بعد أن يصلحها فلا يحبطها، فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر"^(٢).

ت- الإقبال على الذكر النافع

إن ذكر الله تعالى من باب إفاضة الهدى ونور العلم على العبد، وقد دعانا اسلامنا إلى ترطيب ألسنتنا بذكر الله ﷻ على الدوام؛ لأن بذكره تهدأ النفس وتطمئن، فالذكر يُعين على النشاط ويُذهب وساوس الشيطان، كما ويُعد سبباً في تفريج الكربات، قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَذِكُرُّ اللَّهَ أَكْبَرُ﴾ اختلاف لأهل التأويل على أقوال منها:^(٣)

أ- ولذكر الله إياكم إذا ذكرتموه أكبر وأفضل من ذكركم إياه؛ لأن ذكره قديم وذكر الخلق حادث.

ب- النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الانتهاء عنهما.

(١) انظر: تفسير التستري (ص: ١٢٠)، أحكام القرآن للجصاص (٢١٧/٥).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤٥٦/٣).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري، (٤٠/٢٠)، معاني القرآن وإعرايه للزجاج (١٧٠/٤)، لطائف الإشارات للقشيري (٩٩/٣).

ت- ذكر الله أفضل من الاشتغال بغيره من سائر العبادات.

ث- ذكر الله ﷻ هو التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة.

ج- ذكره الله لك بالسعادة أكبر من ذكرك له بالعبادة.

ح- ذكر الله أكبر من أن تبقى معه وحشة.

خ- ذكر الله أكبر من أن يبقى للذاكر معه ذكر مخلوق أو أن يبقى للزلة معلوماً أو مرسوماً.

الراجح: ويبدو أن الراجح هو الجمع بين كل هذه الأقوال على الإطلاق ؛ لأنها لا تخرج عن إطار أعمال البر والإيمان بالله ﷻ، وتقدير القول على ذلك الجمع يكون ولذكر الله بالتسبيح والتكبير في الصلاة وغيرها من سائر العبادات وذكر نهيه عن الفحشاء والمنكر ووعيده عليهما أكبر وأعظم وأفضل من أي عمل آخر.

سادساً: العبر المستفادة من الآية

- ١- التفكير في مخلوقات الله ﷻ توصل العبد إلى العقيدة السمحة على نهج الفطرة الخالصة.
- ٢- إن في قراءة القرآن فضلاً عظيماً، فكيف بمن يُعلم القرآن ويشق طريق الأجر والثواب، فيعلم غيره من الأطفال والصبيان كيفية تلاوته، وطريقة حفظه.
- ٣- الخشوع في الصلاة يعنى حضور القلب والاتصال بالله ﷻ، والتوجه إليه.
- ٤- ذكر الله نعمة كبرى، ومنحة عظيمة، وبه تُجلب النعم، وتُدفع النقم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد ﷺ خاتم النبوة والرسالات، أحمدته ﷺ أولاً وأخيراً أن أعاني ووفقني إلى إتمام هذه الرسالة، والوصول إلى خاتمتها بعد دراسةٍ وتمعنٍ عميقٍ لاستنباط واستخلاص المقاصد والأهداف من آيات الحزب الأربعين للقرآن الكريم، سائلةً المولى ﷺ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به الإسلام والمسلمين.

وهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة إليها من خلال البحث:

أولاً: النتائج:

- ١- إن علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله ﷻ فهماً صحيحاً من خلال استنباط المعاني والأهداف وتدبرها، والوصول إلى معرفة الحق في تفسير كتاب الله ﷻ وتكون السورة معه كالبناء المرصوص.
- ٢- معرفة علم المناسبات بين السور القرآنية يعمل على تقوية الارتباط بين آيات الكتاب الحكيم ويُظهر أسرار ترتيب سوره وآياته فتكون لحمةً واحدةً يجمعها معنى واحد.
- ٣- منهج القرآن الكريم منهج شامل ومتكامل في عرضه للقضايا المحورية الهامة مثل القضايا العقدية والأحكام والأخلاق والقصص، والتي تدور جميعها حول مسألة الدعوة لدين الله ﷻ.
- ٤- اشتملت سورة القصص على مواضيع فرعية، لكنها تتبع من محور واحد وهو المحور الرئيس للسورة (الصراع بين الحق والباطل) حيث اشتمل على أمثلة ثلاث تمثلت في الآتي:
 - أ- قصة موسى عليه السلام الذي يمثل جانب الحق، مقابل فرعون وجنوده الذين يمثلون جانب الباطل.
 - ب- قصة النبي محمد ﷺ والمؤمنين المستضعفين الذين مثلوا جانب الحق، في مقابل قريش ومن تحالفوا معهم من اليهود الذين مثلوا جانب الباطل.
 - ت- قصة بني اسرائيل الذين يمثلون جانب الحق، مقابل قارون وجنوده الذين يمثلون جانب الباطل.
- ٥- اشتملت سورة العنكبوت على مسألة خطيرة جداً تمثلت في اقتران الإيمان بالفتنة، وكيفية الثبات على الدين مع المثابرة في إنكار المنكر والأمر بالمعروف.
- ٦- الإيمان ليس كلمة تقال باللسان، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق

- هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره، وهذا هو درب الدعاة والمرسلين.
- ٧- إن سوق القصص القرآني في سورتي القصص والعنكبوت يكون للعبرة والموعظة؛ ليعلم المشركون أن سنة الله ﷻ في معاملته للأمم المكذبة لرسالتها بالعقاب الدنيوي والعذاب الأليم في الآخرة .
- ٨- إن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء؛ لذلك ابتلوا بأشد الفتن والمحن فكانوا أصبر المبطلين وأحلم الداعين إلى عبادة التوحيد.
- ٩- الله ﷻ عادل في خلقه، حيث لا ينزل العقاب إلا بعد البيان، ولا ينذر بالهلاك إلا بعد الظلم والجور.
- ١٠- استخدام القرآن الكريم لأسلوب المقارنة بين الأضداد والمفاضلة بينها كما في عرضه للمقارنة بين متاع الدنيا الفاني ومتاع الآخرة السرمدي.
- ١١- التفكير يكون في مخلوقات الله ﷻ، لا في ذاته؛ لأن ظواهر الحياة ومخلوقاتنا دليل على وجود الخالق، أما التفكير في الذات بداية الهلاك.
- ١٢- الماديون موجودون في كل عصر، وهم الذين ينبهرون بسطحيات الأمور ويُعجبون بالمظاهر الخداعة، ويتهافتون عليها مثل شخصية قارون الطاغية المتجددة.

ثانياً: التوصيات:

- استناداً إلى ما تم التوصل إليه من نتائج في هذه الدراسة فإن الباحثة نوصي بالآتي:
- ١- القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز، فعلى جميع الجهات المختصة بالبحث العلمي العمل على تحفيز الدارسين وطلاب العلم للبحث فيه، و اكتشاف كنوزه.
- ٢- تأهيل الكادر العلمي في العلوم الشرعية وبالأخص علوم القرآن الكريم وتفسيره؛ ليكون هذا الكادر أكثر خبرة وقدرة على التمكن من نشر هذه العلوم بين شرائح المجتمع.
- ٣- ضرورة اهتمام الدعاة والمصلحين بمثل هذه الدراسات المختصة باستنباط المقاصد والهدايات ونشرها بين الناس من على المنابر وفي الدروس والمواعظ، وحبذا لو كان باستخدام الأساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة، أو عمل كتيبات صغيرة تحمل بين طياتها بعض الأهداف والمقاصد بشكل يناسب الجميع.
- ٤- الاستمسك بحبل الإسلام، وجعله منهج حياة كما أراده الله ﷻ؛ لأن به تتمثل السعادة الحقيقية، بدليل إفلاس الحضارة الغربية في تحقيق السعادة البشرية رغم تقدمها في العلوم المادية والإبداعات التكنولوجية.

٥- وأخيراً أوصي نفسي وأخواتي وجميع القراء بتقوى الله ﷻ، والعمل على مرضاته، والثبات على طريق الحق، واتباع هدي المصطفى.

وفي النهاية: لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأبي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلني أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأخيراً ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب، فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت قد أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله ﷻ.

ولا نزيد على ما قاله العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".^(١)

فأسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يحب ويرضاه، وأن ينال هذا البحث الموجز والمختصر على رضا واستحسان القراء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، فهو نعم المولى ونعم النصير

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (٤٢/١).

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام

رابعاً: فهرس البلاد

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

سادساً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة			
١.	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ...﴾	١٧	١٨٦
٢.	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمُ وَآغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	٥٠	١٥٤
٣.	﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾	٦٨	١٨٦
٤.	﴿مُسْلِمَةٌ لَا شَيْبَةَ فِيهَا﴾	٧١	٣٠
٥.	﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	١٠٥	٣٤
٦.	﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	١١٧	٨٢
٧.	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	٧٨
٨.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	١٥٣	٤٠
٩.	﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾	١٥٥	١٨
١٠.	﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٥-١٥٦	٣٨
١١.	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾	١٦٢	٦٧
١٢.	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ...﴾	١٨٦	١٥٨
١٣.	﴿يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾	٢٠٥	١٠٩

٣٥	٢١٧	﴿ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾	١٤.
٧٨	٢٣٥	﴿ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾	١٥.
١٣٠	٢٥٦	﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾	١٦.
١٠٧	٢٦١	﴿ مَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	١٧.
٨٣	٢٨١	﴿ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	١٨.
سورة آل عمران			
٥٩	٧	﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾	١٩.
٦٦	١٥	﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾	٢٠.
٣٣	١٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	٢١.
١٢	٦٢	﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾	٢٢.
٣٣	٦٧	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	٢٣.
٩٠	٧٧	﴿ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾	٢٤.
٣٤	٧٨	﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ... ﴾	٢٥.
٣	٧٩	﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٢٦.
١٧٩	٨١	﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾	٢٧.
٣٣	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٢٨.
٣٩	١٢٠	﴿ إِنْ تَسْتَكْسِبُوا حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ... ﴾	٢٩.

٤٢	١٣٩ - ١٤٠	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ... ﴾	٣٠.
١٢٤	١٤١	﴿ وَلِيَمَّحَصِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾	٣١.
٨١، ١٤٨	١٩٠	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾	٣٢.
٤٠	٢٠٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾	٣٣.
سورة النساء			
٧٨	١	﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	٣٤.
٩٢	٣٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾	٣٥.
٩٢، ٨٩	٤١	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾	٣٦.
٤٦	٨٦	﴿ وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾	٣٧.
٧٥	٨٩	﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾	٣٨.
١٥٨	١٠٠	﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا... ﴾	٣٩.
٧٣	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ... ﴾	٤٠.
٦٨	١٤٥	﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴾	٤١.
٧٦	١٦٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾	٤٢.
سورة المائدة			
١١٢	٥٦	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	٤٣.
٣٣	٧٢	﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾	٤٤.

سورة الأنعام			
٧٨	١	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	.٤٥
٩٢	١٩	﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾	.٤٦
١٤٠	٧٦	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي... ﴾	.٤٧
٧٦	١٣٧	﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾	.٤٨
سورة الأعراف			
١٢٩	٢٧	﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾	.٤٩
٨٩	٤٣	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾	.٥٠
١٦٩	٨٥	﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ... ﴾	.٥١
٥٩	٩٦	﴿ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	.٥٢
١٤٤			
٣٣	١٢٦	﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	.٥٣
١٣٣	١٣٣	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾	.٥٤
سورة الأنفال			
١٢٥	٣٩	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾	.٥٥
سورة التوبة			
١٢٥	٢٩	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾	.٥٦
٩٦	٣٤	﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾	.٥٧
٦٨	٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ... ﴾	.٥٨

٩٢	١٠٧	﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	.٥٩
سورة يونس			
٨٥	٦	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ... ﴾	.٦٠
٥٢	٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ ... ﴾	.٦١
٣٣	٧٢	﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	.٦٢
١٥١	٧٣	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ... ﴾	.٦٣
٦١	١٠٢	﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾	.٦٤
سورة هود			
١٤٤	٦	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ... ﴾	.٦٥
١٣٦	٣٦	﴿ وَأَوْحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ ... ﴾	.٦٦
١٣٨	٤٠	﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾	.٦٧
١٣٧	٤٣-٤٢	﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ... ﴾	.٦٨
١٣٨	٤٤	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ ... ﴾	.٦٩
١٨٢	٥٠	﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾	.٧٠
١٥٩	٥٢	﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ... ﴾	.٧١
١٨٠	٥٩	﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ... ﴾	.٧٢
١٧٢	٧٠-٦٩	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ... ﴾	.٧٣
١٧٣	٧٥-٧٤	﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾	.٧٤
١٧٥	٧٩-٧٨	﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ... ﴾	.٧٥
١٧٥	٨٢-٨١	﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ... ﴾	.٧٦

١٨٢	٩٤	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ...﴾	.٧٧
٦٢	١٠٢	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	.٧٨
سورة يوسف			
١٢	٣	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾	.٧٩
٧٦	٨٣	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرُوا جَمِيلٌ﴾	.٨٠
١٢	١١١	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾	.٨١
سورة النحل			
٧	٩	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	.٨٢
٥٢	٦٨-٦٩	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾	.٨٣
٧٩	٨٠	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾	.٨٤
٧٨	٨١	﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾	.٨٥
٦٨	٨٣	﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾	.٨٦
٦٠	١١٢	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا...﴾	.٨٧
٤٢	١٢٧	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾	.٨٨
سورة الإسراء			
٤١	١	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾	.٨٩
١٣٥	٣	﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	.٩٠
١٣٢	٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾	.٩١
١٦٧	٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	.٩٢

سورة الكهف			
٥٣	١٧	﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا ﴾	٩٣
٨٤	٢٦	﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾	٩٤
٥٣	٤٦	﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ... ﴾	٩٥
٩٣	٤٩	﴿ يَا وَيَلَّتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾	٩٦
٦٠	٥٩	﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِهَلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾	٩٧
١٢	٦٤	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَازْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	٩٨
١٤٦	٨٢	﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ ... ﴾	٩٩
سورة مريم			
٤٤	٥٨	﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	١٠٠
٨٩	٦٩	﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴾	١٠١
سورة طه			
٥٢	٥٠	﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾	١٠٢
سورة الأنبياء			
١٢٣	٣٥	﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	١٠٣
١٥٤	٧٠-٦٨	﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ... ﴾	١٠٤
٥٠	٩٥	﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	١٠٥
سورة الحج			
١٣٠	١١	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ ... ﴾	١٠٦
٦١	٤٥	﴿ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِئَاتٌ مِنْهَا ... ﴾	١٠٧

١٨٠٦	٧٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ... ﴾	.١٠٨
١٤٣			
١١٨	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾	.١٠٩
سورة المؤمنون			
١٣٧	٢٧	﴿ فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ... ﴾	.١١٠
سورة النور			
١٠٧	١	﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾	.١١١
٦٣	٢٩	﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾	.١١٢
٩٧	٦١	﴿ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِحَهُ ﴾	.١١٣
٦٠	٦٣	﴿ فَالْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أ... ﴾	.١١٤
سورة الفرقان			
١٨٧	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾	.١١٥
٤٦	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... ﴾	.١١٦
٤٤	٧٢	﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾	.١١٧
سورة الشعراء			
١٦٤	١٦٦-١٦٥	﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ... ﴾	.١١٨
٥	١٩٥-١٩٣	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	.١١٩
سورة النمل			
١٧	١	﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	.١٢٠
١٧	٣-٢	﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ... ﴾	.١٢١

١٧	٨-٧	﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ... ﴾	١٢٢
٨٥	٨٨	﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾	١٢٣
١٠٧	٩٠	﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِيَّةِ فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ... ﴾	١٢٤
١٧	٩٣-٩٢	﴿ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ... ﴾	١٢٥
سورة الروم			
٢٦	٤-١	﴿ اَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ... ﴾	١٢٦
سورة لقمان			
٧٧،٤٥	٦	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	١٢٧
٤٤	٧	﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَرَأَىٰ مَسْخَرًا كَانَتْ لَمْ يَسْمَعْهَا... ﴾	١٢٨
٤٥	٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴾	١٢٩
٣٩	١٧	﴿ يَا بَنِيَّ اِقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ... ﴾	١٣٠
٧	١٩	﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾	١٣١
سورة السجدة			
٥١	١٣	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾	١٣٢
٣٩	٢٤	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا... ﴾	١٣٣
سورة الأحزاب			
٣٣	٣٥	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾	١٣٤
١٩١	٣٥	﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً... ﴾	١٣٥
٨٢،٧٨	٣٦	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا... ﴾	١٣٦
٣٥	٤٠	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ... ﴾	١٣٧

٤٦	٤٤	﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾	١٣٨.
٩٢	٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	١٣٩.
سورة سبأ			
٦١	١٦-١٥	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ... ﴾	١٤٠.
١٤٨	٣٨	﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ... ﴾	١٤١.
سورة يس			
٩٥	١٢	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ... ﴾	١٤٢.
٩٤	٦٥	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ... ﴾	١٤٣.
سورة الصافات			
٥٢	٢٣-٢٢	﴿ حَشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾	١٤٤.
٧٨	٤٩	﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾	١٤٥.
١٣٩	٩٥	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	١٤٦.
١٨٣	١٣٨-١٣٧	﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٤٧.
سورة ص			
١٠	٢٩	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	١٤٨.
٧٥	٨٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	١٤٩.
سورة الزمر			
١٣٢	٧	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٥٠.
٣٩	١٠	﴿ إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٥١.
٦٧	٣٠	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾	١٥٢.

١٥٤	٥٤-٥٣	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	١٥٣
سورة غافر			
١٧٧	٥	﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِم لِيَأْخُذُوهُ ﴾	١٥٤
١٨٤	٣٧-٣٦	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا ... ﴾	١٥٥
٩٥	٥٢-٥١	﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ ... ﴾	١٥٦
سورة فصلت			
٩٣	٢٢-٢٠	﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ... ﴾	١٥٧
١٠٦	٢٨	﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً ... ﴾	١٥٨
سورة الشورى			
٥٧	٧	﴿ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	١٥٩
٥٢	٥٢	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	١٦٠
سورة الزخرف			
٧٩	٣١	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	١٦١
سورة الأحقاف			
٤٠	٣٥	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	١٦٢
سورة الحجرات			
١٢١	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	١٦٣
١٢٢	١٥	﴿ إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا ... ﴾	١٦٤

سورة ق			
٩٣	٢١	﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾	.١٦٥
١٥٤	٢٦	﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾	.١٦٦
سورة الذاريات			
١٥٨	٥٠	﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾	.١٦٧
سورة الطور			
٥٥	١٩	﴿ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	.١٦٨
٨١	٣٦-٣٥	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾	.١٦٩
سورة النجم			
١٣٠	٢٣	﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾	.١٧٠
سورة القمر			
١٣٨	١٢-١١	﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ ... ﴾	.١٧١
سورة الواقعة			
٧٥	٩٤-٩٢	﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴾	.١٧٢
سورة الحديد			
٦٦	٢٠	﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ ... ﴾	.١٧٣
١٠١	٢٣	﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾	.١٧٤

سورة المجادلة		
٧٥	١٩	﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
سورة الحشر		
٨١	٢٤	﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾
سورة الممتحنة		
١٥٤	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾
سورة الصف		
١١١	١٣	﴿ وَأُخْرَىٰ مُجِيبَتَا نَضْرٍ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة الجمعة		
١٤٤	١٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾
سورة الطلاق		
١٠٥	١	﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾
١٤٣	٣-٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... ﴾
سورة التحريم		
١٧٤	١٠	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ... ﴾
سورة الحاقة		
١٨٠	٧-٦	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ... ﴾
١٠٩	٢٩	﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾
سورة نوح		
١٣٦	١٠-٥	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي... ﴾

١٣٥	٢١	﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾	.١٨٦
١٤١	٢٣	﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾	.١٨٧
١٣٦	٢٦	﴿ وَقَالَ نُوحُ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾	.١٨٨
سورة الجن			
١٤٨	١٢	﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنْجِزَهُ هَرَبًا ﴾	.١٨٩
٥٩	١٦	﴿ وَأَلْوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا ﴾	.١٩٠
سورة المزمل			
١٥٧	١٠	﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	.١٩١
سورة التكوير			
٩٣	١٠	﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾	.١٩٢
سورة الانفطار			
٩٣	١٠-١١-١٢	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾	.١٩٣
سورة المطففين			
٩٨	١	﴿ وَنِيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾	.١٩٤
٧٦	٢٩-٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾	.١٩٥
سورة البروج			
١٤٨	١٣	﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾	.١٩٦
سورة الشرح			
١٦١	٥-٦	﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	.١٩٧

سورة البينة			
٣٥	٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ... ﴾	.١٩٨
٨٦	٨	﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾	.١٩٩
سورة الزلزلة			
١٢٧	٢	﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾	.٢٠٠
سورة الهمزة			
٩٨	١	﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُزَّةٌ ﴾	.٢٠١
سورة الناس			
٧٦	٥-٤	﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	.٢٠٢

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	مكان وروده	الحكم	الصفحة
١.	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَيَّقَاتِ ...	صحيح البخاري		٧٣
٢.	أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعِّدُكُمْ كَمَا يُوعِدُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، ...	صحيح البخاري		١٢٤
٣.	إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا ...	صحيح البخاري		٤٦
٤.	إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ ...	صحيح البخاري		٨٧
٥.	افْرَعُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...	صحيح مسلم		١٩٢
٦.	أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ...	صحيح البخاري		٧٣
٧.	أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ...	مسند أحمد	صحيح مشهور	٦
٨.	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...	صحيح البخاري		١٢٢
٩.	إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتْنًا كَأَنَّهَا قِطْعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ...	مسند أحمد	صحيح لغيره	١٣٠
١٠.	إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ...	صحيح البخاري		١٠٣
١١.	الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ ...	صحيح البخاري		١٧١
١٢.	بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ...	صحيح مسلم		١٢٤
١٣.	تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعِ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ...	صحيح البخاري		١٧٤
١٤.	ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ ...	صحيح مسلم		٣٧
١٥.	حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ...	صحيح مسلم		١٢٩
١٦.	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ...	صحيح البخاري		١٤

٨٢		صحيح مسلم	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ...	.١٧
٨٤	صحيح	سنن ابن ماجه	عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ...	.١٨
٥٠		صحيح مسلم	قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...	.١٩
٦٧		صحيح مسلم	فُؤِمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ...	.٢٠
١٢٤		صحيح البخاري	كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهِ...	.٢١
٥٦		صحيح مسلم	الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ.	.٢٢
٧٢		صحيح البخاري	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ...	.٢٣
٤١	صححه الألباني	مسند أحمد	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ...	.٢٤
٩٤		صحيح البخاري	لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤْمِنِ، جِنَّ وَلَا إِنْسٍ٢٥
٥٦		صحيح البخاري	لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا.	.٢٦
١٦٨	حسن صحيح	مسند أحمد	لَعَنَّ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ...	.٢٧
٣٩	حسن صحيح	سنن الترمذي	لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ...	.٢٨
١٨٣		صحيح مسلم	اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا،...	.٢٩
١٤٥	صحيح	سنن النسائي	لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ...	.٣٠
٣٤		صحيح البخاري	مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي...	.٣١
١٣٧	حسن غريب	مسند أحمد	الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ...	.٣٢
١٠٤		صحيح البخاري	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...	.٣٣

١٤٥	حديث صحيح الإسناد	المستدرك على الصحيحين	مَنْ أَكْثَرَ الْإِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا	.٣٤
١٤٥		صحيح البخاري	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ	.٣٥
١٦٧	صححه الألباني	سنن الترمذي	مَنْ وَجَدْنَاهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا...	.٣٦
٩٤		صحيح مسلم	هل تدرّون مم أضحك؟ قال قلنا: الله ورسوله أعلم...	.٣٧
٥٠		صحيح البخاري	يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...	.٣٨
٩٤		صحيح البخاري	يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ...	.٣٩
٨٤	حسن	مسند أحمد	يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفُقٍ...	.٤٠

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
.١	ابن عاشور	٨
.٢	ابن عامر	١٦٤
.٣	ابن كثير	١٥٠
.٤	أبو جعفر المدني	٤٩
.٥	أبو عمرو	٦٤
.٦	أبي أمامة الباهلي	١٩٢
.٧	إسماعيل حقي	١١٤
.٨	ثوبان	٨٣
.٩	حفص	١٠٠
.١٠	حمزة الكوفي	٥٨
.١١	خباب بن الأرت	١٢٣
.١٢	خلف	١٤٩
.١٣	روح	١٥٠
.١٤	رويس	٤٩
.١٥	صديق حسن خان	١٣
.١٦	صهيب بن سنان	٨١
.١٧	الطنطاوي	١١٨
.١٨	عاصم	١٦٤
.١٩	عبد الله بن سلام	٣١
.٢٠	العرياض بن سارية	٨٤

٦٧	عمير بن الحمام	.٢١
٧٢	الفوزان	.٢٢
٥٨	الكسائي	.٢٣
١٢٩	المنائي	.٢٤
٤٩	نافع المدني	.٢٥
٣٢	النجاشي	.٢٦
١٣٠	النعمان بن بشير	.٢٧
٨	نور الدين الخادمي	.٢٨
٣١	ورقة بن نوفل	.٢٩
١٠٠	يعقوب	.٣٠

رابعاً: فهرس البلاد

الصفحة	اسم البلد	م
١٨٢	الأحقاف	.١
١٤	الجُحفة	.٢
١٨٣	الحجر	.٣
١٥٧	حران	.٤
١٨٤	سدوم	.٥
١٥٧	كُوَئِي	.٦

خامساً: المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد ابن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
٢. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٣. أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٤. أحكام القرآن، المؤلف: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكياهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ.
٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦. أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٩. الإسلام أصوله ومبادئه، المؤلف: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م..
١٢. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
١٣. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
١٥. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٧. أنواع الصبر ومجالاته - مفهوم، وأهميته، وطرق، وتحصيل في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
١٨. أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.

١٩. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٠. **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٢١. **الإيمان**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢٢. **بحر العلوم**، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
٢٣. **البداية والنهاية**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
٢٤. **بدائع الفوائد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٥. **البرهان في تناسب سور القرآن**، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٢٦. **البرهان في علوم القرآن**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٢٧. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٢٨. **تأويلات أهل السنة**، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢٩. **التحرير والتنوير**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
٣٠. **تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب**، المؤلف: سليمان ابن محمد بن عمر البُجَيْرِمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ)، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣١. **التسهيل لعلوم التنزيل**، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبى الغرناطى (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.
٣٢. **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليهِ شرح الصدور في تحريم رفع القبور**، المؤلف: محمد ابن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
٣٣. **التعريفات**، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٤. **تفسير التستري**، المؤلف: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُّستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
٣٥. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٦. **تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة ١٤١٩هـ.
٣٧. **تفسير القرآن**، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن

إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٨. تفسير القرآن، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٤٠. التفسير الواضح، المؤلف: محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣هـ.

٤١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤٢. التفسير الوسيط، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٤٣. تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٤٤. التوحيد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٤٥. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤.

٤٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٧. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٤٨. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤٩. **حجة القراءات**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
٥٠. **الحجة في القراءات السبع**، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.
٥١. **الحجة للقراء السبعة**، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٢. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٥٣. **الخواطر**، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٥٤. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٥٥. **الدر المنثور**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٥٦. **الرد على المنطقيين**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٧. **روح البيان**، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٥٨. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٩. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٦٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٦١. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
٦٢. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
٦٣. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٤. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٦٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
٦٦. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٦٨. شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦٩. الصبر والثبات في مواجهة الحصار، دراسة تطبيقية على حصار قريش للنبي ﷺ ومن معه، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، د. نعيم أسعد الصفدي، (ص: ٣-٥).
٧٠. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، المؤلف: علوي بن عبد القادر السقّاف، الناشر: الدرر السنية - دار الهجرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
٧١. صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٧٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
٧٣. الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٧٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٧٥. علم المقاصد الشرعية، المؤلف: نور الدين بن مختار الخادمي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧٦. علم مقاصد السور، المؤلف: محمد عبد الله ربيعة، جامعة القصيم، الطبعة: الأولى (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).
٧٧. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، عام ١٣٥١هـ.
٧٨. غريب القرآن لابن قتيبة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.
٧٩. فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري الفنّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم

له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٨٠. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٨١. فقه السنة، المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٨٢. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠ هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٣. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٨٤. القراءات وأثرها في علوم العربية، المؤلف: محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٨٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٨٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.

٨٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٨٨. لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

٨٩. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥ هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٩٠. **لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٩١. **لطف الإشارات**، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.

٩٢. **مباحث في التفسير الموضوعي**، المؤلف: مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٩٣. **مباحث في علوم القرآن**، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٩٤. **مجاز القرآن**، المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ.

٩٥. **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

٩٦. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٩٧. **مختار الصحاح**، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

٩٨. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد

المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٠٠. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٠١. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

١٠٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٠٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠٤. مشكل إعراب القرآن، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٠٥. المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١٠٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٠٧. **معاني القرآن وإعراجه**، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٠٨. **معاني القرآن**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.
١٠٩. **معجم البلدان**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
١١٠. **المعجم الوسيط**، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
١١١. **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١٢. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قأيماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
١١٣. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١١٤. **المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
١١٥. **منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، المؤلف: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: ١٤١٠هـ)، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
١١٦. **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الغفار سليمان

- البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١١٧. **النشر في القراءات العشر**، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
١١٨. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١١٩. **النكت والعيون**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
١٢٠. **نيل الأوطار**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٢١. **الهجرتين في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير للباحث: عمر بن عبد الحي بن شراب، الجامعة الإسلامية - غزة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
١٢٢. **الهجرة النبوية - دراسة وتحليل**، المؤلف: محمد السيد الوكيل، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشرة - العدد الأول - محرم صفر ربيع أول ١٤٠٠ هـ.
١٢٣. **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.
١٢٤. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٢٥. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: الأستاذ الدكتور

عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١٢٦. المواقع الإلكترونية:

- موقع الألوكة، <http://www.alukah.net/sharia>
- موقع طريق الإسلام، [/http://ar.islamway.net](http://ar.islamway.net)
- موقع الإفتاء، <http://www.alifta.com>
- موقع الشيخ صالح المنجد، <http://almunajjid.com/8202>

سادساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ب	الإهداء
ج	شكر وتقدير
د	المقدمة
د	أولاً: أهمية الموضوع
هـ	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
هـ	ثالثاً: أهداف البحث
هـ	رابعاً: منهج البحث
و	خامساً: الدراسات السابقة
ز	سادساً: خطة البحث
١	الفصل التمهيدي
٢	المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف
٣	المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية وبيان متطلباتها
٦	المطلب الثاني: تعريف الأهداف والمقاصد وبيان أهميتها
١١	المبحث الثاني: تعريف عام بسورتي القصص والعنكبوت
١٢	المطلب الأول: مدخل إلى سورة القصص
٢٠	المطلب الثاني: مدخل إلى سورة العنكبوت
٢٧	الفصل الأول
	مقاصد وأهداف النصف الأول للحزب الأربعين الآيات (٥١-٨٨) من سورة القصص
٢٨	المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (٥١-٥٧) من سورة القصص
٢٩	المطلب الأول: الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم السلام

٣٦	المطلب الثاني: الصبر من أعظم صفات المؤمنين
٤٢	المطلب الثالث: فن التعامل في الإعراض عن اللغو
٤٧	المطلب الرابع: الهداية القلبية من الله ﷻ وحده
٥٥	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (٥٨-٧٣) من سورة القصص
٥٦	المطلب الأول: بطل المعيشة سبب في هلاك القرى
٦٣	المطلب الثاني: مقارنة بين متاع الدنيا الفاني وثواب الآخرة الباقي
٦٩	المطلب الثالث: تبرؤ الشركاء من بعضهم البعض إن لم يتوبوا في الدنيا
٧٧	المطلب الرابع: الإقرار بأن الخلق والمشية والعلم والرجعة والقدرة بيد الله ﷻ
٨٨	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٧٤-٨٨) من سورة القصص
٨٩	المطلب الأول: شهادة الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم يوم القيامة
٩٦	المطلب الثاني: قصة قارون مضرب المثل في الغنى والثروة مع الظلم والعتو
١٠٨	المطلب الثالث: النبوة اختيار واصطفاء إلهي
١١٥	الفصل الثاني مقاصد وأهداف النصف الأول النصف الأخير للحزب الأربعين الآيات (١-٤٥) من سورة القصص
١١٦	المبحث الأول: مقاصد وأهداف الآيات (١-١٨) من سورة العنكبوت
١١٧	المطلب الأول: الفتنة درس من دروس التوحيد والإيمان
١٢٦	المطلب الثاني: الفتنة هي الامتحان الإلهي للمخلوقات
١٣٤	المطلب الثالث: دعوة نوح ﷺ دروس وعبر
١٣٩	المطلب الرابع: قصة دعوة الخليل إبراهيم ﷺ
١٤٧	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف الآيات (١٩-٣٥) من سورة العنكبوت
١٤٨	المطلب الأول: خطاب الله ﷻ لمنكري الخلق والبعث
١٥٦	المطلب الثاني: وجوب الفرار إلى الله ﷻ عند المحن

١٦١	المطلب الثالث: الرذيلة والفساد الخلقي في قوم لوط <small>عليه السلام</small>
١٦٨	المطلب الرابع: دور الملائكة في تنفيذ وعد الله <small>ﷻ</small> ووعيده
١٧٧	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف الآيات (٣٦-٤٥) من سورة العنكبوت
١٧٨	المطلب الأول: العقاب الإلهي للمستكبرين من الأقوام والقيادات
١٨٦	المطلب الثاني: بيت العنكبوت مثال للبيوت الواهية
١٩٠	المطلب الثالث: عظمة العبرة في الخلق والعبادة
١٩٥	الخاتمة
١٩٥	أولاً: النتائج
١٩٦	ثانياً: التوصيات
١٩٨	الفهارس
١٩٩	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
٢١٤	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
٢١٧	ثالثاً: فهرس الأعلام
٢١٩	رابعاً: فهرس البلاد
٢٢٠	خامساً: فهرس المصادر والمراجع
٢٣٤	سادساً: فهرس الموضوعات
٢٣٧	ملخص الرسالة باللغة العربية
٢٣٨	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة التي بعنوان: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعون من القرآن الكريم (سورة القصص الآية ٥١-٨٨، وسورة العنكبوت الآية ١-٤٥)، والمكونة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

تحدثت الباحثة في التمهيد عن التعريف بسورتي (القصص) و(العنكبوت)، وبيان فضلها، وكذلك بيان المناسبات فيهما، ثم تحدثت في الفصلين حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف السورتين مُقسمةً الفصلين لعدة مباحث، مشتملة على عدة مطالب، حيث كل مطلب منها يحمل هدفاً أو مقصداً من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السورة، وكذلك استنباط أهم الدروس العبر منها.

وقد سلكت الباحثة المنهج الاستنباطي والتحليلي والموضوعي في التفسير، حيث تناولت في كل مطلب من المطالب ذكر الآية أو الآيات المراد تحليل هدفها ومقصدها وتقسيمه لعدة عناوين موجزة؛ لتسهيل على القارئ إيجاد المعلومة بشكل سهل ومريح، وهي على الترتيب: مناسبة آيات المطلب مع ما سبقه، ثم التحليل اللغوي لغريب الألفاظ فيها، وما تشتمل عليه من لطائف بيانية وإعراب وقراءات قرآنية، وعبر ودروس مستنبطة.

وفي نهاية الرسالة ذكرت الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال

البحث.

ABSTRACT

Was all praise to Allah Almighty to complete this letter titled:

analytical study of the purposes and objectives of the forty party of the Koran (Surat Al-qasas of verse 51 -88) and al- anqabot of verse 1-45), consisting of an introduction and both the two chapters and a conclusion.

A researcher talked about the both from the definition two Surat Al--qasas al- anqabot and the statement of benefits, as well as the statement of coherence in which was spoken in the chapters about the intents and purposes, the two suras divided into chapters for several Investigation, inside several demands every demand of which carries a goal or destination of the purposes and objectives of the Qur'an in Sura as well as the aims of the most important guidance it.

The researcher followed analytical and objective method of interpretation, where addressed in every demand of demands, and after mentioning the verse meant to highlight the object and purpose of which several addresses brief to make it easier for the reader to find the information is easy and comfortable, which is on the order: suitable verses demand with its predecessors, and analysis language of the strange words, and it involves a rhetorical issues, and parsing, and Koranic readings, and benefits derived.

At the end of the message according to the researcher the most important findings and recommendations reached during the search.